الأقاليم الخمسة

منذ ماقبل التأريخ ولحد الأن

الدكتور سامي الدوري

ألأهداء

الى كل المناضلين العرب اللينين عملوا على رفع الحيف والظلم الذي لحق بالأقاليم الخمسة سابقا ولاحقا ، أقدم هذا العمل المتواضع .

د. سامي الدوري

المقدمة :

فكرة كتابة هذا الكتاب فكرة قديمة تعود الى سنوات ألتسعينات من القرن ألماضي ، عندما بدأت تمر على ألمنطقة أحداث فيها ألكثير من ألأضطراب وألتوتر لم تمر بها ألمنطقة خلال تأريخها ألحديث بأستثناء ألفترة ألي أعقبت قيام ألكيان ألصهيوني . هو نوع من ألمغامرة لكني وجدت أن خوض هذه ألمغامرة هو في كل ألأحوال أفضل من أدارة ألظهر لها وألعودة ألى ألركون وألصمت عن ألذي يجري في ألمنطقة من تدمير وسفك عبثي للدماء سواء كان بأيدي داخلية أو خارجية .

مرحلة ما قبل ألتأريخ ، هي ألمرحلة ألتي قضى فيها ألأنسان حياته دون أن تكون له لغة مكتوبة وبالتالي فأن ألمعلومات عن هذا ألأنسان لا يمكن ألوصول أليها بدقة وألوسيلة ألوحيدة للتعرف على نوع حياته هي تتبع أثاره من خلال ألبحث وألتنقيب عما خلفه من بقايا نشاطانه . وبعد أن أكتشاف ألأنسان ألكتابة وأخذ يدون نشاطاته على ألواح أصبح من ألسهل معرفة جوانب كثيرة عن حياة هذا ألأنسان على أمتداد ألفترة ألتي قضاها في مرحاة ما بعد ألتأريخ .

في ألفصل ألأول وألثاني من هذا ألكتاب هنك سرد لقصة ألأنسان في مرحلة ما قبل ألتأريخ أما ألفصل ألثالث فيتناول قصة بداية ظهور ألحضارة ألأنسانية وتطورها في بلاد ما بين ألنهرين ثم بعد أربعة قرون ، سرد لقصة تطور هذه ألحضارة في بلاد وادي ألنيل . قي ألفصل ألرابع شرح لظهور أمبراطوريتان متنافستان في كل من هذين ألأقليمين وبأنتقال ألحضارة ألأنسانية الى مناطق أخرى من ألعالم ، بيزنطا أولا ثم روما أزداد ألتنافس وألصراع بين هذه ألأقوام . أدى هذا ألصراع الى حصول أرتباك شديد وتغيير في ألخارطة ألسياسية للمنطقة ، كانت نتائجه زوال ألبابليين على يد ألطامعين ألفرس ثم زوال ألسلطة ألفرعونية في بلاد وادي ألنيل على يد ألأسكندر ألمقدوني . وألفصل ألخامس يبين كيف أنتهى ألأمر قبل قرون قليلة من ميلاد ألمسيح ألى أن يحكم ألعالم أمبراطوريتان هما أمبراطورية فارس وأمبراطورية ألرومان . جرى في ألفصلين ألسادس وألسابع تتبع كافة ألمراحل ألتي مرت فيها ألأقاليم ألخمسة أبتداءا من هجرة ألنبي محمد وأصحابه ألى ألمدينة ونجاح ألمسلمين في أقامة دولتهم ألعربية ألأسلامية ألصغيرة في ألحجاز مرورا بعمليات ألتحرير ألكبرى للأقاليم ألعربية واحدا بعد ألأخر زمن ألخليفة عمر بن ألخطاب وأنتهاءا بقيام ألأمببراطوريات ألعربية ألأسلامية وألأمبراطورية ألأسلامية ألعثمانية . أما ألفصول ألأثلاثة ألأخيرة من ألكتاب فان ألأثنان ألأولان منها جرى ألتركيز فيهما على تناول تفاصيل ألأحداث ألمأساوية ألتي مرت بها ألأقاليم ألخمسة منذ ألحرب ألعالمية ألأولى ولحد ألأن بينما تضمن ألفصل ألعاشر ألأخير تصورا لما ستكون عليه تلك ألأقاليم في ألمستقبل ألبعيد .

الفصل الأول

ألأنسان والطبيعة

١ : الانسان منذ الاف السنين :

يتحدث علماء الجيولوجيا والفيزياء والفلك عن عمر الكون فيقولون انه ملايين غير محددة من السنين الى أن حدث ما سماه العلماء " بالأنفجار الكوني العظيم " ألذي ادى في النهاية الى ظهور الكواكب والنجوم من شمس وقمر ومنها كوكب ألكرة ألأ رضية التي يعيش فيه ألأنسان الحالي . يقول هؤلاء العلماء ايضا ، أن أرض هذه الكرة ، كانت مغمورة بالماء اولآ ثم ظهرت على اثر تغييرات جيولوجية متوالية دون ان يقدموا دليلا علميا قاطعا عن ألذي تحدثوا عنه بسبب عدم حصول اجماع بينهم حول استناجاتهم العلمية مع انهم متفقون على أن التطور السريع في علوم الفيزياء والفلك والجيولوجيا والفضاء مجتمعة والتقدم المذهل في تقنيات هذه العلوم قد يؤدي في وقت ما من المستقبل الى معرفة حقيقة ما حصل لهذا الكون . يؤكد ألعلماء أيضا بأن الأرض قد مرت بأربعة عصور جليدية كانت ألأرض خلالها مغطاة بالثلوج وخالية من الحياة وأن سمك الجليد فيها قد وصل احيانا الى ١,٦ كم . ويقولون ايضا بأنها قد تعرضت خلال تلك العصور الى تقلبات وتغييرات مناخية وجيولوجية مستمرة ثم خلصوا الى أن الكرة الارضية قد مرت بعد كل عصر من هذه العصور بمئات من قرون الدفىء ألتدريجي وأن الدفئ لأخر عصر جليدي قد بدأ منذ ثلاثين او اربعين الف سنة ليصل الى ما هو عليه اليوم و بالتالي فان الأستنتاج البسيط هو ان كل من المناخ والبيئة الجغرافية هما اللذان يحكمان التطور الذي يحصل للحياة في الحقبات التي تفصل بين عصر جليدي واخر . في حقبات الدفئ الطويلة بين عصر جليدي واخر ، ظهرت مخلوقات متنوعة ولا احد يعرف على وجه اليقين السبب الذي ادى الى اختفاء واندثار بعض تلك المخلوقات في العصرين الاول والثاني ولم يعد لها وجود في سنين الدفئ بين العصرين الثاني والثالث كالديناصورات والماموثات ومخلوقات اخرى يعثر عليها علماء الأحياء والجيولوجيا كمتحجرات وعظام من حين لآخر . تكررت هذه الظاهرة في الحقب التالية من عصرنا الحالي عندما تعرضت بعض المخلوقات وألحيوانات الى الأحتفاء لأسباب متباينة ، قسم من هذه الاسباب معروفة كتعرضها للصيد وقسم أخر منها لأسباب بيئية ومناخية سواء كان ذلك بفعل الانسان او بفعل الطبيعة .

لاشك ان تغييرآ حادا في البيئة المناخية قد يؤدي الى اختفاء مخلوقات معينة وظهور مخلوقات اخرى وهذا ما حصل للمخلوقات التي اندثرت وعثر العلماء على بقاياها كمتحجرات او عظام . أن من المثير هنا هوعثورألعلماء الروس مصادفة في العام ٢٠١٢ ، في الاصقاع الجليدية من روسيا ، على مخلوق قد غطاه الجليد لم يكن له شبه بما تم العثور عليه من المخلوقات الاخرى سابقا فهو ليس ديناسورا ولا ماموثا مما يمكن عده من المكتشفات العلمية الهامة التي حققها العلماء الروس .المهم هو انه خلال كل هذه الالاف والملايين

من السنين التي مرت ، لم يتم ألعثور على متحجرات او عظام لكائن انساني كامل وحديثهم لا يتعدى عن بعض الافتراضات والتكهنات غير انهم أكدوا على عثورهم لأثار في ألكهوف لرسوم حيوانات ولبقايا طعام في ما يمكن اعتباره مسكنا لعائلة انسانية يعود تاريخها لمئة الف عام قبل الميلاد وقيل ايضا بان العلماء قد عثروا في اثيوبيا على بقايا عظام هي عظام لذراع " ذات شبه كبير بعظام ذراع الانسان " . مع ذلك يؤكد العلماء ، بعد نهاية العصر الجليدي الثالث ، في مرحلة الدفئ بأن ألستار قد أزيح عن وجود مخلوق يشبه الانسان الحالي عندما اعلنوا عن العثورلاول مرة على **" بقايا "** هذا الانسان في المانيا وقد اطلقوا على ذلك المخلوق اسم **" رجل الدينترنتال "** . وقالوا انهم قد عثروا مؤخرا على اثار لهذا المخلوق في مراكش وفي جبل الكرمل في فلسطين ثم في بلاد فارس ومناطق اخرى من الشرق الادنى ويقال ايضا ان في بدايات العصر الجليدي الاخير حوالي ٨٠٠٠٠ قبل الميلاد انتشر هذا الأنسان في المناطق الشمالية من العالم القديم . خلاصة قول هؤلاء العلماء : ان تطور الانسان قد مر في ألمرحلة ألتالية لظهور رجال الدينترنتال اللذين تم وصفهم بانهم يسيرون منتصبي القامة ويظهرون قدرات عقلية لا يمكنهم تحديدها او قياسها كما أن هناك دلائل على انهم كانوا يستخدمون جلود الحيوانات كملابس لاتقاء البرد . لم يعد هذا ألأنسان موجودا في عصرنا ألحالي مع ان بعض الشائعات قد سرت في سنوات ألستينات من ألقرن ألماضي عن رؤية رجل في جبال التبت يشبه رجل الدينترنتال وسموه **برجل الثلج** . المهم هنا هو اقرار العلماء بأنهم لا يعرفون شيئا عن التطور الجيني لهذا ألمخلوق وعلاقته بظهور الانسان الاخر الذي ينحدر منه الانسان الحالي الذي يتميز عن الدينترنتال بوجه اصغر وجبهة أعلى وجمجمة اخف وزنا وشفاه اكثر استقامة فيقولون بأن هذا ألأنسان ألبدائي هو الفصيلة العائلية التي ينحدر منها الانسان الحالي . لقد انتشر هذا النوع الانساني البدائي خلال العشرين الف سنة قبل الميلاد في مناطق عدة من العالم ولكن الاثار الاولى لوجوده في ما بين ٤٠٠٠٠ و ٥٠٠٠٠ قبل ألميلاد هي في مناطق **الشرق الادنى وجنوب شرق اوربا (١)** . ومرة اخرى يعجز العلماء عن تفسير انتشار هذا الانسان في هذه المناطق فقط وهم ببساطة يعزون ذلك الى المناخ . ومن المعروف ان مصطلح منطقة " الشرق الادنى " الذي يتكرر في كتابات العلماء الغربيين مؤخرا هي المنطقة التي تظم حاليا عدة دول او مناطق اقليمية منها بلاد فارس ، الاناضول ، بلاد ما بين النهرين ، بلاد الشام و وادي النيل والجزيرة العربية . يقولون ايضا أن هذه المنطقة ساعدت من الناحية البيئية على تطوير تقنيات ذلك الانسان في الصيد بقدر ما تسمح به قدراته العقلية في حين شكلت مناطق الجنوب حول خط الاستواء عقبات مختلفة في وجه ذلك الانسان للعيش فيها .ان التغيير الذي طرأ على المناخ ليصبح اكثر جفافا في ألفترة ما بين ٤٠٠٠٠ و ٥٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد جعل من السهول الواقعة بين الجبال و **الساحل الشامي لبحر الابيض المتوسط مكاناً ملائما لظهور الانسان الجديد** (١) .

من هذه النقطة نزولا لنهاية العصر الجليدي الاخير في التسعة آلاف سنة قبل الميلاد ، يمكن القول بان هناك **دلائل كثيرة على وجود هذا النوع الحديث للأنسان** في الفترة ألتي سميت بالعصر الحجري نسبة الى لجوء ذالك الانسان الى استخدام الحجر لصنع ادوات يستخدمها للصيد وأسلحة للدفاع ومع مرور ألزمن تطورت مهاراته ألتقنية ليقوم باستخدام العظام لنفس تلك الاغراض . لقد تم العثور على يقايا لهذا ألانسان هي عبارة عن عظام لها نهاية مدببة بينما تحتوي النهاية الاخرى على ثقب مما دفع علماء الاثار على الاستنتاج بان هذا الانسان قد تعلم في تلك المرحلة خياطة جلود الحيوانات التي اصطادها لاستخدامها كملابس .

في وقت ما بين الثلاثين الف والعشرين الف سنة قبل الميلاد أي في مرحلة ما قبل التاريخ ، عرف الانسان اولى محاولات الخلق الفني ففي حوالي ٢٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد استطاع انسان ذلك العصر لأول مرة من رسم اشكال واضحة لحيوانات مختلفة وأن قسماً من هذه الحيوانات منحوتة على الحجر اضافة لأشكال رمزية اخرى مما يدلل على تكوّن بدايات لوجود نوع من الثقافة وقد وصلت هذه النشاطات ذروتها في العام ٩٠٠٠ قبل الميلاد وهذه الحقبة كما هو معلروف ، هي ايضا جزء من مرحلة ما قبل التاريخ . في المرحلة المتقدمة من العصر الحجري ، في حوالي ٢٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد كان تقدير العلماء لعدد البشر في كل بقاع الارض هو عشرة ملايين انسان وقد رجحوا بان **النسبة الاكبر من هؤلاء هم يعيشون في منطقة الشرق الادنى (١) .** واضح أن ألسبب في ذلك هو أن قسما كبيرا من أراضي ألشمال لا تزال مغطاة بألثلوج وليست صالحة للعيش وألأستيطان ولذلك فأن ما كان موجودا من أولائك ألبشر في فرنسا لا يتجاوز ألعشرين ألف انسان فقط على ما تؤكده حسابات العلماء وكانوا يعيشون على شكل مجموعات تعتاش على الصيد بينما ألأمر مختلف مع ألمجموعات ألبشرية ألتي تقطن مناطق الشرق ألأدنى .

بعد ظهورها ، تعرضت الارض خلال المئات وألألاف من السنين الى تغييرات جيولوجية متعددة منها ظهور القارات ألحالية ولم تتوقف هذه التغييرات ألا في العام ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد بعد أن ظهر كل من القنال الأنجليزي والخليج العربي لأول مرة . بأستمرار ذوبان ألثلوج بعد أنتهاء ألعصر ألجليدي ألأخير ، بدأ منسوب مياه ألبحار بألأرتفاع مما أدى غمر بعض ألوديان بتلك ألمياه . وكمثل على ذلك هو ما نقله ألعالم ألآثاري ألعراقي بهنام أبو ألصوف عن العلماء الجيولوحين بأن تلك ألمياه بدأت بألدخول الى الخليج ألعربي ألحالي تدريجيا من خلال مضيق هرمز الى ان توقف تدفقها في العام ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد لتستقر عند ميناء الفاو الحالي في ألأقليم ألعراقي (٢) .

منذ حوالي ١٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد بدأ الانسان سيره الحثيث في التأثير بمحيطه في ذالك العالم فامتلك مهارات صنع الادوات من المصادر الطبيعية والعيش بملجأ مستخدما النار وممارسة الصيد واستغلال

الحيوانات الاخرى وقد ادى هذا التطور الاجتماعي والثقافي للانسان في النتيجة الى وصول الانسان الى اعظم صفحة من صفحات مرحلة ما قبل التاريخ وهي صفحة اكتشافه للزراعة .

٢ــ بدايات تطور الانسان :

أن أصل تاريخ العالم يقع زمنياً قبل ما جرى معرفته عن ماضي الانسان وانه من الصعب تحديد كم هو مدى هذا التاريخ بالضبط وباي قدر يمكن العودة الى الخلف لمعرفة اصل الانسان الذي لايزال موضع جدل بين العلماء . ان الشئ الرئيسي هنا هو التطور الذي جرى للمخلوق الشبيه بالانسان ليصبح على ما هو عليه الانسان الحالي . ان الزمن اللذي عاشه الانسان بعيدا عن الحضارة هو اكثر بكثير من الزمن الذي تمت فيه بدايات خلق الحضارة . لم يكن تطور المجموعات البشرية في ما قبل التاريخ متساويا بسبب اختلاف البيئة المناخية والجغرافية لكل مجموعة ، ذلك لان هذه البيئة هي التي تحدد موارد العيش والقدرات العقلية والمهارات التقنية للاستمرار في الحياة وبالتالي يمكن القول بان مجتمعا معينا قد يكون متاخرا عن مجتمع اخر بالاف السنين مع انهما يعيشان في عصر واحد وأن هذا يعني ان التطور الحضاري الشامل للانسان يسير ببطئ رغم التحولات الاساسية في السلوك وفي القدرات التنظيمية للأنسان .

مع تراجع العصر الجليدي الاخير واصل البشر الانتشار في المناطق الجديدة للارض وكثف البعض منهم مهاراتهم الضرورية لاستغلال اودية الانهار وسواحل البحار الغنية بالنباتات والاسماك وكانت هذه بداية للتكون المجتمعي البدائي وللتملك فبدأت الزراعة في اكثر من مكان وباشكال مختلفة . يقول العلماء بان احتمال بدايات القيام بالزراعة اجتماعيا كمصدر للطعام على شكل بدائي من حبوب ورز قد حدثت في **جنوب شرق اسيا** حوالي ١٠٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، لكن الذي حصل مؤخرا وعن طريق الصدفة التاريخية وجهود المختصين من علماء ألأثار**هو ظهور معلومات جمة عن اماكن بدايات الزراعة تبين بان هذه البدايات هي في الشرق الادنى وليس الشرق الاقصى (١)**

هناك اسباب هامة لاعتبار منطقة ألشرق ألأدنى من اولى المناطق التي شكلت بدايات ألنشاط الزراعي لأن الوقائع والادلة تؤشر الى ان المنطقة التي سميت فيما بعد من قبل المختصين ألآوربيين **بالهلال الخصيب تتكون من قوس يبدأ مساره من دلتا مصر ثم صعودا ليخترق كل من بلاد الشام والجزء الجنوبي من منطقة الاناضول الى ان يمر بالتلال الواقعة بين بلاد فارس وبحر الخزر ليحاذي حدود بلاد ما بين النهرين " ميسوبوتاميا " . أن هذه الحدود الطبيعية التاريخية لهذه ألأراضي هي التي شكلت فيما بعد اولى ألأقاليم ألأربعة الرئيسية للمنطقة العربية وهي التي بدأت فيها الحضارة ألأنسانية ألأولى .**

كانت بلاد ما بين النهرين منذ اكثر من خمسة الاف سنة تتمتع بافضل الحالات المناخية بحيث ان حبوب الحنطة البرية كانت تنمو فيها وفي كل من جنوب تركيا الحالية و وادي الاردن وكانت قطعان ألفيلة في بلاد

الشام تتجول في الغابات قبل ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد فقط . لا تزال أراضي هذه المناطق حتى اليوم تتمتع بالخصوبة لكن ليس بذلك ألمستوى ألذي كانت عليها في مرحلة ما قبل ألتأريخ بعد أن داهمها ألتصحر فيما بعد .

عندما اكتضت مناطق الصيد بالبشر ، حصل تطور هام في حياة هؤلاء البشر فحاول البعض منهم ترك تلك المناطق والبحث عن مناطق اخرى للعيش من خلال العثور على اراضي يمكنهم ان يزرعوا فيها نبات الحنطة والشعير وغيرها من النباتات الصالحة لمعيشتهم وقد تعلم الأخرون من هؤلاء تذوق الطعام الجديد وتقنيات الزرع والحصاد . ألتحول من ألتجمعات البشرية البدائية الى التجمعات التي تقوم على الزراعة وجني محصولها هو بالطبع افضل بكثير من الاقتصارعلى القيام بعمليات الصيد ، لكن التحول الاهم ألأخر هو الانتقال **الى تدجيين الحيوانات** الذي شكل سببا مهما اخر للاستقرار . أن هذا حصل عندما عثر العلماء في حوالي ٩٠٠٠ سنة قبل الميلاد على أول أدلة عن تدجيين البشر للحيوانات في المناطق الشمالية من العراق وهي على الاغلب مناطق سهول اربيل ونينوى الزاخرة بالتلال والامطار والعشب والتي تعيش فيها العجول والخنازير البرية وخاصة الاغنام من خرفان وماعز . باستغلال سكان تلك المناطق لعمليات التدجيين ، تمكن هؤلاء السكان من ألأستمرار في تربية الحيوانات واقامة اقتصاديات لذلك التدجيين الذي ادى الى استخدام الجلود والأصواف في عدة أغراض . ادى هذا ألتطور أيضا الى فتح ابواب تقدم اخرى في تقنيات أستخدام الحليب في تصنيع اللبن والزبدة للغذاء وفي مرحلة لاحقة جرى تدجين و استخدام حيوانات الاخرى كالحمير للنقل والخيل للامتطاء كما جرى تدجين الدجاج ايضا للأستفادة من بيضه ولحمه كطعام (١) .

قصة الانسان الان اصبحت من الماضى بسبب تأثير تلك التغييرات فبعد مجئ الزراعة تغير النسيج ألأجتماعي والمادي لحياة الانسان وبالتالى تأريخ البشرية وكان هذا اعظم تحول في بيئة الحياة لأن المجتمع الذي يعتمد على الصيد يحتاج الى مساحات واسعة من الارض للحصول على اسباب الحياة للعائلة في حين ان المجتمع الزراعي البدائي لا يحتاج الى تلك المساحة من ألأراضي بل يمكن ان تكفيه دونمات قليلة فقط من ألأرض للعيش فيها . مع زيادة سكان ألوحدة ألأجتماعية الزراعية البدائية ، توفرت الضروف لأحتمال حصول تسارع في التغييرات الاجتماعية والاقتصادية فيصبح من الممكن ، في حالة حصول فائض للغذاء ، ان تقام تجمعات سكانية مستقرة وثابتة مما سيؤدي ايضا الى بدايات ظهور القرى .

قبل ٩٠٠٠ سنة قبل الميلا ، يقول ألمؤرخ روبرتز كانت هناك بداية ظهور قرية في منطقة أريحا Jericho الحالية الواقعة في فلسطين وبعد الف أو اكثر من السنين نمت هذه القرية واتسعت لتظم بيوتا طينية بجدران متينة . في تلك الحقبة من السنين ، تكونت لمثل هذه التجمعات البشرية الزراعية تقاليد وعاشت منعزلة ، لكن تحت تاثير النمو السكاني وتحسن الاتصالات وتقدم التجارة تشكلت تجمعات سكانية جديدة . في

مثل هذه الضروف حصل تقسيم للعمل مما ادى الى ظهور التمايز الاجتماعي لتلك التجمعات ، ذلك لان حصول فائض في الانتاج يؤدي في النهاية الى ظهور نوع اخر من النشاط الانساني وهو النشاط التجاري . كانت مثل هذه التجمعات عرضة للأغارة من قبل المجموعات ألتي تعتمد في حياتها على الصيد بسبب التنافس على وسائل العيش مستغلة وهن وضعف دفاعات تلك التجمعات الزراعية المستقرة . لقد استمرت مثل هذه ألأحداث لفترة طويلة من ألزمن خلال عصر ما قبل التاريخ بين التجمعات المستقرة والتجمعات الاخرى وكان هذا الصراع مرتبطا بالخرافات والاساطير مما جعل عالم ما قبل التاريخ عالما من العنف وانعدام القانون . مع ذالك كانت نتائج تلك النزاعات قليلة ومحدودة بسبب قلة السكان لكن مع زيادة السكان فيما بعد جعل التنافس والنزاع على الارض الزراعية أكثر ضراوتا .

خطت البشرية خطوة هامة اخرى نحو التقدم بعد أن تم اكتشاف المعادن والتمكن التدريجي من تقنيات الاستفادة منها فقد أحدث التعدين تغييرا في حياة التجمعات البشرية بنفس القدر اللذي احدثته الزراعة لكن بطبيعة الحال بوتيرة اقل وبمدة اطول . ألسبب في ذلك هو أن اللذين اكتشفوا التعدين قلة متناثرة من الافراد ولذلك فان سرعة التغييرات في حياة تلك التجمعات كانت بطيئة . النحاس هو اول المعادن التي تم اكتشافها فكان فاتحة معرفة التعدين لعصر بشري جديد سمي بالعصر النحاسي . كان النحاس في ما بين ٦٠٠٠ و ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد يستخدم لصنع ادوات الزراعة وادوات حربية للدفاع اوالهجوم وذلك عن طريق طرقه على البارد ليأخذ شكله المطلوب . وتوصل ألأنسان في وقت لاحق من نفس الفترة الى تقنية خلط النحاس بالقصدير ليصبح هذا المعدن الذي يملك خاصية السهولة في التشكيل متوفرا اكثر من السابق وقد ادت هذه التطورات الى تقدم التجارة واتساع أسواقها . ألتطورالمهم الاخر الذي حصل في بدايات عصر ألحضارة ألأنسانة وألذي اثر كثيرا في تركيبة تجمعات ذلك العصر هو اكتشاف الحديد فسمي ذلك ألعصر بألعصر الحديدي .

يلاحظ مما سبق ان عوامل التطور تركزت في **مناطق بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام** فجعلت هذه العوامل من النهوض المجتمعي ، في لحظة حاسمة لا يمكن قياسها ، من هذه المناطق ألأكثر فعالية في تطورها مقارنة بالمناطق ألأخرى من العالم . حققت تلك التطورات في التجمعات القديمة درجة جديدة من الوعي الانساني للسيطرة وتنظيم علاقة البشر ببيئتهم كما انها بنت الاسس لتجميع الموارد العقلية والتقنية وخزنها من اجل الانتقال الى عمليات تتيح التغيير في الحياة المعيشية للانسان والى تسريع التطور في كل العالم : تغيير في النظام الاجتماعي ، في تراكم الثروة وفي زيادة عدد السكان . وبما ان التغيير يحصل نتيجة علاقة الطبيعة بالانسان باعتباره صانع ذلك التغيير، فقد لجأ هذا الانسان بشكل متزايد الى استخدام الوعي الذي اكتسبه من خلال مسيرته الطويلة تلك ولهذا فان قصة تطور ذلك الانسان هي قصة تطور وعيه .

الفصل الثاني

١ــ بدايات الحضارة الأنسانية :

الوضع الجغرافي والجيولوجي للعالم اليوم من بحار ويابسة وجبال وانهار و...الخ ظل كما هو منذ ان وصل العصر الجليدي الاخير نهايته في حوالي ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد . في هذا الوقت كانت حدود القارات بشكل عام هي كما نعرفها الان وان الموانع الطبيعية الرئيسية وقنوات الاتصال ظلت بدون تغيير منذ ذلك الحين وكذلك هو المناخ ظل على حاله باستثناء بعض التقلبات ألتي تحدث من وقت لاخر .

اخذت مقدمات الحضارة مدة قاربت الثلاثة الاف عام وهي لا تتعدي كونها برهة من المدة التي اخذتها مرحلة ما قبل التاريخ لكن هذه المقدمات لم تحصل بوقت واحد و لا هي متساوية في النجاح . اخذت هذه ألمقدمات مسارات مختلفة بحيث ان بعضها تمكن من الوصول الى قمة النجاحات بينما البعض الاخر تعثر واختفى . أن بعض هذه الحضارات المبكرة لاتزال تشكل اسسس عالمنا الحالي بينما البعض الاخر خلف تاثيرا بسيطا ، لكن جميعها ساهمت في تحديد عموم الخارطة الثقافية للعالم ألحالي بسبب قوة التقاليد والثقافة التي أنتجتها تلك الحضارات .

نشأت الحضارة الاولى كما يقول روبرتز بين ٤٥٠٠ و٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد في بلاد ما بين ألنهرين ثم أنتقلت الى مناطق أخرى فكان التوزيع الجغرافي لتلك الحضارات الانسانية حسب تسلسلها الزمني موضح في الخارطة رقم ١ . يلاحظ ألقارىء ان هذه ألمناطق غالبا ما تكون واقعة في وديان ألأراضي السهلة التي تمر فيها ألأنهار كما هو الحال في وادي الرافدين ووديان الهلال الخصيب ووادي السند في الهند ووديان الصين اضافة الى تجمعات سكانية في مناطق اخرى من العالم وجدت اماكن تتوفر فيها وسائل العيش وهي عادة ما تكون الخلجان والسواحل والبحيرات كجزيرة كريت في اليونان وبعض مناطق ألأناضول .

٢ ــ الحياة الحضرية المبكرة :

بات من المعروف ألأن بأن حياة ألأنسان في منطقة **أريحا** في فلسطين قد اخذت وقتا طويلا وكانت الحياة فيها متعة فهي كما وصفها ألمؤرخ روبرتز ، واحة خضراء في منطقة ليست صغيرة المساحة مما يفسر لماذا عاش الناس هناك لألاف السنين . تجمع المزارعون في هذه الواحة في أواخرعصور ما قبل التأريخ ويذكر المؤرخون بأن عددهم حينذاك يتراوح بين ألألفين و الثلاثة آلاف فرد (١) . كان في هذه الواحة ، قبل ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد صهاريج ضخمة لتخزين المياه مما يعني أن هذا التجمع السكاني كان بحاجة ماسة للمياه ليس للأستخدام الشخصي فقط وانما للسقي الزراعي ايضا وكان فيها برجا مبنيا بأحجار ضخمة قد يكون وسيلة من وسائل ألدفاع عن المنطقة و سكانيها . مع كل هذا ، لم تكن لهذه المنطقة حضارة

مكتملة لأنهم لا يزالون يفتقرون الى الكثير من العناصر التي تؤدي الى اقامة حضارة على نحوما حصل فيما بعد بمناطق أخرى من ألهلال ألخصيب . هناك خلاف بين المختصين حول النقطة التي وصلها خط الحضارة في هذه البقعة من ألأرض مع انهم يعلمون بأنه قد حصل فيها التغيير ألأساسي المطلوب من انتقال ألأنسان من العصر الحجري المعتمد في عيشه على الصيد الى انسان آخر يعتمد في عيشه على ما يجنيه من محصول زراعي .

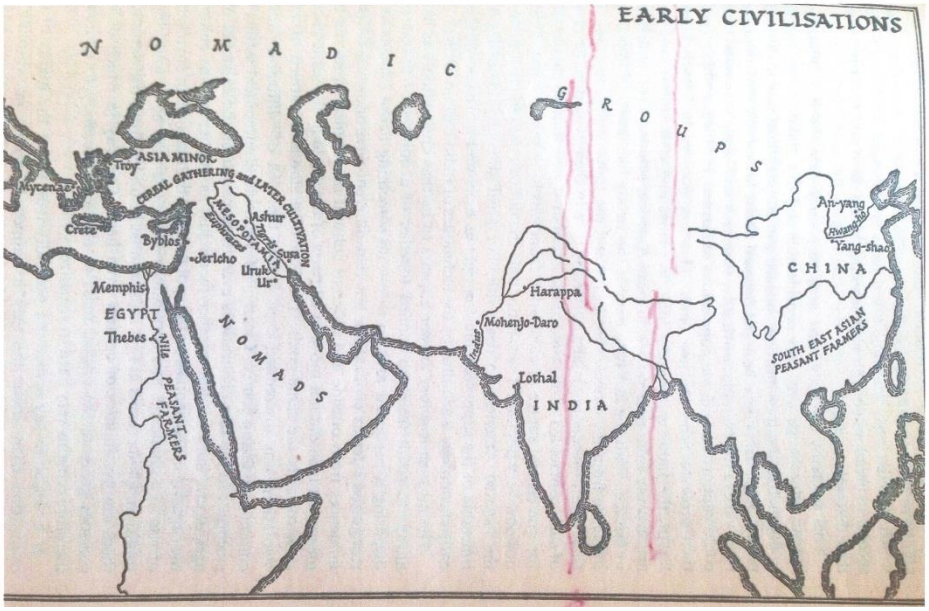

خارطة رقم (١)
ألمناطق الجغرافية للحضارات المبكرة

في الخمسة الاف سنة قبل الميلاد و في منطقة الشرق الادنى كانت هناك قرى زراعية تنتج الفائض الزراعي الضروري الذي يمكّن الحضارة من النهوض وهذا هو ما حصل لاول مرة في ألتأريخ ألأنساني في ألجزء ألجنوبي من **بلاد ما بين النهرين – العراق حاليا .**

الاختلاف بين المجتمع المتحضر والمجتمع الغير متحضر لا يقتصر على اللغة والمدن والبنايات الشاهقة وبالتالي لا يجب النظر الى الحضارة من خلال حالات مشكوك فيها بل من خلال ما تحمله من تعقيدات مشتركة ومن مثل وقيم يتفق الجميع على حضاريتها ولهذا فان الحضارة هي مصطلح يمنح الانسان المتفاعل على نحو خلاق مقدارا من الثقافة الكامنة وقدر من فائض الانتاج . في الحضارة ، كما هو معروف ، هناك تحرير للطاقات الانسانية من اجل التنمية والتطور الذي يؤدي الى تعزيز القدرات الذاتية لتلك الطاقات وهذا هو تلخيص مقتضب لتناول الامثلة المتعلقة بظهور اولى الحضارات .

كانت نقطة ألبداية لقصة ألحضارة ألأنسانية في حوالي ٣٥٠٠ عام ق.م. هي في بلاد ما بين ألنهرين ثم تبعتها مناطق أخرى ولهذا لربما من ألمفيد هنا وضع تسلسل زمني ومكاني لبدايات ظهور ألحضارة ألأولى ثم بقية ألحضارات ألأخرى ألتالية لها في بعض مناطق العالم :

١- حضارة بلاد ما بين ألنهرين (ميسوبوتاميا) في حوالي ٣٥٠٠ قبل الميلاد.

٢- حضارة وادي النيل في حوالي العام ٣١٠٠ قبل الميلاد .

٣- حضارة جزيرة كريت في حوالي العام ٣٠٠٠ قبل الميلاد .

٤- حضارة احد وديان الهند حوالي ٢٥٠٠ قبل الميلاد .

٥- حضارة الصين في حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد .

لا شك أن هناك علاقات معقدة غير معروفة كانت قد ارتبطت بها تلك الحضارات المبكرة ومع انه لم تكن لهذه الحضارات أنجازات تقنية متقدمة كما هو الحال اليوم ، لكن ما حققته تلك الحضارت شيء يثير الأعجاب بالمقارنة مع المراحل السابقة فقد استطاعت هذه الحضارات من تجاوز العقبات الجغرافية وألثقافية ألخاصة لكل منهأ . سلكت هذه ألحضارات طرقا مختلفة في التطور كان العامل الحاسم فيها هي الجغرافية وألبيئة المناخية وقد تمثل هذا لأول مرة **وبشكل قاطع لا يقبل الشك في بلاد ما بين النهرين " ميسوبوتاميا " . من المحتمل ان ما حصل من تطور في بلاد ما بين النهرين له تأثير على ماحصل في وديان انهار وادى النيل والهند والصين لان هناك دلائل على ان وديان مصر والهند كانت على صلة مبكرة ببلاد ما بين النهرين منذ بدايات تطورها** غير ان المشكلة تكمن في صعوبة وضع تواريخ زمنية لتاثيرات تلك ألصلة (١) .

أدت ألتأثيرات المتبادلة للثقافات المختلفة في ما اصطلح على تسميته الشرق ألأدنى الى ان تكون هذه المنطقة وبشكل واضح لا لبس فيه الى ان قصة الحضارة قد بدأت فيها وأن ألأضطراب الذي نتج **عن دخول ألأقوام اليها وخروجها منها خلال ثلآثة او أربعة ألاف سنة قبل الميلاد ، جعل من هذه المنطقة غاية في الغنى و غاية في الشقاء لكن مع ذلك كانت هي التي بدأ فيها التاريخ ألأنساني (١) .**

كان الهلال الخصيب وهو مصطلح غربي لهلال يشمل دلتا بلاد نهر النيل وبلاد الشام وبلاد وادي الرافدين اضافة لجنوب ألأناضول خلال أغلب حقبات التاريخ بوتقة للثقافات ولم يكن منطقة للاقامة وألأستقرار فيه فقط ، بل ايضا لمرور اقوام مختلفة . أدى هذا الى تدفق الافكار وتوفر ألضروف ألمناسبة لأنتاج خصب للمؤسسات واللغات والمعتقدات التي شكلت جذور اغلب الافكار والتقاليد الانسانية التي ظلت قائمة لحد ألأن . تملكت المؤرخيين حيرة في الرد على السؤال التالي : لماذا بدأ كل هذا ألأضطراب في هذه المنطقة بالذات وليس في غيرها ؟ غير انهم لم يقدموا أية اجوبة واضحة ومحددة على هذا ألسؤال مع أن بعض من هؤلاء المؤرخين قد أشاروا ألى أن ألعامل ألحاسم يعود ألى زيادة عدد سكان المنطقة في عالم عدد

سكانه في العام ٤٠٠٠ قبل الميلاد لا يزيد عن ثمانين أو تسعين مليون نسمة . وهناك من قال منهم بان عوامل أخرى قد ادت الى حصول اولى التحركات البشرية في التاريخ كألجفاف ، الاعاصير والزلازل و حتى الانخفاض و الارتفاع في درجات الحرارة مما دفع بعض ألتجمعات ألبشرية ألى النزوح من مناطقم وألذهاب الى مناطق تجمعات سكانية اخرى ملائمة لهم . هنا يقول ألمؤرخ روبرتز ، أن ألشعوب ألتي لعبت دورها في بداية ألتأريخ في منطقة ألشرق ألأدنى تنتسب الى عائلة أنسانية ذات بشرة فاتحة أللون وهي واحدة من **ثلاث اثنيات للانسان الاول** والعائلتين المتبقيتين هما من ذوي البشرة السوداء والبشرة المنغولية . ثم يضيف فيقول بان كل شعوب الهلال الخصيب هي ، خلال المراحل المبكرة ، منسوبة اما الى الحاميين المتواجدين في شمال افريقيا اي مصر والمغرب العربي حاليا واما الى ساميين يقطنون شبه الجزيرة العربية ومنطقة جنوب ألأناضول من الهندو- اوربيين أللذين انحدروا من جنوب روسيا الحالية ومن منطقة القوقاز وانتشروا في العام ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد في اوربا وبلاد فارس وان مركز ألجذب التاريخي لهؤلاء جميعا يقع **حول المنطقة الغنية وهي الهلال الخصيب** وأن القوة التي جذبت هؤلاء الناس حول هذه المنطقة المستقرة هو غناها الواضح . لا شك ان اكثر ما يقوله هذا المؤرخ مبني على خليط من الافتراضات والاساطير وكلها بعيدة عن الحقائق العلمية كذكر الحاميين والساميين القوقازيين . يبدو أن أغلب ألمختصين ألأوربيين يتبنون هذه ألفرضية ومنهم الاثاري الالماني المتخصص بالسومريات كريمر ألذي ظل عاجزا عن معرفة ألاصل الجيني للسومريين فكان من أوائل من تبنى هذا ألأفتراض (٣) .

لقد كان للجيل الجديد من المؤرخون وعلماء الاجناس والأثاريين من عرب واوربيين الفضل فيما توصلوا اليه من خلال حملات التنقيب التي قاموا بها في بلاد ما بين النهريين وبلاد الشام والبلاد المصرية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين من معلومات عن تأريخ بدايات الحضارات على وضع افتراضات تتفق مع الواقع والمنطق والحقائق العلمية وروبرتز نفسه يعود في مكان اخر ليقول بانه ليس هناك ما يؤكد القصص التاريخية حول الاقوام التي استقرت في بلاد ما بين النهرين و يفترض بانه لا يزال هناك الكثير من التفاصيل حول هذا الموضوع . لعلماء الأثار العراقيين راي مختلف في هذا ألنوضوع فقد نشر الدكتور بهنام ابو الصوف المنقب الاثاري والمختص بالسومريات بحثا عن اصل السومرين يخالف الرأي السائدة ألسابق مستندا على الاكتشافات الاثرية والوسائل العلمية الحديثة فيقول ان اصل السومريين يتكون من عرقين مختلفين فقط هما :

١- الفراتيين الذين انحدروا من شمال وشمال غرب العراق (بلاد ألشام) الى دلتا الجنوب طلبا لوسائل العيش ولحياة افضل وهم الذين اسسوا لحضارات حسونة ، حلف والعبيد .

٢- سكان سهل الخليج العربي الذين خرجوا منه بعد ان غمرت مياه البحرسهلهم على ثلاث دفعات حتى استقرت المياه فيه عند الفاو قبل ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد مما اضطرهم الى ألنزوح والرحيل الى الشمال فاستقروا في دلتا بلاد ما بين النهرين (٢) . ان اهم ما يورده الدكتور بهنام هو ان علماء الانثربواوجي- علم الاجناس – قاموا بمحاولة معرفة علاقة سكان الاهوار في العراق بالسومريين انثربولوجينيا بعد أن تم نشر أدعاءات بأنهم هنود فيقول : أن الدكتور مسافر احد علماء الاثار العراقيين قام بتقديم ما يقارب ١٠٠٠ جمجمة من جماجم السومريين التي اكتشفها اثناء التنقيب وقدم معها جماجم من قاطني الاهوار الحاليين للفحص وألأختبار فكانت النتيجة ان كلتا المجموعتين تنتميان الى جماجم انسان شرق المتوسط وليس كما جرى الادعاء بانهم جزء من اقوام هندية . ذكر ايضا بانه جرت في الفترة الاخيرة بعض البحوث في مختبرات الهندسة الجينية والوراثية لاكتشاف العلاقة بين سكان اهوار العراق الحاليين والسومريين ودون رابط الشفرة الوراثية لتلك الأختبارات دون ان يورد نص ما احتواه هذا الرابط لربما سهو منه أو أنه أكتفى بذكر نتيجة ألفحص لمطابقته مع نتائج فحص ألأنثربولوجيين ألمذكرين . هذا ألرابط هو :

HWWW. Nchi.nlm.gov/pubmed/2190613

بعد الدخول على الرابط تبين بان ملخصه هو كما يلي : ان هناك علاقة جينة بين سكان الاهوار واجدادهم السومريين وان تأثيير سكان وادي الهند فيهم محدود جينيا وقد فسرالعالم الأثاري العراقي د.بهنام ابو الصوف ذلك بالقول بان الامر قد يعود الى ان بعض سكان اهوار العراق جرى جلبهم من الهند بدافع السخرة اثناء العهد العباسي . ان نص تقرير المختبر بالأنكليزية الذي جائت نتائجه متطابقة مع ما نقله د. بهنام ابو الصوف عن علماء الأنثربولجي وهذا ألتقرير الذي احتواه هذا الرابط هو :

In search of the genetic footprints of Sumerians: a survey of Ychromosome and mt DNA variation in the Marsh Arabs of Iraq.

“ …Overall our results indicate that the introduction of water buff breading and rice farming , most likely from the Indian sub-contient , only marginally Furthermore, region affected the gene pool of autochthonous people of the population of the marshes a prevalent Middle Eastern ancestry of the moder Arabs are descendants of the of southern Iraq implies that if the Marsh.” ancient Sumerian

مع الكم الهائل من الاكتشافات والأبحاث الأثارية التي انجزت مع نهاية القرن التاسع عشر وطوال سنوات القرن العشرين وبتأثير نتائج اعمال الجيل الجديد من ألآثاريين العراقيين والعرب ، بدأ بعض

المؤرخين وألأثاريين والكتاب ألغربيين بتعديل بعض وجهات نظرهم ، خاصة الاجيال الجديدة منهم ، حول اصل السومريين والسكان القدامى للمنطقة العربية وهناك حاليا شبه اجماع بينهم **بان السومريين هم مزيج من اصول مختلطة على راسها الاصل السامي .**

الفصل الثالث

بدايات الحضارة الانسانية

١ – العراق القديم : من ألقرى ألمتناثرة ألى ألمدن

افضل حالة لظهور ما يمكن تعريفه كحضارة هي تلك التي حصلت في الجزء الجنوبي من بلاد ما بين النهرين – ميسوبوتاميا – التي يبلغ طولها ما يقارب ١٢٠٠ كم والتي يخترق وديانها نهران عظيمان هما دجلة والفرات . كانت هذه المنطقة من الهلال الخصيب **مكتظة بكثير من القرى الزراعية في سنوات العصر الحجري ويظهر ان اقدم المناطق المأهولة هي تلك التي تقع في اقصى جنوب العراق** حيث المياه المتدفقة وفيضان النهرين اللذان ساهما في الحصول على تربة غنية جداً بالرغم من ان الامطار فيها قليلة وغير منتظمة . هنا ، ومنذ تأريخ مبكر ، كانت هناك امكانية لحصول فائض في الانتاج اضافة الى امكانية وجود الثروة السمكية في النهرين وفي البحر القريب ، كل هذا ادى بشكل حتمي الى ظهور حياة المدن في ذلك الجزء من بلاد ما بين النهرين (١) .

مع الزيادة في عدد السكان تزداد الحاجة الى توسيع مساحة الارض لغرض الزراعة لتأمين الغذاء مما ادى في النهاية الى ان رجال القرى المتنازعين على الاراضي التي كانت تعزل القرى عن بغضها البعض اضافة الى ضغط الحاجة الى الاساليب الاروائية قد دفعت رجال تلك القرى الى مواجهة خياريين هما : اما الصدام وأما التعاون . لم يكن امام الرجال من نتيجة مرضية ومفيدة لهم سوى التوصل لحل يؤدي الى دخول مرحلة من التنظيم الجماعي وتمركز جديد للسلطة . في مكان ما من طريق الوصول الى تلك المرحلة ، انتبه اولائك الرجال الى ان معنى الاتحاد معا في وحدات اجتماعية اكبرهو افضل من البقاء في وحدات صغيرة لا تستطيع حماية نفسها ولا السيطرة على بيئة مناطقهم فكانت نتيجة هذا ألتحول في الموقف هو ظهور المدينة . كانت هذه المدينة مبنية على قاعدة فوق الماء ومحوطة بجدران مبني من الطين للحماية من الاعداء الخارجيين وللوقاية من الفيضان وتحتوي هذه المدينة على مزار لاله يقع في اطراف تلك المدينة حيث تتم العبادة فيه بواسطة كاهن يقوم بدور الحاكم الثيوقراطي (حكم ألكهانة) بالأضافة الى دوره الديني .

كانت حضارة سومر بداية مرحلة تم فيها توديع العالم القديم نهائيا ألذي أقتصر فيها نشاط الأنسان على الصيد وجني ثمار الأشجار للأستمرار في الحياة . ان استقرار تجمعات سكانية تعتاش على ما يزرعه افرادها ادى الى ظهور مدن تسكنها تلك التجمعات مما ادى الى ظهور دول وامبراطوريات .الخارطة رقم (٢) تبين مراحل تطور ثلاثة مناطق لتصبح دول وهذه ألدول هي دولة بلاد ما بين النهرين ، دولة وادي النيل ودولة الهيتيتين خلال الفترة من العام ٢٢٥٠ الى ألأعوام ٦٦٠ قبل الميلاد .

١,١ - حضارة سومر :

سومر هو ألأسم لمنطقة جنوب بلاد ما بين النهرين التي **امتدت الى الجنوب بمئة واربعين كيلومتر أكثر مما عليه ألأن أي انها لا تشمل منطقة البصرة والكويت فقط بل تشمل جزءا طويلا من الساحل الغربي للخليج العربي حيث تقع جزيرة ألبحرين التي كان السومريون يسمونها " دلمون "** على حد ما ذكره عالم السومريات كريمر في كتابه **" الواح سومر"** (٣) .

يعود د. بهنام أبو ألصوف في آخر ورقة بحثية له قبل وفاته في عمان للرد على أدعاء ألمؤرخين ألغربيين حول ألأصول ألعرقية لسكان دلتا بلاد ما بين ألنهرين بأنهم قوقازين ليسرد أولا قصة ألخليج ألعربي ألحالي مستندا على نتائج أكتشافاته ألأثارية وعلى معلومات ألجيولوجيين فيقول : كانت أرض هذا ألخليج واديا بديعا يمتد بطول قدره ٨٠٠ كم وعرض ٢٠٠ كم يخترقه نهران عظيمان هما نهري دجلة وألفرات ويحتوي على كل وسائل ألعيش ألرغيد من أسماك وحيوانات للأقوام ألسامية التي عاشت فيه وبألتالي فأن هذه ألأرض كانت متصلة جغرافيا بمناطق ألجزيرةألعربية ألحالية ألتي سماها روبرتر " بخزان ألسامية " . كانت هذه ألأقوام تطلق على نفسها **" الخارجون من ألبحر ، المطرودون من ألجنة "** وألجنة هنا ، كما يقول هذا ألأثاري ألذي قضى عمره في ألتنقيب عن ألأثار ، هي سهل هذا ألوادي (٢) . بعد بدايات نهاية العصر الجليدي ألرابع وحلول مرحلة ألدفيء ، بدأت مياه ألجليد ألذائب تصب في ألبحار تدريجيا الى ان أرتفع منسوب مياهه لتتجه مياهه نحو ألمناطق ألمنخفضة من ألأراضي ألسهلة وألوديان لتغمرها شيئا فشيئا . كان نصيب هذا ألوادي أن تتسرب مياه ألبحر ألى هذا ألوادي من خلال مضيق هرمز ألحالي على دفعات الى أن أستقرت ألمياه في ألعام ٦٠٠٠ قبل ألميلاد مما أدى ألى نزوح سكانه على دفعلت أيضا نحو ألشمال ، الى دلتا ألعراق ألأقرب أليهم وألأكثر شبها ببيئتهم ألجغرافية فأستقروا فيها ألى جانب أقوام أخرى كانوا يعيشون فيها . بعد غمر ألوادي بألمياه ، لم يتبق منه سوى عدة جزر من أهمها هي ألبحرين ألحالية ألتي كان ألسومريون يطلقون عليها أسم " دلمون " وألتي يعتقد ألكثيرون بأنها كانت **" جنة عدن "** ألموعودة

بالأستناد الى ما يؤكده علماء ألجيولوجيا ، أن تدفق مياه ألبحار نحو ألوديان وألبحيرات ألعذبة ألمياه من خلال ألمضايق قد توقف في الفترة ما بين ألعام ٧٠٠٠ و٦٠٠٠ قبل الميلاد فأخذت ألأرض في نهلية تلك الفترة شكلها ألجيوغرافي ألحالي . نتيجة لذلك ، كان من الطبيعي وألمتوقع أن تضطر ألتجمعات ألسكانية ألقاطنة في تلك ألمناطق من ألنزوح عنها وألأنتشار للبحث عن مناطق أخرى صالحة للعيش وألأقامة فيها .

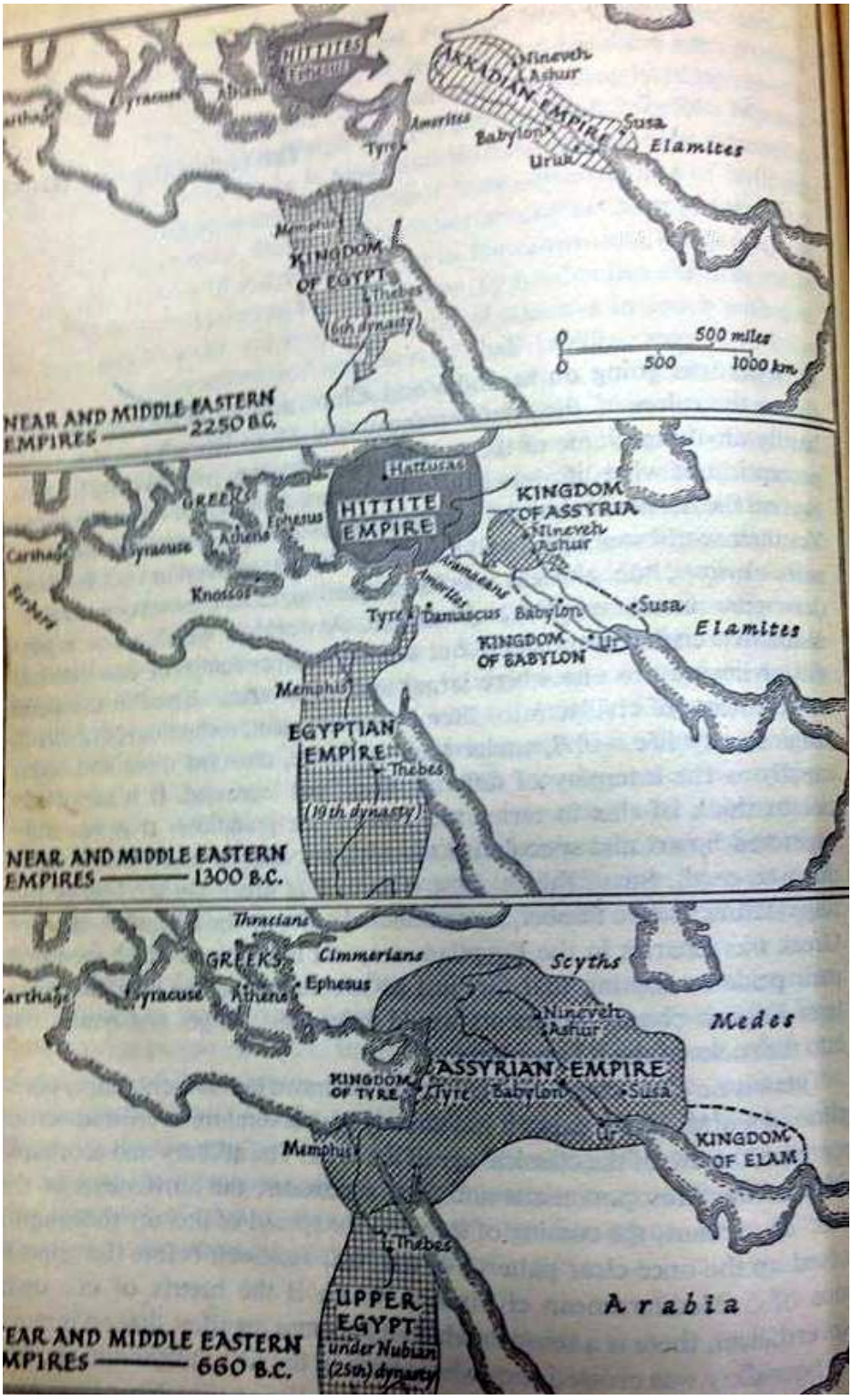

خارطة رقم (٢)
مراحل تطور الحضارات ألأولى بين الحقب من ٢٢٥٠ الى ١٣٠٠ ثم الى ٦٦٠ ق م

الذي حصل التجمعات ألسامية ألقاطنة في وادي ألخليج ألعربي ، حصل لبعض التجمعات الهندوأوربية القاطنة على سواحل ألبحر ألأسود ألحالي عندما كان هذا ألبحر عبارة بحيرة واسعة عذبة المياه تنمو وتعيش في سفوحها وسهولها ألأشجار المثمرة والحيوانات المختلفة فكانت بيئة صالحة لوجود تلك ألتجمعات . بعد تدفق مياه ألبحر من خلال مضيق ألدردنيل بأتجاه هذه ألبحيرة أرتفع منسوب مياهها فغمر سواحلها وحول مياهها الى مياه مالحة ولم تعد صالحة لعيش تلك ألتجمعات فغادرها سكانها وانتشروا في مناطق أخرى اكثر ملائمة للعيش . حصل نفس ألشيء عندما غمرت مياه ألبحر بنفس ألفترة تقريبا ، أرض وادي يقع بين بريطانيا وفرنسا فظهر ألقنال ألذي فصل بريطانيا عن فرنسا جغرافيا .

كان من ألطبيعي أن تحمل ألأقوام ألسامية ألتي نزحت عن مناطقها وأتخذت من دلتا جنوب بلاد ما بين ألنهرين للأستقرار معها لغتها وثقافتها ومعارفها وموروثاتها لتجد هناك أقواما أخرى سبقتها ألى هناك فأختلطوا وكونوا ما جرت تسميته بألشعب ألسومري ألذي تمكن من بناء أول حضارة في ألتأريخ ألأنساني . ألخلاف هنا هو من هم هؤلاء أللذين سكنوا ألدلتا قبل أنظمام ساميي ألخليج أليهم ؟ يميل أغلب ألمؤرخين ألأوربيين ألى فرضية أنهم قوقازيون بينما منطق ألأشياء و ألوقائع تدلل ألعكس .

للحضارة السومرية جذور عميقة جدا في التاريخ ، لقد كانوا يعيشون في قرى يجاورها مركز او معبد ديني لا يستغنون عنه ابدا ، يقطن فيه رئيس الكهنة وزملاءه من الكهان بشكل دائم . احد هذه المعابد يقع في مكان لم يتعرف الاثاريون على موقعه لحد الان يدعى " اريدو " من المحتمل ان وجوده يعود الى ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد . لقد نمت وكبرت مثل هذه المعابد باستمرار على امتداد الزمن الاول للتاريخ ففي وسط الالفية الرابعة قبل الميلاد كان هناك معبد يعتبره الأثاريون بانه يشكل النموذج الاصلي لمعمارية المعابد السومرية مع انه لم يتبق من اثاره سوى الاسس التي بني عليها ذلك المعبد . قامت هذه المعابد لخدمة قاطني القرى القريبة منها ولم تكن لسكن الاشخاص العاديين بل كانت من حيث الاساس مراكز للعبادة و الزيارات الدينية وهي عادة ما تكون حافزا لتكوين مدن حول هذه المراكز فيما بعد مما يفسر وجود هذه العلاقة الوثيقة بين الدين والسلطة التي كانت قائمة في العراق القديم . كان لبعض المدن قبل ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد معابد كبيرة فعلا ففي اوروك مثلا كان هناك معبد كبير رائع جدا يحتوي على ديكورات معمارية معقدة واعمدة جذابة مبنية من الطين بقطر ٢٢٥ سم .

في فترة ما قبل ألتأريخ ، توصل السومريون الى صناعة الفخار غير ان هذه الصناعة لم تكن محصورة في سومر فقط بل في مناطق اخرى من بلاد ما بين النهرين ، فقد عثر الاثاري العراقي بهنام ابو الصوف على بقايا فخاريات متنوعة عندما كان مسؤولا عن التنقيب في " تل الصوان " قرب سامراء الحالية

يعود تأريخها الى اكثر من ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد و هي من اهم الدلائل التي تصل مرحلة ما قبل التاريخ ببلاد ما بين النهرين .

في مرحلة ما بعد التاريخ ، يظهر هنا ولأول مرة شيء ما يتقدم الى الامام ليحمل مضمونا ثقافيا حضاريا يختلف نوعيا عن التطورات التي حصلت في العصر الحجري . يتمثل هذا ألظهور بألأواني ألفخارية ألتي كانت تصنع بواسطة عجلة دوارة وفق مواصفات معينة وبانتاج كبير مما يعني ان مثل هذا النشاط يحمل مضمونا اجتماعيا فعالا . مثل هذا ألأنتاج يتطلب وجود مجموعة من ألأشخاص ألمختصين في النجارة لصنع العجلات مما يعني ضرورة وجود تنوع في الفعالية وتنوع في الزراعة لتخصيص بعض الفائض منها لصنع تلك العجلات . بمثل هذه التغييرات بدأت القصة المقنعة للحضارة السومرية اتي استمرت لألف و ثلاثمائة سنة. جاء اكتشاف ألسومريين للكتابة ليصبح ألأنجاز ألوحيد ، من ناحية الاهمية ، ألذي يمكن مقارنته بانجاز أكتشاف ألزراعة في تقدم الحضارة الانسانية حتى وصولها الى عصر استخدام الطاقة البخارية في عصر النهضة الاوربية . بدأ استخدام الكتابة عن طريق اكتشاف الاختام الاسطوانية التي تحتوي على رسومات دقبقة يتم تدويرها على لوح من الطين وكانت هذه الاسطوانات احدى اهم الانجازات الفنية للسوميين . كانت الكتابة الاولى على شكل رسومات بسيطة منقولة على الواح طينية عادة ما يجري تجفيفها وحفظها بعد ان تدوّن بقصبة الكتابة وهذه الكتابات هي الكتابة السومرية الاقدم . كانت هذه الالواح بمثابة سجلات او مذكرات تحتوي على قوائم البضائع والوصولات أي انها كانت تركز على النواحي الاقتصادية فقط ولا تحتوي على موضوعات انشائية متواصلة لغرض القراءة . تطورت هذه الكتابة من كتابة تتناول الجانب الاقتصادي الى كتابة تتم بواسطة قصبة مقطوعة بشكل مائل لتسجيل الانطباعات عن طريق طبعها على الواح الطين فانتقلت الى ما سميت بالكتابة المسمارية . كانت هذه ألوسيلة في كتابة اللغة التي توصلت اليها سومر بعد ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، اكثر مرونة كطريقة للاتصال عن طريق العلامات من اية طريقة اخرى استعملتها سومر في الماضي .

بفضل جهود ألأثاريين وعلمماء اللغة ، اصبح الان لدى العالم معلومات وافية عن اللغة السومرية وعن مدى تاثيرها في كافة لغات العالم بحيث ان احدى مفرداتها لا تزال تستخدم حتى اليوم كمفردة " الكحول " ، لكن الاهم هو ان اللغة كحقيقة اجتماعية يجب ، قبل كل شيء ، ان تكون مكتوبة (١) . معرفة القراءة والكتابة مكنت المجتمع السومري من فتح احتمالات التقدم اكثر فاكثر بعد أن سهلت تلك المعرفة القيام بالعمليات المعقدة لآرواء الاراضي وجني المحصول وخزنه و....الخ مما هو ضروري لنمو المجتمع ولذالك فان الكتابة كانت قوة اضافية دافعة لاستغلال الموارد بشكل فعال كما انها ادت الى تقوية سلطة المجتمع واضعاف علاقة ذلك المجتمع مع مجموعة الكهنة التي كانت اول من استغل اللغة في نشاطاتها . يقول روبرتز أن استعمال

الخواتم الاسطوانية قد أدى ألى تعزيز سلطة ألمجتمع لان هذه أللغة أستخدت لتوثيق حجم المحصول المخزون في المعبد بوصولات وهذا يعني بدء توثيق العمليات الاقتصادية للتوزيع المركزي حيث يقوم الرجال بجلب انتاجهم الى المعبد ومن ثم يقومون فيما بعد باستلام ما يحتاجونه من المواد والطعام . الى جانب تدوين هذه الوثائق ، فتح اكتشاف هذه الكتابة باب توثيق الادب فقد تم توثيق اقدم قصة في العالم هي ملحمة كلكامش . صحيح ان النسخة الكاملة لهذه الملحمة تعود الى القرن السابع قبل الميلاد لكن الاسطورة نفسها قد ظهرت في المرحلة السومرية السابقة وكان من المعروف بانها قد كتبت في ما قبل ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد بقليل ولا بد ان هذه الملحمة كانت متداولة شعبيا على نحو واسع قبل ان يقوم احد الكتاب بتدوينها على الالواح الطينية . بطل الملحمة كلكامش هو شخص حقيقى وكان ملكا وحاكما على أوروك وما ينقله كريمر من نصوص مكتوبة بالسومرية عنه هو ان هذا الملك خاض حروبا كثيرة الى جانب ما قام به من معاهدات سلام مع ملوك اخرين وتبادل الهدايا معهم فاصبح كلكامش بطلا في قصائد مختلفة من هذا الادب (٣) . الجزء المدهش في هذه الملحمة هو ذلك الجزء الذي تناول حصول حادثة الفيضان العظيم الذي دمر كل شيء في الارض الا عائلة مفضلة تمكنت من بناء سفينة للنجاة لتعود بعد انحسار ذلك الفيضان لتشكل بداية ظهور وتكاثر البشر ولم تكن هذه ألقصة جزئا من الملحمة ألمذكورة بل كانت قصيدة منفصلة تحكي قصة الفيضان باشكال متعددة في الشرق الادنى . قام كلكامش بأشياء عظيمة خلال حياته ألمضطربة لكنه ظل تحت هاجس ألموت ألمحتوم مما جعله يبحث عن أي شيء يمكن عمله للتخلص من فشل ألأنسان في تقرير مصيره بنفسه ولما لم يجد مثل هذا ألشيء فقد أستسلم للموت مع انه لم يتقبله . أضافة ألى هذا ألمزاج ألكئيب والى تأثير ألدين ألذي أحتوته ألملحمة ، تم ألكشف عن ألكثير من ألمعلومات ألمتعلقة بآلهة ألعراق ألقديم غير أنه من ألصعب ألتوصل ألى شيء ملموس تأريخيا لعلاقة كلكامش بتلك ألملحمة .

ربما كان الجزء الاسفل من بلاد ما بين النهرين عرضة للكثير من المأسي التي يجلبها الفيضان معه الى السومريين ومما لا شك فيه ان الفيضان العنيف يؤدي الى اضطراب و تخريب في نظم الارواء الذي يعتمد عليه نمو المنطقة . كثيرا ما كان يشكل هذا الفيضان كارثة شاملة للسكان مما ساعد على تعميق التشائم والايمان بالقضاء والقدر الذي يراه بعض المختصيين بانه اساس الدين السومري فكان مثل هذا المزاج الكئيب مسيطرا على **أور** وأوروك (١) . بعيدا عن ألمزاج ألكئيب للملحمة وأحتوائها على معلومات جمة عن آلهة السومريين ، تحدثت عن فيضان وحيد في تدميره لدرجة انه كاد ان يقضي على البشرية على النحو الذي صورته الملحمة ولم يكن هذا مقنعا من الناحية الأثارية غير ان هناك ادلة كثيرةعلى حصول فياضانات متعددة في العراق القديم ومع ذلك هناك من يعتقد بان ما جاء في الملحمة هو عبارة عن اساطير رغم انه من المؤكد ان هناك تطابقا لا يمكن انكاره بين ما جاء في الملحمة وما جاء في التوراة والقرأن عن سفينة نوح .

ان اكثر الافكار اهمية والتي ظلت حية في اللغة السومرية هي تلك ألتي كانت فيها مدينتي **أور** و**أوروك** منبتا لتلك الافكار التي ظلت سائدة لأربعة آلاف سنة والتي تحولت على مستوى العالم الى اديان اخرى في منطقة الشرق الادنى خلال الالفية الاولى والثانية قبل المسيح بالرغم من ان اغلبها قد اتخذ اشكالا اخرى . كانت المعابد في بدايات حضارة سومر مراكزا للظهور المبكر للمدن التي ترعرعت وكبرت بشكل رائع حيث كانت الاضاحي تقدم في هذه المعابد للحصول على محصول زراعي جيد . لقد جرى فيما بعد بناء مثل هذه المعابد في الشمال ، في " آشور" التي تبعد حوالي ٤٥٠ كم في اعالي دجلة وقد استخدم في بناءها خشب اشجار **السدر الذي جلب من لبنان والنحاس من بلاد الاناضول .**

ليس هناك مجتمع من مجتمعات ذلك الزمن قد اولى الدين مثل هذه المكانة او الدور في دعم مصادره الجمعية كذلك المجتمع ولهذا فانه ليس هناك مجتمع قديم اخر غير هذا المجتمع الذي كان فيه الرجال معتمدين كليا على قدرات الالهة التي يعبدها الناس . كان الجزء الاسفل من بلاد ما بين النهرين ارضا طينية منبسطة رائعة المنظر وفيرة المياه ، لم تكن فيها جبال ، كانت فقط جنة وشمس سومرية قاسية لا شيء يحميها من الرياح ولا من قوة الفيضان العاتية ولا من هجمات الجفاف فألألهة هي التي تتحكم في هذه الظواهر ولهذا فان من الطبيعي ان يرى السومريون انفسهم بانهم قد خلقوا لخدمة هذه الالهة .

في حوالي ٢٢٥٠ سنة قبل الميلاد بدأت نصب الالهة التي تحدد عناصر ووظيفة قوى الطبيعة بالظهور في سومر وكانت تشكل الاسس الرئيسية لديانة بلاد ما بين النهرين وهي بداية العقائد الدينية في ألتأريخ ألأنساني . كان لكل مدينة اله محدد لكن ربما لمتغيرات سياسية في العلاقات بين المدن السومرية ، ادت في النهاية الى الانتظام في قيادة دينية موحدة اثرت وعكست نظرة الانسان الى المجتمع . الالهة في بلاد ما بين النهرين تطورت تنظيميا لتأخذ شكل الانسان واعطت لكل اله مهمة او دور معين : كان هناك آلها للريح واخر للماء واخر للحرث واخر للحرب اما عشتار فكانت الهة الحب والنماء وفي قمة هؤلاء الألهة كان هناك اله عظيم يرأسهم ولا يرد له طلب هو" آنو " آله الريح الذي لا يمكن عمل شيء بدونه . الرب " انكي" هو اله الحكمة والمياه العذبة التي تعني الحياة لسومر وكان المعلم الذي يعطي الحياة والذي يحافظ على النظام الذي حدده الرب " اينيل" . تطالب هذه الأله الناس بتقديم الأضاحي والخشوع وممارسة الطقوس مقابل منحهم حياة جيدة ومزدهرة لا تزيد مدتها عن عدد من معين من السنين .

تحتوي الحياة في بلاد ما بين النهرين على أحداث فجائية ولذلك فأن وجود الحماية امر ضروري والسكان يعتمدون في ذلك على الألهة في تأمين تلك الحماية فالألهة هي التي تقاوم الكوارث الفجائية الناتجة عن الفيضان او العواصف الترابية من اجل استمرار دورة الفصول ليتكرر الاحتفال العظيم في الربيع عندما تتزوج الألهة مرة اخرى فتعاد عملية الخلق من جديد فيضن الناس بأن الحياة ستظل على ما كانت عليه حتى

السنة القادمة . أحد اهم الاسباب التي دفعت السومرين في المرحلة المبكرة من تاريخ البشرية الى ابتداع الدين هو الحصول على وسائل يستطيعون فيها درء مخاطر قوى الطبيعة لذلك قاموا بابتداع آله معين لكل ظاهرة طبيعية ، لكن اهم الاسباب هو ذلك الذي يقع خارج الظواهر الطبيعية وهي حقيقة الموت الحتمي للأنسان .هذه الحقيقة جعلتهم يتوسلون الدين لمساعدتهم في التعامل مع الرعب من هذه النتيجة الحتمية ولم يكن السومريون قادرين على الاحساس بالراحة الداخلية بسهولة بسبب معتقداتهم الدينية التي يرون ان عالم ما بعد الموت هو عالم كئيب موحش فهو في نظرهم مقام مظلم طعامهم فيه هو التراب والطين يتبعه في النهاية عذاب غامض من الجحيم . هناك جوانب سياسية مهمة في الديانة السومرية فوفقا لتلك الديانة تكون الارض بكاملها ملكا للألهة وان الملك الحاكم الذي كان في الاصل قائدا حربيا في هذه المرحلة من الحضارة السومرية فهو ملك وكاهن بوقت واحد وبالنسبة لهم هو كائن مقدس لا يمكن لأي كان ان يحاسبه . التقديس شمل أيضا الطبقة الكهنوتية المتخصصة في تشريع الامتيازات الاقتصادية التي تساعد على تجميع المعارف والمهارات الخاصة في مجال الكهانة فكانت سومر أصل التقاليد المتعلقة بالكهانة والعرافة لذلك كان ألسومريون ألعاديون يدعون أفراد ألطبقة ألكهنوتية **برجال الشرق الحكماء** (١) .

قام السومريون ايضا بوضع اول نظام للتعليم حيث يتعلم الطلبة الكتابة المسمارية بمدارس خاصة كما مارس السومريون فنون النحت والرسم فكرسوا مفاهيم عظيمة في الفن وركزوا في اعمالهم هذه على ما يخص الحرب وعالم الحيوان وفي بعض الرسوم المبكرة ، يمكن اكتشاف جوانب اعمق في اعمالهم الفنية كالجوانب النفسية مما ساعد على الوصول على تقدم مدهش في حضارتهم (٣) . لقد أظهرت ألأختام ألمنقوشة والتماثيل والرسوم بان الرجال السومريون يرتدون نوعا من فرو الماعز او ألخروف على شكل تنورة في حين ان النساء يضعن شالا على كتف واحد والرجال عادة ما يحلقون رؤوسهم وألجنود ألسومريون برتدون زيا موحدا وهم يحملون السلاح او أنهم يرتدون قبعة تحتوي على علامة لتمييزهم عن الاخرين . أن الترف ، كما يبدو، يتضمن الممتلكات وبعض مظاهر الغنى كالمجوهرات وكمظاهر أخرى للترف هي تلك التي ظهرت في رسوم تم ألعثور عليها في منطقة ماري في سوريا الحالية ألتي تبين اشخاصا يزاولون طقوسهم الدينية ومن بعض هذه الرسوم هناك صورة تبين جلسة شراب لمجموعة من الرجال يجلسون على كراسي وهم يحملون في ايديهم الكؤوس بينما يقوم الموسيقيين بعزف الالحان لتسليتهم .

من ألتقاليد ألأجتماهبة ألخاصة بألزواج عند السومرين ، هو ان الفتاة تصبح زوجة للرجل بمجرد موافقة اهل العروس على الزواج ثم يوثق ذلك الزواج بعقد مختوم ليصار بعد ذلك تأسيس العائلة والزوج هنا هو رئيس العائلة والمشرف على جميع الاقارب والعبيد ومثل هذا النظام ظل قائما حتى في القرون المتاخرة من الحضارة الانسانية الحالية . وألمثير ألذي يخص المرأة السومرية هو ان كل من الشرع والادب يوضح بانها

ليست اقل شأنا من مثيلاتها في المجتمعات المتأخرة من بلدان الشرق الاوسط لأنه لم يبكن هناك اختلاف في تقاليد الشعوب السامية وغير السامية . أما القصص السومرية التي تتناول الالهة فهي تشير الى ان المجتمع السومري كان واعيا لخطورة الدور الجنسي للمرأة وكان السومريون اول شعب من كتب الاغاني حول الحب والعشق (٣) .

اظهر السومريون القدرة على تحقيق اختراعات تقنية كبرى يجب على الشعوب الاخرى ان تدين لهم باكبر الفضل عليها فهم الذين وضعوا اسس الرياضيات فقاموا بتصنيف الارقام بمواقعها وباشكالها وكمثل على ذلك ، فان الشكل ١ هو واحد وواحد وواحد هو عشرة وواحد وعدة قيم يشكلان رقما حسب علاقة رقم برقم اخر ألى ان وصلوا الى طريقة تقسيم الدائرة الى ستة اقسام متساوية وكانوا يعرفون ايضا النظام العشري لكنهم لم يستعملوه . خلال تأريخهم كحضارة مستقلة ، حقق السومريون العيش في تجمعات كبيرة فيقال ان مدينة واحدة من مدنهم كانت تضم ستة وثلاثون الف رجل وتجمعا بهذا العدد من ألرجال ادى الى ضرورة توفر مهارات في البناء لدرجة انهم استطاعوا انجاز بناء معابد واسعة عديدة . ولانهم كانو يفتقرون الى الحجر ولم تكن لهم بعد تقنية صنع الطابوق فلجأوا في بناء تلك المعابد باستخدام تقنية خلط " التبن " وهو قطع من سيقان نباتات الحنطة والشعير بالطين لتقوية الخليط ومن ثم تقطيع ذلك الخليط الى قطع متساوية وتترك تحت الشمس حتى تجف . واصل ألسومريون أستخدام هذه ألتقنية حتى في نهاية عهدهم في بناء معبد ألزقورة في أور بأرتفاع ٢٠ متر وبقاعدة ٥٢ متر مربع . ظلت هذه ألتقنية متوارثة لحد أليوم في أغلب أرياف العراق لبناء المزارعين دورهم من ألقطع ألطينية ألتي يسمونها " أللبن " .

تم العثور في مدينة " اور" على اول عجلة لصنع اواني الخزف وكان تصنيع هذه العجلة بداية الطريق لقيام الانسان باستخدام الحركة الدائرية **لصنع عجلات لعربات ألنقل** في **العام ٣٠٠٠ سنة قيل الميلاد** . في الالفية الثالثة قبل الميلاد نجح السومريون **باكتشاف واستخدام الزجاج** كما انهم تمكنوا من **تعدين النحاس** وهذا يعني ان هناك سباكين متخصصين للصهر والسباكة . مثل هذه الاكتشفات والاختراعات اثارت التسائل التالي : من اين جائت الخامات وليس هناك مثل هذا المعدن في جنوب بلاد ما بين النهرين ؟ الجواب هو ان هناك وجود واضح لشبكة واسعة من الاتصالت بين ألسومريين والخارج وقبل كل شيء في محيطهم القريب في لبنان وسوريا رغم بعد المسافات بينهم في حسابات ذلك الزمن . كما أن هناك ادلة موثقة على ان بلاد ما بين النهرين كانت ايضا قبل العام ٢٠٠٠ ق .م. تستقبل البضائع وان بطريقة غير مباشرة من وادي ألهند مما ولد أنطباعاعن وجود نظام تجاري يؤدي الى شراكة تجارية في تلك المرحلة من التأريخ الانساني (١) . كل تلك ألمهارات تراكمت ببطيء فأخذت ما يقارب ١٥٠٠ عام من ألتأريخ ألأنساني لكي تتضح ألأدلة ألتي خلفتها ألحضارة ألسومرية للأنسانية . يلاحظ ان سومر قد مرت بثلاث مراحل استغرقت مدة تصل الى ما

بين العام ٣٣٦٠ قبل الميلاد والعام ٢٤٠٠ قبل الميلاد اي انها اخذت مدة ٩٥٠ سنة كانت حافلة بالحروب بين دول مدن سومر ألمحصنة التي تم فيها استخدام العجلة كأساس تقني لصنع عربة حربية باربعة عجلات في تلك الحروب . في وسط ألمرحلة الأولى بدأ الحكام المحليون من ملوك المدن بتحقيق بعض النجاح في تهدئة الصراعات بينهم بعد ان تطور المجتمع السومري ليضع بعض الاسس الديموقراطية كتسمية ممثلين عنه الا ان زيادة درجة النمو العام ادت الى ظهور ملوك حائزين على سلطة تختلف عن السلطة الاولى للحكام الكهنة . ومع ان هؤلاء الملوك قد بدأوا كأمراء حرب ، تم تعينهم فيما بعد من قبل ممثلي تلك المدن لقيادة القوات لكنهم لم يتخلوا عن سلطاتهم ألمحلية فظل أحدهم يحارب الاخر الى ان ظهر فجأة شخص عظيم فتح الباب لمرحلة اخرى جديدة هي الثالثة في تأريخ سومر وهذا الشخص هو **سرجون الاول الاكدي .**

١,٢- الحضارة الاكدية :

كان سرجون الاول ملكا على مدينة **" أكد "** السامية وهو الملك الذي اجتاح المدن السومرية بين ٢٤٠٠ و ٢٣٥٠ قبل الميلاد وفرض السيطرة الاكدية عليها **فاختفت لاول مرة مرحلة دولة المدن نهائيا وتوحدت ارض بلاد مابين النهرين في دولة واحدة تحت قيادة سرجون الاول العظيم** (١) . يقوم حكم هذا الملك لسومر **على قاعدة بناء دولة موحدة جمعت كافة مدن بلاد ما بين النهرين وليس على قاعدة ألتفوق ألنسبي لواحدة من تلك ألدول على دولة أخرى** . الاكديون هم من ألأقوام ألسامية وكغيرهم من الاقوام المهاجرة التي نزحت منذ الاف السنين من مناطقهم في جزيرة العرب بعد ان ضربها الجفاف واستقروا في شمال دلتا جنوب العراق في منطقة **" نفر"** حيث مدينة الديوانية حاليا . يتفق أغلب ألمؤرخين على أن الاكديين قد تفاعلوا مع حضارة سكان دلتا جنوب العراق وتمازجوا مع سكانها ليخلفوا في النهاية فنا سومريا جديدا يحمل مضامين مرحلة مختلفة مفعمة بألأنتصارت ألأمبراطورية . الحقيقة الواضحة هي ان قيام الامبراطورية الاكدية لم تكن نهاية سومر بل مرحلتها الحضارية الرئيسية الثالثة ومع ان هذه المرحلة تشكل فصلاً من فصول تاريخ المنطقة لكن اهميتها تكمن في انها تعبر عن مستوى جديد في التنظيم . لقد **ظهرت دولة حقيقية** في عهد سرجون الاول حيث حصل انفصال واضح بين **العلمانيين والكهنوتيين** في سومر القديمة مع أن روح الغيبية والاساطير ظلت متغلغلة في الحياة اليومية للناس وعلى كل المستويات بالرغم من اختفاء السلطة الكهنوتية . الادلة على ذلك واضحة في القصور الى جانب المعابد في المدن السومرية حيث اختفت سلطة الالهة خلف سكان هذه القصور . هذا ألملك . سرجون الاول هو اول من بنى امبراطورية كبرى تعدت حدودها بلاد ما بين النهرين وهناك اخبار عن أن جنود هذه ألأمبراطورية قد **وصلوا ألى حدود اثيوبيا ومصر** (١) .

أن التغيير الواضح في دولة سومر هو الانتقال من المدن المبكرة ألقديمة التي يسيطر عليها الكهنة الى مدن يسيطر عليها ألملوك وظل هذا التغير يتطور ألى أن ادى الى ظهور احتراف الجندية ، وهذا ،على الاغلب ، هو الذي لعب دورا في التغيير اللاحق . كان هذا الجيش المدرب من المحترفين الذين يسيرون في طوابير منتظمة وهو مدجج بالدروع والرماح واضحا في النصب التذكاري في مدينة اور وان ذروة هذه العسكرة الجديدة قد حصلت في مدينة **" أكد "** . تظهر أحدى ألصور سرجون الاول وأمامه ٥٤٠٠ جندي وهو يشاركهم بتناول الغذاء في قصره وهذا بلا شك علامة بارزة لعملية بناء سلطة متعاظمة يتحقق فيها النصر في توحيد بلاد ما بين النهرين وبناء امبراطورية تولد الضروف المناسبة لأستمرار هذه السلطة . بزيادة عدد السكان ، تكون المهمة الاولى للمك الحاكم هي حشد طاقات العمل للانغماس في العمل الزراعي والسيطرة على الموارد الغذائية . ان القوة اللازمة لذلك تتطلب تجنيد الافراد وتطوير الاسلحة لتصبح اكثر تعقيدا واغلى ثمنا مما يتطلب حينذاك وجود مقاتلين محترفين وكانت أحدى مصادر قوة ونجاح الاكديين في تلك المرحلة هي استخدامهم **لاسلحة جديدة هي القوس والنشاب المدبب** المصنوع من الخشب . رغم نجاح ألأكدين في اقامة امبراطورية واسعة ألا أنها لم تدم طويلا فقد اخذت مدة قصيرة نسبيا من ألزمن لأنه بعد سنتين من تولي الحفيد الاخير للملك سرجون الاول تم خلعه من قبل اقوام انحدروا من الجبال كانوا يسمونهم " الكوتيين " . بعد حوالي سنتين ، في العام ٢٠٠٠ قبل الميلاد عاد السومريون الاصليون الى السلطة حيث كان مركزهم هذه المرة في" أور" فأطلق اول ملك للسلالة الثالثة لأور على نفسه لقب ملك سومر واكد . قام هؤلاء السومريون ببناء معابد وزقورات اكبر وافضل من السابق وبينت ألوثائق ألأدارية أن تأثير ثقافة ألأكديين كان واضحا في ثقافة هؤلاء ألسومرين اللذين أمتدت مقاطعات مملكتهم **من سوسة عند حدود عيلام الى بابل ثم من بابل الى بيبلوس على الساحل اللبناني (١)** .

أفول اول شعب حقق الحضارة ، لم يختف تماما لكن تميزهم وتفردهم هو الذي اختفى عندما اندمجوا في التاريخ العام لكل من وادي الرافدين والشرق الاوسط وان عصر ابداعهم قد اصبح خلفهم لان افق التاريخ بدأ بالاتساع والاعداء يحوطون الحدود . العيلاميون المجاورون للسومريين المتربصين والطامعين بدلتا العراق وجدوا في فترة ما بعد ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد فرصة لغزو " أور" فسقطت بايديهم لكن كيف حدث ذلك وما هي ملابساته ، يقف المؤرخون عاجزين عن الاجابة . المهم ان النهاية كانت اختفاء أور وصاحب ذلك الاختفاء اختفاء التقالبد المميزة للسومريين الذين كان عليهم الاندماج مع التيارات الجارفة لعالم فيه اكثر من حضارة واحدة .

خلال حوالي خمسة عشر من القرون ، بنت سومر اسس حضارة وادي الرافدين فكانوا رواد التقدم لمرحلة ما قبل الحضارة ألتي شكلت الاساس المادي والثقافي الذي قامت عليه حضارة سومر . تركت هذه

ألحضارة للعالم الى جانب الكتابة فكرة العدالة والتشريع ، تركت نصب تذكارية رائعة وجذور تقاليد دينية عظيمة . كانت هناك ، في كل جانب من جوانب تقاليد سكان بلاد ما بين النهرين لمسة لأسطورة من اساطير السومريين .

في ألوقت ألذي كان السومريون يبنون حضارتهم ، لم يكن تأثيرهم بعيدا عن ما كان يحصل حولهم فقد قامت ممالك عديدة على امتداد الهلال الخصيب كانت جميعها تحاكي او تتعلم من الذي يرونه من حضارة في " اور" وفي دلتا جنوب العراق . ان انتشار التقنيات الحضارية وأستخدامها من قبل اخرين قد عقد وضع منطقة الشرق الادنى وجعل من ألأحداث التي تحصل فيها اكثر غموضا . لقد كانت تلك المنطقة مسرحا لتنقل وترحال مجموعات بشرية مختلفة لاسباب متباينة منها ما يمكن فهمه ومنها ما يصعب فهمه . الاكديون انفسهم هم مجموعة انحدرت من خزان السامية في شبه الجزيرة العربية في حين ان مجموعات الكوتيين التي ساهمت في ازاحة الاكديين كانوا كما يقول المؤرخون قوقازيين . بعد سقوط " اور" عمت الفوضى في وادي الرافدين وساد وضع المنطقة الغموض حيث ازدحمت باقوام محيطة متنوعة وجميعها مستعدة لدخول وادي الرافدين من كل الجهات . مع الفارق الزمني ، أستمر تكرار مثل هذه ألأحداث ألتي تلت زوال حضارة سومر على نحو ما حصل للفترة ألتي تلت أجتياح جيوش كورش ألفارسية لبابل عاصمة بلاد ما بين ألنهرين في ألعام ٥٦٣ قبل ألميلاد ليستمر تكرار مثل هذه ألأحداث لحد أليوم .

١,٣- الحضارة البابلية :

معلم من المعالم المضيئة في تاريخ بلاد ما بين النهرين هو ظهور امبراطورية جديدة فيها وهذه الامبراطورية هي تلك التي تركت وراءها اسما شهيرا هو **مدينة " بابل " واسما مشهورا اخر ارتبط بتلك المدينة هو الملك حمورابي** . لقد احتل هذا الملك مكانة خاصة في التاريخ بسبب سمعته في سن القوانين مع ان العالم لا يعرف كثيرا عن تفاصيل حياته . تعتبر الشرائع التي سنها هذا الملك من اول الشرائع في التاريخ وهو من وضع شريعة " السن بالسن والعين بالعين " وهو ايضا اول حاكم حقق وحدة وادي الرافدين ومع ان حياة هذه الامبراطورية قصيرة الا ان بابل ظلت منذ ذلك الوقت رمزا رئيسيا للشعوب السامية في الجنوب . لقد بدأ الامر بانتصار عشيرة امورية على اعدائها في الفترة المشوشة التي اعقبت دمار مملكة اور . من المحتمل ان حمورابي اصبح ملكا في العام ١٧٩٠ قبل الميلاد وقد حافظ الملوك الذين جاؤو بعده على هذه الامبراطورية حتى العام ١٦٠٠ قبل الميلاد عندما قامت اقوام ، يقول عنها المؤرخون الغربيون بانها اقوام هندو - اوربية بتحطيم بابل فاصبح وادي الرافدين مرة اخرى منقسما بين اقوام متصارعة جاءت من كل الجهات .

وصلت الامبراطورية البابلية ذروتها عندما امتدت سيطرتها من سومر والخليج العربي جنوبا وحتى القسم العلوي من وادي الرافدين . لقد حكم حمورابي المدن نينوى ونمرود الواقعتين قي اعالي دجلة وماري الواقعة في اعالي الفرات (حالبا هي جزء من سوريا) **فسيطرعلى النهر حتى نقطة قريبة من حلب مما شكل منطقة طولها ١١٢٠ كم وعرضها ١٦٠ كم أي بمساحة ١٦٨٠٠٠ كم٢ فاصبحت من اكبر الدول التي ظهرت في المنطقة حتى ذلك الوقت .** اقامت هذه **الد**ولة هياكل ادارية وشرعت قوانين اشتهرت بعدالتها رغم ان بعضها قد نقلها حمورابي من اوائل السومريين اللذين دونوها على الواح طين ولم يتم العثور الا على اجزاء منها مما دفع حمورابي الى نقش قوانينه على حجر ضخم دائري الشكل جرت تسميته **" بالمسلة "** . وضعت هذه ألمسلة في ساحة المعبد لكي يطلع عليها كل افراد الشعب وقد جمعت هذه القوانين بقدر اكبر وبترتيب افضل من السابق واحتوت على ٢٨٢ مادة قانونية تتناول مجموعة واسعة من نواحي الحياة ولهذا فهي لم تكن شرائع فحسب بل اعلان عن وجود قوانين قام حمورابي بجمعها لتنظيم حياة مجتمع وادي الرافدين في قوانين تتناول في أغلبها الامور المتعلقة بالعائلة والارض والتجارة . كانت العملية القضائية في زمن حمورابي قد انفصلت عن المعبد ولم تكن هناك احكام تخرج من الكهنة . ان القوانين التي نقشت في المسلة تثبت بوضوح بان الهدف هو ضمان تحقيق العدالة من خلال نشرها بحيث يستطيع اي مواطن ان يقرأها وقد جاء فيها : **دع المضطهد الذي لديه قضية أن يأتي ألى مسلتي ويقرأ ما جاء في شريعتي** . من ألمؤسف ألنظر ألى هذه ألقوانين على أنها قوانين قاسية مقارنة بألأعراف وألتقاليد ألغير مكتوبة التي وضعها ألسومريون في ألسابق لأن في هذه ألمسلة بعض ألمواد ألمتعلقة بأمور ألمرأة وهي مواد حافظت على ألتقاليد وألأعراف ألسومرية ألقديمة . أحتوت هذه ألقوانين أيضا على بعض ألمواد المتعلقة بألملكية منها ما يتعلق بألعبيد مع أن لدى ألسيد ألذي يملك ألعبيد ألسلطة ألمطلقة عليهم ألا أنه سمح لبعضهم في بابل بألتمتع باستقلالية اكبر من غيرهم في ممارسة الاعمال الخاصة بهم بحيث انهم يستطيعون امتلاك العبيد ايضا للعمل لحسابهم وهذا يعني بأنهم كانوا يتمتعون ببعض ألحقوق لهم وان كانت ضيقة .

الحضارة البابلية كغيرها من الحضارات القديمة وكغيرها من المجتمعات الحديثة ألكثيرة ، قامت على العبودية نتيجة لانتصار فريق على فريق اخر في الحروب التي حصلت في بدايات التاريخ . هناك ادلة غير موثقة تبين بان العبيد كانوا يقومون باعمال مختلفة خلال العصر الذهبي **لأور** منذ اواسط الالفية الثالثة وحتى انتصار الاشوريين في الألف وخمسمائة سنة التالية وهو أمر درجت عليه كثير من ألأقوام ليس في ألعصور ألقديمة فقط بل في ألعصر ألحديث عندما كان ألمجتمع ألأمريكي يزخر بأسواق ألعبيد خاصة من ألزنوج .

اصبحت الحضارة البابلية في ذلك الوقت اسطورة في العظمة فقد احتفظت مدينة **بابل** بصور رائعة بعالميتها وكانت مدينة تضج بالمباهج والنزعات الاستهلاكية كما هو الحال الان في نيويورك وباريس مثلا .

أصبح اسم بابل مرتبطا بالترف والحضارة فالقصر الكبيرفي ماري في سوريا الحالية خير مثال على ذلك فهو مبني بجدران سمكها مترين ويحيط بباحة القصر الذي يحتوي على ثلاث مائة غرفة مجمع قنوات تصريف مياه يصل عمقها الى تسعة امتار ويغطي مساحة قدرها ستون مترا طولا واربعون مترا عرضا وهو دليل على ما كانت تتمتع به السلطة انذاك من ترف وعظمة . كان هذا القصر يحتوي على الواح طينية فيها كتابات تسجل تفاصيل الاعمال التي كانت تهتم بها السلطة وقد تم انقاذ عدد من هذه الالواح الطينية البابلية أكثر مما تم انقاذه من الواح الدول السابقة لها . ساعد أنقاذ هذه ألألوح على ألتعرف بشكل أفضل لكثير من ألتفاصيل عن هذه الحضارة . قدمت هذه ألألواح ادلة على المستوى العقلي للمجتمع البابلي الذي قدم اسطورة " كلكامش " التي اخذت شكلها المعروف عند الناس الحاليين . طور البابليون الكتابة المسمارية لتصبح اكثر مرونة واسهل استعمالا وقد دفع علمهم بالنجوم الى التقدم في دراسة الطبيعة فخلفت اساطير عن حكمة الكلدانيين وهو اسم يطلق احيانا على البابليين .

من خلال محاولة التعرف على مصيرهم ، لجأ البابليون الى مراقبة النجوم فاسسوا بذلك علم الفلك فتمكنوا من تثبيت سلسلة من الملاحضات التي اصبحت علامة من علامات حضارتهم . بعد البدايات الاولى لأور ، تطلب الامر قرونا لتراكم المعرفة بحيث اصبح في العام ١٠٠٠ قبل الميلاد بالامكان **توقع كسوف القمر** وبعد اثنان او ثلاثة قرون من ذلك العام تم تحديد **مسار الشمس وبعض الاجرام الاخرى بدقة متناهية بالنسبة لحركاتها حول مواقع ثابتة لبعض النجوم فكانت هذه النشاطات ممارسة علمية عكست كيفية استخدام البابليين للرياضيات التي ادت الى ان تترك للبشرية نظام ألـ ٣٦٠ درجة للدائرة وألـ ٦٠ دقيقة للساعة** كما وضعوا جداول **الرياضيات الهندسية واساسيات الجبر** التي كانت لها استخدامات عظيمة . بدأ هذا العلم في المعابد أولا من خلال تأمل حركات الاجرام السماوية اثناء حلول مهرجانات البذر والحصاد وهي تقاليد قريبة من تقاليد السومريين . أما علم ألكونيات ألبابلي فقد ظل كما بدأ في سومر وهو ألأعتقاد بأن ألكون قد جرى خلقه من ألماء ألضحل ألذي تم خلق ألأنسان منه ليصبح عبدا للأله .

ان الأنجازات التي حققها حمورابي لم تساعد بابل على البقاء طويلا فالاحداث في شمال وادي الرافدين دللت على ظهور قوى اخرى حتى قبل ان يشكل امبراطوريته وكانت احدى تلك القوى هي مملكة " اشور" الفتية و الناهضة . بعد نهاية حكم حمورابي لوادي الرافدين ، دارت معارك عديدة على تلك ألأرض انتهت بأزاحة مركز ثقل بابل ليتحرك مركز ثقل تاريخ بلاد وادي الرافدين بقوة نحو ألشمال بعيدا عن سومر القديمة في ألجنوب .

هناك اقوام اسمهم "الهيتيتين" ممن يقطنون في مناطق الاناضول تمكنوا من اقامة مملكة لهم هناك في العام ٢٢٥٠ ق. م. لم تلبث هذه الاقوام حتى بدأت في التقدم تدريجيا خلال القرون القليلة التالية نحو الجنوب

وكانت هذه الاقوام تستخدم في ذلك الوقت اللغة الهندو- اوربية بحيث انهم استطاعوا في العام ١٧٠٠ قبل الميلاد من السيطرة على الاراضي الواقعة بين سوريا والبحر الاسود (١) . عقد احد ملوك هذه ألأقوام قبل وفاته ألنية بألتوجه نحو بابل التي اصبحت ضعيفة بعد حمورابي لتتقلص حدودها عما كانت عليه اكد القديمة فأقدم أحد ملوكهم بألزحف نحو بابل لأستكمال المهمة فسيطر عليها ونهبها فانتهى بذلك حكم سلالة حمورابي وانتهت انجازاته . انسحبت هذه ألأقوام من بابل لتتنازع أقوام أخرى على حكم بلاد ما بين النهرين لفترة غامضة طويلة تصل الى اربعة قرون وليس هناك ما يفيد عن الذي حصل خلالها سوى ان بابل قد أنفصلت عن أور . وفي ألعام ١١٦٢ قبل ألميلاد اجتاح العيلاميون بابل فنقلوا بعد انسحابهم منها نصب الاله رئيس الهة البابليين " مردوخ " فقرر البابليون ان يعيدوه وهو مكلل بالمجد فاستعدوا لمحاربتهم الى أن انتصروا عليهم وأعادو الأله مردوخ الى مكانه . خلال هذا الانتصار وبعده ، هناك فترة مشوشة وغير واضحة لكنها تلقي الضوء على ان تاريخ العالم بدأ بالتحول عن بلاد ما بين النهرين مع ان الامبراطورية الاشورية لم تقم بعد وهي لا تزال رهن المستقبل . قامت ألأمبراطورية ألأشورية على خلفية وصول موجات سامية كبيرة جديدة من المهاجرين بين العام ١٣٠٠و ١٢٠٠ ق.م. فادخلوا حضارة هي اكثر عمقا ومباشرة من سابقتها في سومر . أقامت هذه الاقوام الأشورية المنتصرة مملكة قائمة على نفس الاسس التي قامت عليها مملكة سومر السابقة وفي العام ١٠٠٠ ق .م. غرقت هذه ألمنطقة تقنيا ،عقليا ، قانونيا وثيولوجيا في دوامة السياسة الدولية التي لم تكن موجودة قبل ذلك التاريخ لكن مع ذلك ظل العالم كله حاملا بصمات السومريين الذين صنعوا الحضارة الاولى التي قاموا بتمريرها للاخرين بشكل يدعو ألى ألأعجاب (١) .

١,٤- الحضارة الاشورية :

الاموريون هم اقوام سامية ايضا وحالهم كحال الاقوام الاخرى من السومريين والبابليين والأكديين الاوائل الذين بنوا اول حضارة في تاريخ الانسانية . نزحت هذه ألأقوام من وادي الخليج العربي بعد ان غمرته بمياه البحر في نهاية العصر الجليدي الاخير ومن الجزيرة العربية بعد ان نضب ماؤها وازداد جفافها الى مناطق الهلال الخصيب . انتشر الاموريون في مناطق مختلفة من هذا الهلال وهم من نجح بمشاركة العيلاميين في دحر جيوش مملكة اور وازالة نفوذها فاسسوا مملكة اشور في اعالى دجلة واقاموا سلسلة ممالك في دمشق وبابل امتدت حتى وصلت سواحل فلسطين . كانت ألفترة بين ٢٥٠٠ و١٣٠٠ ق.م. فترة اضطرابات ونزاعات في بلاد ما بين النهرين وفي المناطق الاخرى من الهلال الخصيب ، أدت ألى حصول تغييرات سياسية استطاع فيها الاشوريون من اقامة مملكة صغيرة لهم في اشور في اعالي نهر دجلة على حساب الامبراطورية الاكدية . لقد ازدحمت أراضي منطقة الهلال الخصيب خلال تلك الفترة بأقوام عديدة متهيئة جميعها لدخول بلاد ما بين النهرين في حين كان يتنازع العالم في العام ٢٢٥٠ قبل الميلاد ثلاث

دول كبرى ، اكبرها واهمهما هي الامبراطورية الاكدية ومملكة وادي النيل ثم مملكة الهيتيتين في غرب الاناضول .

شهد العام ١٣٠٠ قبل الميلاد كما هو واضح من ألخريطة ٢ انقسام بلاد مابين النهرين الى مملكتين : مملكة اشورية صغيرة في أعالي دجلة ومملكة بابلية في باقي ارض وادي الرافدين وشهد أيضا توسع واضح لكل من الامبراطورية المصرية والامبراطورية الهيتيتية . أستغلت ألمملكة ألأشورية الصغيرة ضعف المملكة البابلية التي لم تستطع دفع اعدائها العيلامين عن حدودها والفوضى التي عمت ألمنطقة وعموم منطقة ألشرق الاوسط للقيام بتوسيع اراضيها . حصل التوسع ألأول لهذه ألمملكة على يد عدة ملوك اشوريين اهمهم نجلات بلاصر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق . م) وسرجون الثاني (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م.) الذي استطاع من التمدد غربا بعد أن قضى على ألممالك المنتشرة في بلاد الشام ومنها مملكة يهودا في السامرة عام ٧٢٢ قبل الميلاد . لجأ سرجون على تبني سياسة التهجير مع سكان هذه ألمملكة واحلال سكان جدد مكانهم وهي سياسة لم يتبعها احد من قبله مما ساعده على التمدد جنوبا في فلسطين ليصل ألى تخوم بلاد وادي النيل . ثم اتجه ايضا نحو احتلال الاراضي الواقعة في الشمال الشرقي من بلاد الشام فاتسعت اراضي مملكته لتصل حدود جبال طوروس وآرارات الارمنية (١) . ألذي بميز هذه ألأقوام عن ألأقوام ألسابقة هو نزعتهم العسكرية التوسعية و براعتهم في الادارة والحرب مما يفسر تبنيهم الاسلوب السريع والعاصف في الهجوم الذي يقومون به للاستحواذ على اراضي التجمعات البشرية والممالك الاخرى , لقد ورث الاشوريون ثقافة سومر من لغة وعلوم ومعرفة ووظفوها لتحقيق أهدافهم في ألتوسع وأقامة أمبراطورية أشورية متميزة لكن بدون أضافة على العلوم والمعارف ألسابقة شيئا .

منذ الفترة ٨٨٣ – ٨٥٩ ق.م. وهي الفترة الذي عاشها الملك " اشور ناصر بال الثاني" ، وجهت المملكة جل اهتمامها على التنظيمات العسكرية وعلى التوسع في استخدام العربات العسكرية وفرق الخيالة وغيرها من مستلزمات الحرب مع ما يتبع ذلك من تموين و قدرة ومعرفة عالية في الادارة . ساعدت هذه ألأجرائات عل تمهيد ألأرضية للملوك الاشوريين الذين تلوه على الاستمرار في الاستحواذ على مزيد من اراضي الأقوام الاخرى والتوسع في كل الاتجاهات حتى استطاعوا ان يقيموا اكبر امبراطرية عرفها التأريخ في ذلك الزمن فكانت لهم عدة عواصم يتنقلون من واحدة الى اخرى هي اشور ونمرود ونينوى .

وصلت الامبراطورية الاشورية ذروة توسعها وازدهارها عندما تمكن اشور بانيبال من السيطرة على الحكم في ألفترة من العام ٦٦٩ وحتى العام ٦٢٦ قبل ألميلاد ، كانت فيها الامبراطورية الأشورية ، كما تبين نفس الخريطة ٢ قد سيطرت على مصر السفلى بعد ان احتلت جيوشها " ممفيس" العاصمة وسيطرت على اراضي العيلامين وعاصمتهم سوسة ثم بعض من اراضي بلاد فارس في الشرق والتمدد في الاتجاه الشمالي-

الشرقي حتى ارمينيا والجزء الاكبر من الاناضول . اضافة الى التميز في الحروب والتوسع ، تميز عهد هذا الملك العظيم المحب للعلوم والثقافة ببناء القصور الفخمة المترفة التي وضعت على أبوابها الثيران المجنحة التي ابدعها الفنانون الاشوريون . كما ارتبط اسم هذا الملك بالمكتبة التي قام بتأسيسها من حيث كبر حجمها و كمية ما تحتويه من الواح ظمت اغلب ان لم يكن كل التراث الثقافي والعلمي لبلاد ما بين النهرين الذي أهتم الملك اشور بجمعها من كافة اطراف الامبراطورية (١) . تمكن ألأثاريون من ألعثور على هذه المكتبة مدفونة تحت الارض في اواسط ألقرن ألتاسع عشر وهي تحتوي على ألاف ألألواح منها النسخة الكاملة لملحمة كلكامش الشهيرة . بعد كل هذا الغنى والعظمة والقوة حصل نزاع بين ورثة اشور بانيبال بعد وفاته مما ادى الى ضعف المملكة وتفككها في نفس الفترة التى شهدت نهوضا سريعا لبابل على يد اول ملك للسلالة الاخيرة التي حكمت بابل وهو " نابو بلاصر" الذي زحف في العام ٦١٦ ق. م. بجيوشة قاصدا مركز سلطة بلاد اشور فاخضعها لملكه في العام ٦١٤ ق. م. فعادت بابل الى القها ألقديم الى ان دخلتها الجيوش الفارسية تحت قيادة كورش (سيروس) في العام ٥٣٩ قبل الميلاد فحطمها ونهبها وأطفأ وهجها نهائيا فغابت عن العالم (١)

.

١,٥ - اخر امبراطوريات بلاد ما بين النهرين :

بعد أن تمكن " الميدينيون " من أحتلال شمال العراق ودخلوا العاصمة نينوى في العام ٦١٢ ق.م. وأزاحة مركز سلطة ألأشوريين ، وجد ألبابليون أن ألفرصة أصبحت سانحة لأقامة مملكتهم من جديد في بيقية اراضي وادي الرافدين . كان ظهور الميدينيين على مسرح تاريخ المنطقة كقوة رئيسية ادى الى تغيرات هامة في المنطقة كما أدى ألى تصبح اراضي منطقة الهلال الخصيب وبلاد وادي ألنيل مسرحا لصراع أقوام مختلفة . حارب ألبابليون الميدينيين البرابرة القادمين من القوقاز ودفعوهم الى داخل روسيا وقام احد فراعنة مصر باحتلال جنوب لبنان بينما المنواشات العسكرية الشبه دائمة قائمة بين العيلاميين وسكان حنوب بلاد ما بين ألنهرين . ظلت مثل هذه التهديدات **في تدخل الاقوام الهندو - اوروبية من الشمال والشرق في أوضاع أقاليم** ألمنطقة ألعربية مستمرة منذ ذلك ألتأريخ وألى ألوقت ألحاضر .

من خضم هذ ألأضطراب والفوضى ، ظهر ملك استثنائي لمملكة بابل هو **الملك " نبوخذ نصر "** ألذي تمكن من اقامة امبراطورية **امتدت من السويس على البحر الاحمر وبلاد الشام وألى مملكة عيلام** القديمة فمنح بلاد ما بين النهرين الحضارة والفخامة والعظمة ومع كل ما حصل فيما بعد سيظل نبوخذ نصر في الذاكرة على انه اخر وأكبر محارب منتصر .

بعد ان تكرر ما كان يقوم به العبرانيون من اثارة القلاقل بوحه الدولة ، قام هذا الملك في العام ٥٩٧ ق.م. بالزحف الى فلسطين فقضى على تمردهم ودمر اورشليم - القدس وامر بنقل العشائر من جودا – منطقة

القدس – الى بابل كأسرى تم استخدامهم للقيام بزخرفة وتجميل عاصمته التي يتذكر العالم كله على ان شوارعها وجنائنها المعلقة هي احدى عجائب ألدنيا السبعة فأصبح نبوخذ نصر ملك عصره . لا يبتعد مجد هذه الامبراطورية من تأثير الايمان بالاله مردوخ الذي وصل في ذلك الوقت الى القمة . كان يقام عند كل سنة جديدة مهرجان عظيم لكل الهة بلاد ما بين النهرين فكانوا يأتون من كافة الانهار والقنوات الى مردوخ في معبده ليقدموا له الطاعة والاعتراف بقوته المطلقة . وللوصول الى ذلك المعبد الذي يحتوي على نصب لذلك الاله ، تم انشاء طريق طوله ١,٢ كم تقريبا يمتد من ضفة نهر الفرات ليصل الى ذلك المعبد وهو مرصوف بقطع من الذهب يصل وزنها الى طنين وربع على حد ما نقله المؤرخ اليوناني هوميروس . كان هذا ألمعبد مركز مصير عالم ذلك العصر بكامله ففيه تجتمع الالهة للنقاش واتخاذ القرارات لما يجب القيام به في السنة القادمة ليكون الملك مسؤولا عن تنفيذ ما تم أقراره من المهمات وله السلطة المطلقة لتحقيقها (١) .

كان هذا اخر ازدهار لبلاد ما بين النهرين وقد انتهى عهده بسرعة فقد اخذت الامبراطورية بالتفكك والانقسام خلال حكم خليفة نبوخذ نصر . استغل الفرس ضعف ووهن بلاد ما بين النهرين فاقدموا على غزوها في العام ٥٣٩ ق.م. بقيادة كورش – سيروس - حيث جرت عمليلت نهب وتدمير عاصف و شامل لمدينة بابل العظيمة من قبل المحتلين بينما أدخل هذا الاحتلال الفرح على قلوب بعض أحبار يهود بابل واعتبروا كورش مرسلا من الرب لفك أسرهم . شكل هذا الحدث نقطة تحول في مسار التاريخ الانساني فقد انتهت الثقافة المستقلة لبلاد مابين النهرين التي انتجتها سومر فغابت حضارتها من التأريخ .

- **بدايات حضارة وادي النيل :** لم تكن بلاد ما بين ألنهرين ألمكان ألوحيد ألذي يملك وديان لنهرين عظيمين هما دجلة وألفرات فهناك وادي نهر النيل في مصر ووادي السند في ألهند ووديان ألصين ، لكن ألفرق هو أن وديان منطقة ألهلال ألخصيب كانت مهد أولى ألحضارات الانسانبة وأول من انتج القوة التي ادت الى ألأبداع الحضاري .

بعد اربعة قرون من ظهور حضارة ألسومريين ، بدأت تظهر بدايات الحضارة في بلاد وادي النيل لكن ما يميز هذه الحضارة عن الحضارة الأولى في بلاد ما بين النهرين ، هو انها خلفت بعد موتها بألاف السنين بقايا فيزيائية ظاهرة تسلب لب البشرية وتثير خيالها .ان ما خلفته حضارة وادي النيل من اثار شاخصه لحد الان هو السبب وراء ما يعرفه الناس عن هذه الحضارة اكثر من ما يعرفونه عن حضارة وادي الرافدين التي لم تخلف سوى القليل جدا من نتاج حضارتها الرائعة ولو لم يتم العثور على مكتبة اشور بانيبال لما عرف عنها الا النزر اليسير عنها . فمدينة اكد مثلا ، التي بناها سرجون العظيم في غرب العراق والتي ينتسب اليها الاكديون لم يتم العثور عليها لحد الان وقد فشل الاثاري العراقي الكبير طه باقر عندما اعتقد بانها موجودة تحت موقع اسمه تل الدير وعندما بدأت الحفريات في هذا التل لم يتم العثور على اي او اثر يؤكد

وجودها هناك غير أن الاثاري العراقي بهنام ابو الصوف قال قبل وفاته " أننا نعرف الان بأن هذه المدينة مغمورة بالمياه الجوفية تحت ألأرض وفيها قبر حمورابي (٢) .

هناك اختلاف هام بين حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل لكن لأن الحضارة السومرية هي الأسبق في التأريخ فمن الطبيعي ان يصبح بامكان المصريين الاستعانة **بتجربة تلك الحضارة والأقتداء بها** غير أن ما تعنيه هذه الأستفادة وهذا الآقتداء فهو امر كان عرضة للجدل بين العلماء . **يمكن مشاهدة مساهمات وتأثيرات حضارة بلاد ما بين النهرين في المحاولات المبكرة للفن في بلاد النيل من خلال استخدام تقنية الاختام الاسطوانية في بدء توثيق نشاطات المصريين وكذلك من خلال استخدام التقنية المماثلة في بناء المعابد . كما تدين الكتابة الهيروغلوفية الصورية المصرية للكتابة السومرية ألأولى قبل تحولها الى الأبجدية أضافة الى انه كانت هناك علاقة هامة ومثمرة بين بدايات حضارة مصر وحضارة سومر لا يرقى اليها الشك** لكن متى وكيف حصلت تلك العلاقة بين شعبي سومر والنيل فهو امر غير معروف لحد الان . في كل الاحوال عملت هذه التأثيرات على تحقيق تجربة مصرية خالصة تختلف كثيراعن اي مركز اخر للحضارة الانسانية وذلك بسبب التأثير الأستثنائي لنهر النيل في حياة المصرين ليأخذ مكان القلب فيهم خلال كل فترة ما قبل التاريخ وما بعده .

عرفت مصر بنهر النيل الذي يشق ارض الصحراء المحيطة به فهو يقوم بأرواءها منذ مرحلة ما قبل التأريخ حيث يتحول وادي تلك الارض الى واحة خضراء بطول ٩٦٠٠ كم وبعرض قليل من الكيلومترات ثم يتسع عرض هذه الواحة ليشكل دلتا شمال مصر بعرض يصل الى ١٦٠ كم فكان فيضان النيل منذ البداية اساس اقتصاد مصر في حياة المجموعات البشرية التي تعيش على ضفافه . لقد اخذت الزراعة في الاراضي الطينية طريقها تدريجيا في ذلك الوادي وكان على التجمعات السكانية فيه عدم البقاء في مكان واحد بسبب اختلاف البيئة من مكان لاخر .

قبل ٤٠٠٠ سنة ق. م. بدأ سكان وادي النيل يشعرون بحصول تغيير في المناخ فأخذوا يتخلون عن الصيد كمصدر وحيد للحصول على الطعام واتجهوا الى الزراعة مستخدمين تقنيات بدائية لزراعة الارض الغنية التي غمرتها مياه الفيضان سابقا وهي حاملة ألغرين . بالرغم من ان هناك اشارات في الالفية الرابعة قبل الميلاد عن **وجود اتصالات مع السومريين ساعدت على ان يتبين سكان وادي النيل بان التجربة السومرية كانت مفيدة كعنصر ازدهار** . لم يكن ألتأثير ألسومري هو العامل الحاسم في ظهور بدايات الحضارة في وادي النيل لأن العامل الحاسم هو توفر مقومات كامنة للحضارة في ذلك الوادي وبالتالي فأن سكان هذا الوادي ليسوا بحاجة لعامل خارجي لقيام الحضارة عندهم .

ساهم علماء الأثار في التعرف على الجذور العميقة لهذه الحضارة عندما أكتشافوا وجود مجموعات بشرية ذات اصول حامية في اعالي النيل كانت منذ حوالي ٥٠٠٠ عام قبل الميلاد تمارس صيد الحيوانات والأسماك والزراعة . لقد بينت الرسومات الفخارية التي عثر عليها بأن هذه المجوعات كانت تعيش في قرى تتجمع حول مراكز تجارية يبدو انها تعود لجماعة تملك حيوانات تمثل رموزا وطمطمات دينية فشكلت هذه التجمعات اساس التنظيم السياسي لمصر . ظهر من بين تلك ألمجموعات قادة بدأوا يكونون أتباع لهم للسيطرة على مناطق تلك ألمجموعات أللتي كان لها في المراحل المبكرة بعض الانجازات التقنية بالرغم من انها كما يبدو ليست مكونة من مزارعين ماهرين كأولئك الذين سكنوا الهلال الخصيب . كان باستطاعة هؤلاء ان يصنعوا الزوارق ويزاولوا ألعمل ألشاق في نحت حجر البازلت وطرق النحاس لأستخداماتهم اليومية . لا يمكن انكار انه كان هناك تأثير خارجي كثيف في مناطق تلك التجمعات وخاصة في منطقة الدلتا لان هناك ادلة متعددة عن وجود اتصالات تجارية مع مناطق اخرى **وخاصة منطقة بلاد ما بين النهرين التي اصبح تأثيرها واضحا في فن الحضارة المصرية** . في نفس الفترة ، ادت عمليات الصيد والزراعة التي كان يمارسها المصريون القدماء بالتدريج الى تكثيف حالة التجمع السكاني الذي خلق الضروف المناسبة لأقامة الاسس الهيكلية السياسية لظهور الملكية المصرية في المستقبل (١) .

٢,١ - بدايات ظهور الممالك المصرية :

في وقت ما من ألألفية الرابعة ، في حوالي ٣٢٠٠ عام قبل الميلاد ، أدى وجود التجمعات ألمصرية ألقديمة ألى ظهور ملكية ثنائية : مملكة في منطقة الشمال في الدلتا والاخرى في مصر السفلى . لقد حصل هذا بشكل مختلف عما حصل في سومر لانه لم تكن في مصر ظاهرة دول المدن كما كان الحال في بلاد ما بين النهرين بل كانت مجموعات سكانية ريفية زراعية متناثرة والمكان الوحيد لتجمع تلك ألمجموعات هو مجمع لتجارة المنتجات الزراعية . مع ذلك بدت مصر وكأنها موحدة سياسيا بسبعمائة سنة قبل ان تتوحد بلاد ما بين النهرين مع ان مصر لم تعرف بعد تجربة الحياة المدينية التي عرفتها بلاد ما بين النهرين . لا احد يعرف الكثير عن الملكين اللذان حكما جزئي مصر في ٣٢٠٠ ق.م. ، لكن يمكن القول انهما ربحا الصراع من اجل تقوية سلطتهما والسيطرة على المجموعات السكانية شيئا فشيئا لتستمر بعد ذلك لعدة قرون . في نفس الوقت تقريبا بدأ تدوين الاحداث ولأن الكتابة كانت موجودة منذ بداية القصة المصرية فان المعلومات التأريخية لتطور الحضارة فيها أمكن جمعها على نحو يفوق ما امكن جمعه عن سومر . لقد استخدمت الكتابة المصرية منذ بداية ظهورها ليس فقط لأغراض الادارة والاقتصاد بل لتسجيل الاحداث على النصب التذكارية التي كان يتوقع لها ان لا تختفي مع الزمن .

تقول المدونات التي كتبت في ٣٢٠٠ سنة ق.م. بأن الملك العظيم مينيس وهو ملك مصر العليا قد احتل مملكة مصر السفلى فأصبحت مصر موحدة في دولة واسعة طولها ٩٦٠٠ كم لتصل الى ابو سمبل وكان من الممكن ان تكون اكبر بألامتداد نحو اعالي النيل اكثر لولم تحصل الاضطرابات من وقت لاخر في تلك المملكة . كانت مصر مصدرا للأبداع وموءلا للأحترام لان المدهش في حضارتها ليست التقلبات التي صاحبتها وانما استمرار السلطة الملكية المحافظة لتلك الحضارة حتى وصول العصر التقليدي لليونان وروما فانتهت اعظم ايامها في حوالي ١٠٠٠ سنة ق.م. .

يمكن تقسيم تأريخ مصر الى خمسة مراحل رئيسية ، ثلاثة من هذه المراحل جرى تسميتها على التوالي بمرحلة الممالك القديمة ، بمرحلة الممالك المتوسطة ومرحلة الممالك الحديثة وهي مراحل يفصلها عن بعضها حقبتان اضافيتان دعيتا بالحقبتين الانتقاليتين الاولى والثانية وباختصار شديد يمكن القول بان الممالك الثلاث في تلك المراحل هي فترات النجاح او هي فترات سيطرة السلطة الحكومية بينما تشكل الحقبتان الانتقاليتان فترة كان يسود فيها الاضطراب والضعف الناتجان عن عوامل خارجية وداخلية .

٢,٢ - الممالك المصرية القديمة :

وجدت الدولة المصرية للتعبيرعن حضارة وادي النيل التي ظهرت بدايتها في مدينة ممفيس التي شيدت ابنيتها في زمن ألفرعون مينيس فاصبحت عاصمة المملكة المصرية القديمة . فيما بعد ، في زمن المملكة الجديدة اصبحت ألعاصمة مدينة طيبة مع انه لا يوجد ما يؤكد مكانهما حتى الان . الواقع هو ان هاتين العاصمتين لم تكونا مدينتان حقيقيتان اكثر مما كانتا مركزين دينيين عظيمين ومجمعا لقصور ملكية ولم يتطورا ليصلا الى وجود حياة مدينية حقيقية فيهما . كان الغياب المبكر للمدن في وادي النيل على ما يبدو ضرورة سياسية لأن ملوك مصر لم يظهروا كما ظهر ملوك سومر كرجال مميزيين في مجتمع دولة المدينة بل ظهروا نتيجة للعلاقة المتينة بين القصر الملكي والمعبد المقدس والتي لم يشوبها اي توتر لسبب بسيط هو ان الفراعنة اخذوا مكان الالهة ولم يكونوا خداما لها . لقد اطلق لقب فرعون على شخص الملك في مرحلة المملكة الحديثة وكان فراعنة تلك المرحلة يؤمنون بقدرتهم في السيطرة على أرتفاع وأنخفاض مياه نهر النيل ألسنوي ويؤمنون ايضا بان الحياة ذاتها ليست اكثر من مجتمع يعيش على ضفاف ذلك النهر . ان فكرة ان الملك هو المالك المطلق للأرض ظهرت في المملكة القديمة وسرعان ما اصبح هذا الملك مرسلا من قبل الاله المالك الاصلي للأرض وهذا الاله هو حورس ابن اوسيرس الذي كان يتمتع بقدرة خارقة في الأيحاء وصنع النظام . فيما بعد ، ومع ان الدولة ظلت دولة اريافـ ، حمل الملوك الفراعنة في مرحلة المملكة الحديثة صفة البطولة المثالية كرجال حرب يظهورن وهم راكبين عرباتهم الحربية لمقابلة الاعداء والقضاء عليهم . كانت البيروقراطية في هذه المملكة هي التي تسيطر على أرض سكانها عبارة عن فلاحين لا يمكنهم التمتع

بحياة مريحة لانهم يعملون كسخرة للنظام الملكي والفائض من ذلك العمل يذهب الى طبقة النبلاء من البيروقراطيين والمؤسسات الدينية الكبرى . كانت مساكن الفلاحين في مصر القديمة تبنى من قطع الطين الجاف وهي القطع التي يطلق عليها العراقيون اسم " اللبن " - بكسر اللام - بينما كانت قصور الفراعنة والمعابد والنصب شيئا اخر فهي تبنى من الحجر المتوفر في بعض مناطق وادي النيل .

اخترع المصريون العمود الرخامي لكن تقدمهم في البناء الضخم لم يكن من الناحية المعمارية والتقنية بنفس قدر تقدمهم الاجتماعي والاداري . بدأ المصريون تحت حكم السلالة الثالثة في بناء الاهرام في منطقة صقارة قرب العاصمة ممفيس وقد قام بتصميم احد هذه الاهرامات مستشار الملك امنتحب . كان عمل هذا المستشار مثيرا للدهشة فهو اضافة الى انه كان ضالعا في الطب ، كان عالما في التشريح وكاهن وحكيم و كان ينظر الى الهرم على انه دليل القوة الألهية . في عصر السلالة الرابعة تم الأنتهاء من بناء احد اكبر الأهرامات في الجيزة و تقول الاسطورة بانه قد تم استخدام مئة الف رجل وعدد ضخم من الاحجار يصل الى ما بين خمسة وستة مليون قطعة ، جرى جلبها من اماكن تبتعد بمسافة ثمنمائة كيلومتر . تم بناء الاهرامات بدقة متناهية وكل هرم تم تصميمه ليكون مجمعا عظيما لسكن الملك بعد الموت كما انها تقدم دليلا واضحا على قوة الدولة الفرعونية وثقتها بنفسها . أضافة الى بناء ألأهرامات ، تم بناء المعابد الصخمة والقصور والمقابر في مناطق اخرى من مصر كوادي الملوك . رغم أن ما تبقى من مصر القديمة يدلل على حرفية عالية تتطلب المهارة الضرورية في الرياضيات المطلوبة في الاعمال الهندسية الا ان المصريين لم يتمكنو الا من استخدام قوانين رياضية محدودة وبسيطة لحساب الحجم والوزن وهذا هو كل ما توصلت اليه مصر في علم الرياضيات . علم الرياضيات الحديث لا يؤمن باهمية ما وصل أليه علم ألرياضيات المصري فهو لم **يصل الى جزء ولو يسير مما وصلت اليه بلاد ما بين النهرين في هذا العلم** .لا شك ان الرياضيات البدائية التي يملكها المصريون هي التي تفسر **عقمهم في علم الفلك الذي تخلفوا فيه كثيرا بألمقرنة مع البابليين لكن هنك عمل واحد مؤكد من الاعمال الفلكية للمصريين هو وضع التقويم السنوي** . كان المصريين اول من حدد ان السنة تتكون من ٣٦٥,٢٥ يوم ثم قسموا السنة الى اثني عشر شهر ، كل شهر يتكون من ثلاثة اسابيع وكل اسبوع يتكون من عشرة ايام مع اضافة خمسة ايام عند نهاية كل سنة . مع ان التقويم هو نتيجة لمتابعة حركة النجوم الا ان الباعث الاصلي في تقويم المصريين هو نتاج متابعة النبض العظيم لقلب الحياة المصرية وهو فيضان النيل . لقد أعطت هذه المتابعة للفلاحين المصريين سنة مكونة من ثلاثة مواسم كل واحد منهم يتكون من اربعة اشهر تقريبا ، واحد للزرع وواحد للفيضان والاخير للجني .

كان للحياة الدينية في مصر اثر كبير في حياة الناس وكانت الحدود بين الدين والسحر في مصر القديمة غير مهمة كثيرا لأن السحر كان دائما منتشرا كالسرطان في الدين المصري وهو الشيء الذي يلعب الدور

الأكبر في حياة المصريين والذي يهدد حياة اي انسان بالموت . هذا الموت هو تعبير حاد عن تجربة المصريين مع العفن والكتان ويبدو انهم مهوسون بهما منذ البداية والمثال على ذلك هو ما يمكن مشاهدته في المتاحف من موميات . في الممالك المتوسطة ، اصبح كل فرد مصري وليس الملوك وحدهم من يؤمن بوجود حياة بعد الموت وبالتالي فان نظرة المصري الى ما بعد الحياة تختلف عن النظرة الكئيبة لأنسان بلاد ما بين النهرين . موضوع الدين المصري موضوع معقد لأنه في كل منطقة من المناطق المختلفة في مصر هناك طائفة دينية مختلفة واكثر هذه الطوائف شهرة كانت محاولة احد الفراعنة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد اقامة طائفة آتون التي تعبد الشمس والتي وصفت دعوتها بأنها أول دعوة للتوحيد في الدين وهذا الفرعون هو أخناتون (١) .

دخلت الألهة كعنصر اساسي في الفن المصري القديم غير ان هذا الفن كان يحتوي ايضا على عناصر أخرى كثيرة فقد صور بواقعية جوانب الحياة اليومية للناس فكانت نشاطاتهم في الزراعة وصيد الحيوانات والأسماك ظاهرة فيه . كما ان احد الأنجازات الفنية المصرية الاخرى هو اسلوب الكتابة فالمصريون ، كما يبدو ، اتخذوا بشكل مقصود التعبير الصوري في الكتابة ألذي **اخترعه السومريون اولا** وليس التعبير الصوتي للكتابة السومرية المسمارية التي رفضوها ليتبنوا الهيروغلوفية التي هي عبارة عن رسومات جمالية متكررة بطرق مختلفة وكان اول ظهور لهذه الكتابة في حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد . كانت القدرة على قراءة اللغة الهيروغلوفية محصورة في المؤسسة الفرعونية والمؤسسة الدينية الكهنوتية فقط وبالتالي فهي قريبة لأن تكون لغة سرية . تم أكتشاف أوراق بردي لكتابة ألغة ألهروغلافية منذ عصر ألسلالة ألفرعونية ألأولى لغرض ألتدوين وقد أتسع صنع هذه ألقطع ألبسيطة عن طرق قص ورق ألبردي الى قطع متساوية ثم يتم لصقها مع بعضها البعض ثم لفها على شكل اسطواني لكي تستوعب اكثر ما يمكن من الكتابة .

كان على مصر التي كانت على اتصال مع بلاد ما بين النهرين ، ان تأخذ الفي سنة قبل ان تبحث جيدا عن اراضي اخرى في مصر لتتمكن من ارواءها . ليست هنك دلائل مؤكدة على وجود دولاب صنع الخزف في بدايات الحضارة في مصر وان كل **مهارات صاغة الذهب والحدادين ومصنعي النحاس قد ظهرت في الالفية الثانية قبل الميلاد فقط ولم يكن الحرفيون يعرفون شيئا عن المعدات سوى المثقاب اليدوي** . الطب فقط وبلا نقاش ، كان التقدم الاصيل الاول الذي وصل اليه المصريون ويمكن تتبع اثره بعيدا حتى عصر المملكة القديمة . مع ان الطب المصري القديم لا ينفصل عن السحر والشعوذة الا انه له بالمقابل مضمون مقبول و ملاحظات تجريبية خالصة فقد توصل مثلا الى معرفة تقنيات منع الحمل عند النساء كما كان له اثر غير مباشر في المساهمة الكبيرة في التاريخ القادم للطب فهناك من **المعارف الحالية عن المخدرات والنباتات**

التي كان المصريون اول من توصل اليها فتفوقوا في هذا ألمجال على سكان بلاد ما بين النهرين . لم يهتم المصريون بما اهتم به السومريون كثيرا وهو الكحول لكن كانت لهم مهارات جيدة في التشريح والتحنيط .

كان اغلب المصريين فلاحين وهو امر ادى لأستمرار بقاء الحياة المصرية **غير حضرية لمدة طويلة بالمقارنة لما كانت عليه حياة سكان بلاد ما بين النهرين** . ان الصورة التي كانت عليها الحياة في مصر التي دونتها الكتابات المصرية بينت بأن المزارعين في الريف كانوا يعيشون في مساكن لبلدات ومراكز عبادة هي بعيدة عن كونها مساكن حقيقية : **كانت مصر بلد قرى ، وأن كانت هناك مدن فهي مدن تجارية صغيرة فيها قلة من ألكهنة الى جانب المراكز الادارية كطيبة وممفيس فقط .** ألانقسام الواضح في المجتمع المصري هو بين المتعلمين الذين يستطيعون الانخراط كموظفين في اعمال الدولة وبين بقية افراد المجتمع وفي مثل هكذا مجتمع ، كانت العبودية ضرورية ولمدة أطول مما كانت عليه حياة سكان بلاد ما بين النهرين . ان الصورة ألنهائية للحياة في وادي ألنيل هي كما ذكر سابقا ، **بلاد قرى وأرياف وليس بلاد مدن كبلاد ما بين النهرين** .

كان العبء الأكبر الذي يقع على هؤلاء الفلاحين هو اوقات العمل وعندما يكف الفرعون عن استخدامهم في الاعمال الاضافية فانهم يستطيعون التمتع برفاه نسبي خلال الاوقات التي ينتظرون فيها فيضان النيل لارواء ضفافه بدلا عنهم . عموما ، يمكن التعرف على نشاطات السكان المصريين بشكل اكبر مما يمكن التعرف على نشاطات سكان بلاد ما بين النهرين وذلك بفضل بقاء الرسومات والقطع الاثرية المصرية . هناك ادلة اخرى تساعد على توليد انطباع بان المرأة في المجتمع المصري تتمتع باستقلالية اكثر وبمواقع افضل مما هي في اي مكان اخر . الصور الفنية التي خلفها المصريون القدماء توحي الى ان نساء الطبقة الحاكمة المصرية كانت تعامل بكرامة واستقلالية . لقد تم العثور على صور تظهر الفراعنة و قريناتهم و معهم ازواج مهمين اخرين وهم في جو من الالفة لا تجده في اي فن اخر . كما انه من الناحية النظرية ، يحق لوريثة العرش المصري ان تمنح زوجها الحق لخلافتها وكان هناك قلق من زواج الاميرات برجال من خارج السلالة الحاكمة لذلك فان الكثير من الزيجات الملكية كانت تتم بين الاخ والاخت بدون النظر الى التأأثيرات الجينية حتى ان بعض الفراعنة تزوجوا من بناتهم لتلافي زواجهن من اشخاص عاديين للحفاظ على الدم النقي للسلالة . هذه الحالة اعطت النساء الملكات احيانا ادوارا مؤثرة بحيث ان بعضهن مارسن السلطة فقد تبوأت احداهن العرش وهي تظهر بلحية وملابس رجالية وهي تأخذ لقب الفرعون . هناك الكثير من الانوثة في الهيكل الديني المصري وتحديدا في ايحاءات الطائفة الدينية ايزيز وفي كل من الادب والرسم هناك تشديد على احترام الزوجة والام تتعدى بعيدا حدود دائرة الخجل . وهناك بعض النساء ، مع انهن متعلمات ، لكنهن غير قادرات على احتلال مواقع في المجتمع كما الكاهنات والعاهرات أما اذا كان وضع النساء المادي جيد فهن يستطعن التملك وحقوقهن محترمة جدا وقريبة لحقوق النساء في التقاليد السومرية .

يمكن اعتبار تاريخ مصر على انه منعزل خارجيا لمدة الف سنة تقريبا وبعد وفاة مينيس ، كانت مصر خلالها تتمتع بالاستقرار وهي تحت هيبة الفراعنة ألا أنه يمكن تلمس وجود لا مركزية في المملكة القديمة بحيث ان هناك تاجان للفرعون وقد تم دفنهما مرتان ، مرة في مصر العليا والاخرى في مصر السفلى وكان هذا الانقسام انقساما حقيقيا . ولم تكن لمصرعلاقات متينة مع الخارج بالرغم من انها قامت بارسال سلسلة من الدوريات العسكرية باتجاه فلسطين في نهايات المملكة القديمة . تغير الوضع في المرحلة التالية فاصبحت عرضة للغزو بدلا من من ان تكون غازية . لا شك ان الانقسام الداخلي والضعف ساعد الاسيويين ، على حد ما يقوله المؤرخ روبرتز ، على الاقامة في وادي النيل الاسفل فظهرت سلالة منافسة قرب القاهرة الحالية الملاصقة لممفيس .

٢,٣ - المملكة المصرية المتوسطة :

ان المرحلة الهامة لتاريخ مصر هي مرحلة المملكة الوسطى التي استطاع فيها الفرعون امنحتيب ١ من اعادة توحيد المملكة وهو في عاصمته طيبة . بعد ٢٠٠٠ سنة ق.م. تمتعت مصر بالتعافي والفضل في ذلك يعود الى حجم الاجراءات التي اتبعت في المرحلة الوسطى ألتي جرى في ظلها التشديد على الانضباط ووحدة المجتمع فتغيرت المنزلة التقديسية للفرعون بشكل مهذب فهو لم يعد الها بل ابن للأله وتابع له .

شهدت المملكة في هذه المرحلة توسعا في اراضيها ونموا كبيرا في مواردها وقامت حملات كبرى لأستصلاح مستنقعات النيل كما جرى احتلال اراضي النوبة في الجنوب واستغلال مناجم الذهب فيها بشكل كامل كما جرى أيضا استغلال مناجم النحاس في سيناء فتقدمت التجارة اكثر من السابق . لقد تبع ذلك تغييرات دينية من خلال تقوية مذهب ألأله رع - رامون ، كل هذه التطورات ساعدت على تقوية الاجراءات السياسية للسلطة في انهاء الاضطرابات السياسية والمنافسة بين السلالات على الحكم التي رافقت طويلة من تلك المرحلة .

المرحلة التالية التي امتدت مئتي عام تقريبا تميزت بهجوم القوى الخارجية على مصر وكان الهجوم الاكثر خطورة هو هجوم الهكسوس وهم اقوام سامية استغلت تفوقها العسكري المتمثل باستخدام العربات المدرعة بالحديد في المعارك فاحتلوا منطقة دلتا النيل واستقروا فيها كحكام وما كان على سلالة طيبة الا تقديم الاحترام لهم . تحت قيادة السلالة الثامنة عشر، تمكن المصريون بحرب شعبية من الأنتصارعلى الهكسوس فتمت ازاحتهم من الدلتا وقد شكل هذا الانتصار بداية ظهور مملكة جديدة حققت انتصارا حاسما ونهائيا في العام ١٥٧٠ ق.م. على الهكسوس فلاحقتهم جيوشها حتى وصلت الى قلاعهم في اراضي كنعان مما ادى في النهاية الى احتلال ألمصريون لاغلب مناطق بلاد الشام (١) .

٢,٤ - الممالك المصرية الحديثة :

كانت المهمة الاولى للمملكة الجديدة التي حققت تلك النجاحات هو اقامة النصب التذكارية لتلك النجاحات كشواهد على ضعف قوة سيطرة الهكسوس . في ظل حكم هذه السلالة نهض الفن وتطورت التقنيات العسكرية من خلال تبني نفس الاساليب التي **كانت مستخدمة في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام** . خلال هذه المرحلة جرى لاول مرة تتويج امراة مصرية لاحتلال العرش وتلك المراة هي حنشموت . في هذه الفترة ، في حوالي القرن الثاني من ألألفية الثانية قبل الميلاد حصل توسع واضح في تجارة المصريين وهذا ما توضحه الكتابات في المعبد الذي فيه ضريح هذه الملكة . حمل القرن التالي مجدا عسكريا اخر لمصر عندا تمكن حتموس الثالث بتوسيع الامبراطورية المصرية حتى حدود نهر الفرات واخذت النصب تسجل وصول العبيد **واخبار زواج باميرات تلك المناطق** وبظهور ديكورات جديدة للمعابد وتماثيل نصفية وكاملة فوصل الفن المصري ذروته . وأخذت ألعلاقات ألخارجية في نهاية المرحلة الحديثة تظهر شيئا اخر من خلال التغيير الحاسم في اتجاهات السلطة بعد ان لم يتمكن حتى تحتموس الثالث من اخضاع الساحل الشامي فكان عليه ان ينسحب من اراضي واسعة من الامبراطوبية التي كان يحكمها الفرعون ميتاني كمنطقتي الشام وشمال وادي الرافدين .

افضل عهدين مرت بهما مصر هو عهد امنحتب الثالث وعهد امنحتب الرابع (١٤٠٠- ١٣٦٢) ق.م. فكانت هذه الحقبة افضل حقبة تمر بها ألعاصمة طيبة لدرجة أن ألقبر ألذي دفن فيه امنحتب الثالث لم يشيد مثله لاي ملك اخر من قبل ألا انه لم يتبق منه سوى بعض الاجزاء . قام امنحتب الرابع الذي خلف والده في العام ١٣٧٩ ق.م. بثورة دينية من خلال فرض مذهب يستند الى توحيد كافة الالهة باله واحد هو اله الشمس " اتون " ولجعل الامر يبدو اكثر جدية فقد قام بتغيير اسمه الى اخناتون والانتقال الى عاصمة جديدة له هي مدينة العمارنة التي تبعد ٤٨٠ كم شمال طيبة فبنى معبدا فيها بدون سقف لكي يكون معرضا للشمس وليصبح مركزا للدين الجديد . ورغم من ان اخناتون كان جديا في دعواه للدين الجديد الا ان هذه ألدعوة رافقتها دوافع سياسية أيضا هدفها نزع الأمتيازات التي كان يتمتع بها كهنة امون- رع . مهما كانت دوافع اخناتون في الدعوة لهذا الديانه فهو قد اثار معارضة قوية خاصة بين الكهنة مما اشغله عن الاهتمام بالنواحي الاخرى للدولة فكانت ألنتيجة خسارة المصريين لكل اراضيهم في الفرات لصالح الهيتيتيين في العام ١٣٧٢ قبل ألميلاد . تلا تلك ألخسائر حصول أضطرابات داخلية أدت ألى عدم ذكر اسمه في قائمة ملوك مصر بعد وفاته . الفرعون الذي خلف اخناتون قام بتغيير اسمه من توت نخناتون الى توت خامون تعبيراعن تنصله من الدين الجديد لأخناتون والعودة الى الدين القديم فكان رد الجميل لهذا الفرعون هو اقامة مراسيم استثنائية فخمة بعد وفاته فتم دفنه في وادي الملوك . عند وفاة هذا الفرعون ، كان قد مضى قرنان من عمر المملكة الحديثة

وبدأت الاجواء تنذر بالتدهور فقد عزمت ارملة هذا الفرعون على الزواج من امير هيتيتي لكن تم اغتيال هذا ألأمير قبل عقد مراسيم الزواج . حاول الملوك المصريون المتاخرون استعادة الاراضي التي فقدوها فكانوا ينجحون في مرات ويفشلون في مرات اخرى . بدءأ من حوالي العام ١١٥٠ بدأت الاضطرابات الداخلية في الازدياد بحيث ان الملك رمسيس وهو اخر ملك حقق بعض النجاح لتفادي نتائج تلك الاضطرابات ، مات نتيجة مؤامرة حاكتها نساء القصر . ازدادت هذه الاضطرابت في ظل حكم الملوك اللاحقين ففقدت السلطة هيبتها لدرجة ان الفرعون فقد السلطة على الكهنة وقادة الدولة بحيث ان اخر الفراعين العشرين لهذه السلالة وهو الفرعون رمسيس الحادي عشر اصبح في الحقيقة سجينا في قصره وانتهى عهد هذه السلالة في الحكم عندما احتل الفرس مصر فغابت تلك الحضارة الرائعة عن التاريخ .

الفصل الرابع

ارتباك وضع المنطقة وتغير خريطتها السياسية

١- تعقيدات وضع أقاليم ألهلال ألخصيب :

أصبحت كل من أقليم ما بين النهرين و أقليم وادي النيل الاساس الصلد للتأريخ المكتوب فقد استأثر هذان المركزان العظيمان للحضارة في السيطرة على مسار الاحداث وحافظا بهذا القدر او ذاك على استقلالهما غير أنه من الواضح ان قصتهما ليست كل قصص منطقة الشرق الادنى والمناطق القديمة الاخرى . بعد عام ٢٠٠٠ ق.م. بدأت تحركات لأقوام اخرى بألتأثير في مجرى الاحداث والتغييرات الجديدة في المنطقة وبعد الف سنة من ذلك التاريخ تواجدت مراكز اخرى للحضارة في مناطق اخرى من العالم . كان التأريخ يتحرك بسرعة والحضارة تقدم للأنسان دوما فرصا جديدة للمشاركة في احداث التأريخ وقبل الولوج في تناول مجريات تلك الاحداث من الضروري القيام بمحاولة فهم بعض القوى الفاعلة في ذلك الزمن . الاشارة الواضحة هنا هو استمرار تدفق هجرات واسعة ألى المنطقة لأقوام لم يتغير نمط حياتها ولا طابعها الأثني لألفي سنة قبل الميلاد . كان الأساس المحرك للتغيير في المنطقة هو ضغط الاقوام الهندو- اوربية على الهلال الخصيب **من جهتي الشرق وهم ألفرس والشمال الغربي وهم أليونانيون** فأزداد عددهم وتنوعهم بشكل اكثر من ألسابق . قسم من هؤلاء الهندو- اوربين اتجهوا نحو الهلال الخصيب ومصر فحصل النزاع بين الساميين وتلك الاقوام على وادي الرافدين ونفس النزاع جرى على الساحل الشامي في لبنان وفلسطين وبلاد وادي النيل بينما اتجه جنس اخر من هذه الشعوب الوافدة نحو الهضبة الفارسية واستقر فيها وهناك فرع اخر من هذه الاقوام استمر بالاندفاع فوصلوا الهند . تفسر هذه التحركات الكثير من الذي شكل خلفية للتغييرات التي حصلت على خارطة الأمبراطوريات والممالك التي استمرت لقرون . هناك عوامل اخرى اثرت ايضا في تلك التغييرات وأحد هذه العوامل هو الذي خلف اثرا عميقا في تقدم التقنية ألذي تمثل في تطوير العربة الحربية في بلاد الرافدين في ألعام ٢٠٠٠ ق.م. أضافة ألى تعلم استخدام ركوب الخيل في الحرب ألذي شكل عاملا اخر في التغيير . الفارس الجيد الذي يحارب وهو فوق الحصان مستخدما الرمح و القوس في وقت واحد هو امر معقد ويحتاج الى وقت طويل لتعلمه ولذلك كانت الفروسية مهمة جدا من الناحية العسكرية في الشرق الادنى في حوالي ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

خلال الالفية الثانية قبل الميلاد اصبحت اجزاء العربة تصنع من معدن الحديد فاصبح هذا المعدن حافزا للتغيير ليس عسكريا فقط بل اقتصاديا ايضا عندما تم صنع ألمحراث من هذا المعدن بدلا من ألمحراث ألخشبي ألقديم لحرث ألأرض ألصلبة لزراعتها . كما ان افضلية استخدام هذا المعدن في صنع المعدات

الحربية واضحة ولذلك فانه من الطبيعي ان تنتشر استخداماته في كل منطقة الشرق الادنى وفي المناطق الاخرى المحيطة بالمنطقة .

دخلت المنطقة العصر الحديدي منذ ان استطاع الانسان التوصل من ايقاد النار التي تصل حرارتها الدرجة اللازمة لصهر الحديد وصبه . ومع انه من الواضح ان الحديد يتفوق على النحاس من ناحية المتانة الا ان يعض التجمعات السكانية ظلت تعيش العصر النحاسي لاسباب عديدة اهمها هو احتمال عدم تمكنها من التوصل الى تلك التقنية . كانت اكثرية وسائط النقل التجاري للبضائع في ذلك الوقت تتم بواسطة العربات التي تجرها الحمير او الخيول وعندما تم تدجين الجمال في اواسط الالفية الثانية قبل الميلاد جعل التجارة تعتمد على استخدام اسلوب القوافل لنقل المواد بين شرق اسيا والجزيرة العربية فأقتصر استخدام العربات على النقل المحلي . **ان اولى العربات التي كانت تجرها الحمير والثيران كانت تستخدم في بلاد ما بين النهرين وفي سوريا في حوالي ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد** وفي العام ٢٢٥٠ أي يعد مئتي سنة تقريبا بدأ استخدامها في بلاد الاناضول ثم بدأ الأغريق في استخدامها في العام ١٥٠٠ قبل الميلاد (١) . أستخدم أيضا النقل النهري والبحري لنقل ألبضائع ألكبيرة ألوزن وهو أقل كلفة وسهولة بحيث يمكن القول بان النقل النهري والبحري كان مستخدما حتى قبل ظهور اسلوب القوافل في نقل البضائع على الجمال . كانت السفن تستخدم لنقل البضائع من جنوب الجزيرة العربية الى الموانىء الموجودة في ساحل البحر الاحمر ليتم نقلها الى ألشمال ومن ثم يتم نقل تلك البضائع بواسطة العربات الى اراضي بلاد الاناضول وغيرها من بلدان الشمال الاخرى . كان المصريون في عصر السلالة الثالثة يستخدمون ايضا السفن للنقل التجاري وكانت الطاقة المحركة للسفن المزودة بالأشرعة هي بالطبع الريح التي اكتسب المصريون الخبرة في اتجاهاتها . كانت التجارة حتى وقت متاخر تتم بتبادل البضائع مقايضة لان النقود لم تكن قد استعملت بعد ولهذا فقد كانت النقلة الكبرى في التبادل التجاري هي اختراع النقود للبيع والشراء وقد تبين **بان اول استعمال للنقود قد جرى في بلاد ما بين النهرين** حين كانت الحسابات تجري بقياس الحبوب أوألفضة قبل ٢٠٠٠ سنة قبل ألميلاد وقد ظل هذا الاسلوب في البيع والشراء مستعملا الى ان جرى في القرن السابع قبل الميلاد استعمال النقود الحقيقية . مع أنه كان يوجد في بلاد ما بين ألنهرين نظام القرض والدين للمقايضة التجارية مما ساعد على تحفيز ونمو التجارة الا انه لم يشكل بديلا لضرورة وجود اليات للنظام النقدي . حتى الفينيقيون الذين يملكون مهارات اسطورية في التجارة لم يستخدمو النقود الا في القرن التالي للقرن السادس قبل الميلاد ومصر التي كان اقتصادها مركزيا لم تستعمل القطع النقدية الا بعد قرنين من ذلك الزمن . كانت المقايضة بالبضائع هي الالية الاساسية التي يمكن ملاحظتها من خلال حفظ البضائع والمواد في المعابد السومرية وهذا الاسلوب يوضح اهمية تسجيل وختم ممولي البضاعة كمودعين مما يعني ان هناك علاقة بمعرفة الكتابة والحساب . كل ذلك

يوضح ان حركة التجارة قد ازدادت مما أدى في النهاية الى ظهور ظاهرة الربح التي التصقت بالنشاط التجاري منذ ذلك الوقت ولحد الان .

ان ظهور مدن جديدة وازدياد النمو السكاني ادى الى انتشار التجارة في كل انحاء الشرق الادنى فقد وفرت حياة المدن ايضا زخما جديدا للابداعات الثقافية وتسارع جديد للحضارة . في حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد كانت معرفة القراءة والكتابة **مقتصرة على حضارة وادي الرافدين ووادي النيل ولربما وادي السند** والمانطق الخاضعة لها . **انتشرت الكتابة المسمارية في كل انحاء وادي الرافدين وبعد الف سنة ازداد عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة المسمارية بحيث يمكن العثور عليهم في كل انحاء الشرق الادنى واليونان ايضا . لقد جرى تبني الكتابة المسمارية بنجاح كبير في لغات عديدة بحيث ان السلطة المصرية قد تبنت تلك الكتابة واستخدمتها في الاغراض ألدبلوماسية** وألشكل ٢ يبين أللغة ألسومرية ألأولى ألتي تفرعت منها أللغات ألرئيسية ثم ألفرعية ألتي تستخدمها شعوب ألعالم حاليا (١)

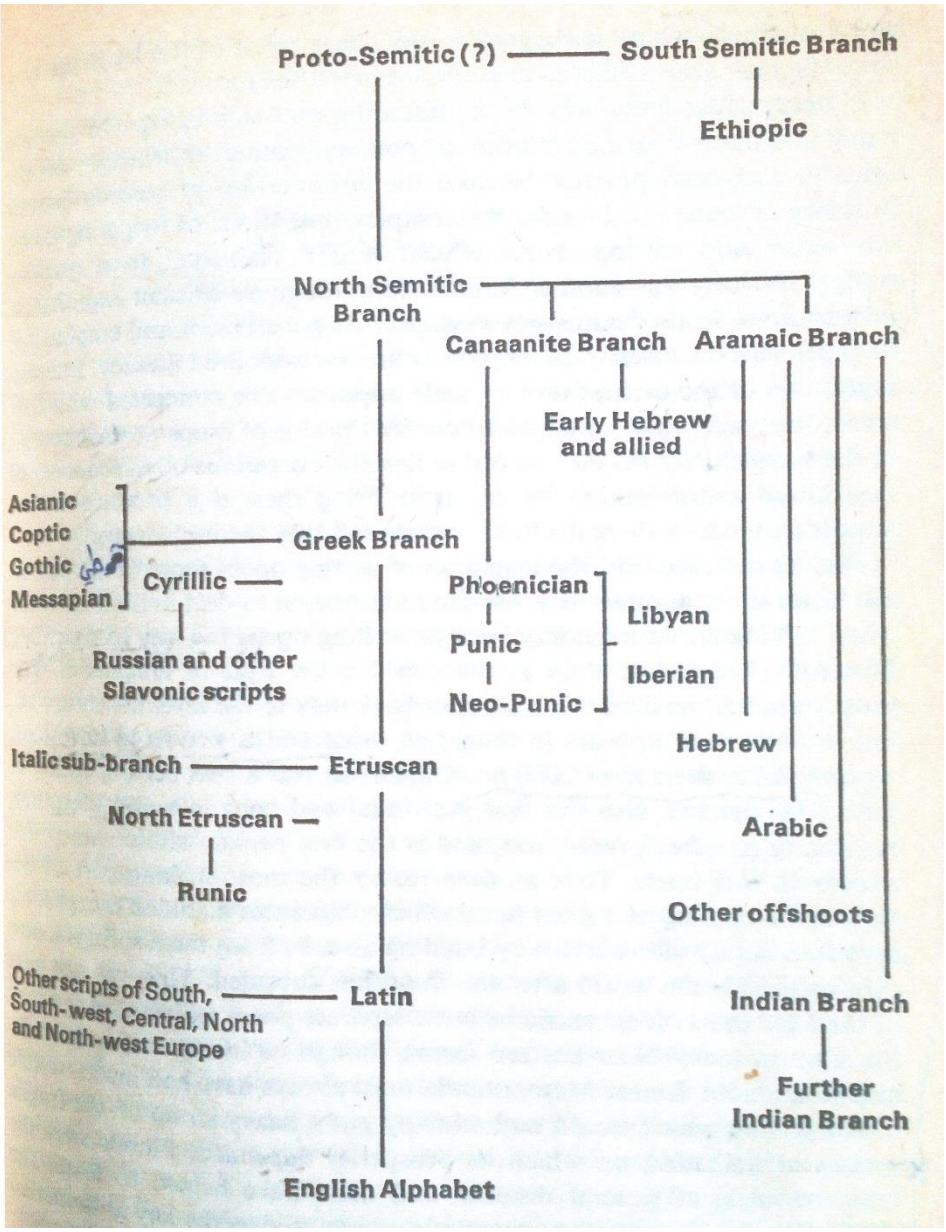

ألشكل (٢)
اللغة السامية الاولى وتفرعاتها

٢ - سنوات الارتباك والاضطرابات في المنطقة:

يقول ألمؤرخ روبرتز " ان تاريخ منطقة الشرق الادنى في التاريخ العالمي هو تاريخ مرتبك **لان الغزاة الطامعين في اراضي منطقة الهلال الخصيب كثيرون يأتون ويذهبون بسرعة** ، قسم منهم يخلف بعض المجموعات وقسم اخر يستقر ويؤسس دولة على انقاض المنهزمين . لقد شكلت هذه المنطقة تاريخا طابعه الحركة السريعة والعنف خلال حقبات الانتقال من العصر النحاسي الى العصر الحديدي . تبدأ قصة هذا التاريخ بشكل مبكر وهي تعود الى بداية الالفية الثانية قبل الميلاد مع وصول بعض الاقوام الشمالية الى اسيا

الصغرى فاقاموا في اراضي الاناضول ومن المحتمل انهم الاجداد الاوائل للعرق التركي . لا يمكن القول ان هذه الاقوام هم عبارة عن برابرة وبدائيون ، ذلك لان الفرصة كانت متاحة لهم **لان يهضموا الكثير مما يمكن لحضارة بابل ان تعلمه لهم** . كانت مصر خلال هذه الحقبة واقعة تحت ظل توتر شديد فقد تعرضت لهجوم قامت به الاقوام القاطنة في الساحل الشامي من جنوب فلسطين لكن الفرعون رمسيس الثالث تمكن من افشال الهجوم فردهم على اعقابهم . جائت هذه الاقوام الى ارض كنعان في العام ١١٧٥ قبل الميلاد وكانت جزء من تحركات كبرى للشعوب في تلك المرحلة فكانت مصر ضحية لتلك التحركات بحيث انها انقسمت في القرن الحادي عشر ق. م. الى مملكتين متنازعتين . اثناء هذه الفوضى التي عمت المنطقة ، لا احد يعرف كيف ومتى حصل ما يمكن اعتباره نقطة مؤثرة في التاريخ العالمي عندما خرج من مصر بعض ممن يسمون بالعبرانيين الذين جرت تسميتهم فيما بعد باليهود . ليست هناك مصادر كافية عن هؤلاء القوم القليلي يمكن التوصل من خلالها على معلومات مؤكدة عنهم غيران من ألمؤكد أنهم **أقوام سامية كانت تقطن الجزيرة العربية في مرحلة من مراحل ما قبل التاريخ واخذت بالتحرك شمالا نحو الاراضي الاغنى في الهلال الخصيب القريب من** موطنهم الطبيعي السابق (١) . ان اول فصل من قصة هؤلاء العبرانيين هو مرورهم في مرحلة البطريركية (الأبوية) التي تعود الى عهود الانبياء ابراهيم ، اسحاق ويعقوب . ليست هناك ارضية لرفض فكرة ان هؤلاء الانبياء يشكلون اصول العبرانيين وان قصة تنقل هؤلاء القوم هي جزء من الفوضى التي اعقبت نهاية مدينة أور كما ان قصة تنقل النبي ابراهيم من أور الى بلاد الشام ومصر ومكة قد جرى سردها في اكثر من مكان ولعل افضل من سردها هو الدكتور احمد سوسة في كتابه " العرب واليهود في التاريخ " (٤) .المهم هنا هو ان هؤلاء العبرانيين تركوا مصر للتخلص من الاضطهاد الفرعوني عندما قادهم رجل شجاع يكتنف تاريخه الغموض وهو النبي الذي يحمل اسما مصريا هو موسى فعبروا النيل باتجاه سيناء القاحلة وعانوا اعواما من التيه فيها . بعد سنوات من وفاة موسى اتجهوا الى فلسطين ارض " الميعاد " التي وعدهم بها ربهم ياهو بالعودة اليها وهي الفكرة الاساسية للديانة اليهودية التي لا زال اليهود يتمسكون بها لحد الان فحاربوا مواطني فلسطين من الكنعانيين واستمر نزاعهم مع هؤلاء السكان خمسة عشر قرن رغم تمكنهم من الاستقرار في جزء من منطقة فلسطين حيث بدأ ظهورهم في التاريخ . والحقيقة هي انهم لم يتعرضو للطرد من احد من فلسطين في بداية قدومهم اليها لكن الذي حصل هو أن النبي يعقوب قرر ومن معه من اهله اللحاق بابنه يوسف الذي تبوأ مكانة رفيعة في ادارة فرعون مصر لأن من المحتمل انهم كانوا ضحية صراعات امبراطوريات المنطقة التي كانت دائرة في تلك الحقبة من الزمن . لقد استمر **العبرانيون في عبادة " ياهو " حتى بعد استقرارهم في فلسطين فكانت هذه العبادة لياهو عامل رئيسي في وحدتهم رغم خلافاتهم العشائرية الحادة وكان واضحا ان روح البداوة المتخلفة الكامنة في نفوسهم جعلتهم اقل تقدما في**

الثقافة من الكنعانيين في كثير من النواحي . يتبنى هؤلاء العبرانيون الكتابة الكنعانية واستعاروا من الكنعانيين اساليب البناء لكنهم مع ذلك لم يتمكنوا من الوصول الى الحياة المدنية لأسلافهم القدماء في مدينة أور وكانت القدس التي تجمعت فيها بعض قبائل اليهود مكانا صغيرا وقذرا وبعيدا عن الحياة الحضرية المدنية لوقت طويل (١) .

ظل اليهود على هذا الحال الى ان استطاعوا من اقامة نوع من المملكة في العام ١٠٠٠ قبل الميلاد تحت قيادة النبي صاموئيل الذي تلاه كل من شاؤول وداوود وكان هذا الاخير شخصا استثنائيا في قدراته بالرغم من عدم وجود تأكيدات اثارية على وجوده . لقد تمكن داوود من ازالة الخطر الفلسطيني وانهاء انقسام العشائر اليهودية الذي حصل على اثر موت شاؤول ووسع حدود مملكته باحتلال مناطق الفلسطينيين والفينيقيين واخضاعهم لسلطته . جاء سليمان بعد داوود واستمر في سياسة والده في تقوية ألمملكه وتوسيعها وبنى المعبد – الهيكل لقومه فحصل على شهرة واسعة وما ان مات سليمان في العام ٩٢٥ ق.م. حتى انقسم اليهود الى قسمين ، قسم يتكون من عشرة قبائل تجمعت في منطقة السامرة والقسم الاخر في منطقة جودا وعاصمتها القدس . احتل الاشورين منطقة السامرة في العام ٧٢٢ ق.م. فاختفت على اثر ذلك تلك العشرة قبائل اليهودية من التاريخ عن طريق التهجير الذي اتبعه الاشوريون وظلت القبائل الاخرى في القدس في منطقة جودا كتجمع سكاني بعيدا عن شكل مملكة الى ان قام البابليون في العام ٥٩٧ ق.م. باقتحام القدس واخذ الكثير من أليهود وأحبارهم الى بابل كأسرى .

٣ – ظهور ألأمبراطورية الفارسية ؛

شهدت منطقة الشرق الادنى حركة مبكرة لقدوم ومغادرة اقوام مختلفة وخاصة الاقوام الهندو- اوربية واليونانية مما ادى في النهاية الى تشكل خارطة سكانية عالمية جديدة ويبدو ان اسباب هذه الحركة تكمن في البحث عن مناطق قابلة للعيش والاستقرار . استقر قسم من هذه ألأقوام في الهضبة الفارسية لايران الحالية واندفع القسم الاخر منهم نحو الهند للأستقرار فيها . كانت هناك في الاصل منذ العام ٥٠٠٠ ق.م. مجموعات سكانية سابقة مستقرة في هضبة عالية هي قلب ايران الحالية مكوَنة من قبائل آرية قدمت من شمال أوربا وهذه ألمجموعات هي ألتي شكلت بداية لظهور الامبراطورية الفارسية القابعة في رحم التاريخ . من ضمن هذه القبائل هناك قبيلتان رئيسيتان شديدة العدوانية والقوة هما القبيلة الميدية والقبيلة الفارسية . تحرك الميديون باتجاه الغرب والشمال الغربي ليستقروا في منطقة أسمها ميديا ووصلوا الى قمة عهدهم في بدايات القرن السادس قبل الميلاد بعد ان ازاحوا جيرانهم الاشوريين في الجنوب واحتلوا عاصمتهم اشور اما الفرس فقد اتجهوا جنوبا قرب الخليج فاقاموا لأنفسهم منطقة سميت في ما بعد خوزستان بالقرب من وادي دجلة على انقاض مملكة عيلام القديمة . من السلالة الفارسية ، ظهر اول ملك تمكن من توحيد بلاد فارس وهو سايروس

الذي غزى بابل في العام ٥٣٩ ق.م. فنهبها وهدمها ثم تقدم غربا ليصل البحر الابيض المتوسط محتلا بذلك كامل بلاد الشام على عكس ما واجهه من صعوبة في الشرق لأحتلال منطقة قندهار الحالية . كانت نتيجة هذه ألأنجازات هي اقامة اكبر امبراطورية عرفها العالم حتى ذلك الوقت عندما تمكنت ، بالرغم من المعوقات الكثيرة ، من ادارة شؤون الشرق الادنى لقرنين من الزمن فقدمت تقاليد ثقافية وصل تأثيرها الى اوربا . بعد ان احتل سايروس بابل اطلق الحرية لليهود في العودة الى فلسطين **واعاد بناء معبدهم في القدس فرأى احد انبيائهم في سايروس بانه يد الله في الأرض** و **بانه امير الرحمة والشفقة ايضا .**

يعود نجاح سايروس في كل ما قام به الى احتواء فارس على المعادن وخاصة معدن الحديد اضافة الى ما لديه من احتياط كبير في الخيول والفرسان و الى ما يملكه من قدرات شخصية غير عادية . لقد اقيم نصب تذكاري لهذه الانجازات الامبراطورية في عاصمة عظيمة جديدة احتوت على ضريح له دفن فيه . كان بناء هذا النصب يحاكي في فخامته ما قام به الاشوريون من وضع الثيران المجنحة والاسود على مداخل القصور وكان ايضا يحاكي ما قام به المصريون من اضافة ديكورات الاعمدة في البناء كما احتوى على لمسات ديكورية تعود الى ما اشتهر بها الاغريق . جلس ابن سايروس بعد وفاة ابيه على العرش ، و بعد ان تمكن من احتلال البلاد المصرية واضافتها الى الأمبراطورية الفارسية ، مات قبل ان يتمكن من التعامل مع بعض من يدعون احقيتهم في ذلك العرش الذين كانوا يتلقون التشجيع والدعم من الميديين والبابليين طمعا في الحصول على اعادة استقلالهم .

الشخص الذي اعتلى العرش بعد موت ابن سايروس وحافظ على الأرث الامبراطوري للفرس هو الشاب داريوس الذي ادعى انه ينتمي لنفس السلالة الملكية . داريوس الذي حكم الامبراطورية الفارسية بين العامين ٥٢٢ و ٤٨٦ قبل الميلاد لم يحقق كل الأهداف التي رغب بتحقيقها لكن مع ذلك جرى اعتبار انجازاته بنفس مستوى انجازات سايروس . ان انتصاراته المتلاحقة على الذين تمردوا على السلطة الفارسية يمكن ملاحظتها من خلال ما قاله " انا الملك العظيم داريوس ملك الملوك ملك فارس" . استطاعت هذه ألأمبراطورية في عهده من توسيع حدودها الشرقية حتى وصلت وادي الهند بينما فشل في الشمال على نحو ما فشل فيه سايروس سابقا .

اقدمت هذه الامبراطورية على مواصلة الجهود لتقوية نفسها من خلال تبني الطريقة اللا مركزية في الأدارة فجرى تقسيم الأمبراطورية الى عشرين اقليما ، كل اقليم يحكمه امير من نفس السلالة او احد كبار رجال الدولة وكانت دواوين ادارة الدولة في هذه الامبراطورية تستخدم **اللغة الارامية لكنها لم تكتب بأبجديتها وانما بألأبجدية ألفينيقية. لم تكن ثقافة فارس ثقافة ابداعية خالصة وانما هي متأثرة كثيرا بمحيطها الخارجي فهي لم تأخذ اللغة فقط من ألأقوام التي اخضعتهم بل تبنت في بعض ألأحيان افكارهم**

وحتى ألدين ألذي تبنته فارس وألذي يركز على ألنار كان مصدره أحدى ألمدن ألهندية من منطقة قندهار بعد أن تطورت كهانته في عهد داريوس ليسمى " بالزرادشتية " (١) . ليست هناك معلومات عن نبي هذا ألدين **" زرادشت "** سوى أن تعاليمه تتناول مسالة علاقة أله ألضوء مع ألطقوس والسلوك الاخلاقي . انتشرت هذه التعاليم بسرعة في غرب اسيا الواقعة تحت حكم الفرس وظلت طقوسا لكهانة دينية وجدت لها تأثيرا في **الديانة اليهودية والكهانات الدينية الشرقية الاخرى ومنها الديانة المسيحية .**

ان العصر الذي أحتلت فيه الحضارة مكانا مميزا في صفحات التاريخ الانساني في كل من وادي النيل و منطقة الهلال الخصيب قد انتهى واصبح العالم على ابواب حضارات جديدة . انتشرت المدن وانتشرت معها معرفة القراءة والكتابة بشكل واسع في مناطق الهلال الخصيب وبلاد مصر والمناطق الاخرى من الشرق الاوسط . اتسعت الزراعة وأنتشرت تقنيات التعدين حتى انها اجتازت حدود المنطقة و تم نقل مهارة البابليين في الارواء الى اواسط اسيا وجلب الرز من الهند لزراعته في الشرق الادنى وعندما بدأ الاغريق في استخدام النقود فانهم صنعوها على اساس التقسيم الرقمي السداسي **الذي اخترعه البابليون** وهكذا تكوَنت القاعدة المادية والثقافية التي تم على اساسها صنع حضارة المستقبل .

٤ - ظهور الامبراطورية الاغريقية :

ان ظهور الحضارة الجديدة في الشرق الاوسط يعود بشكل كبير الى **ثقافة وتقاليد مناطق الهلال الخصيب ومصر وجزر بحر ايجة . منذ البداية ، احتوى اللسان الاغريقي على الأحرف الهجائية السامية كما احتوت ثقافة الاغريق على الافكار والجذور التي تعود الى سكان بلاد الرافدين ومصر وحتى عندما نضجت هذه الحضارة ظلت تحمل تأثيرات تلك الافكار والجذور (١) .** انتقلت هذه الحضارة بعد ذلك الى خارج حدودها في اسيا ، افريقيا ، اوربا البربرية وجنوب روسيا .

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر قبل الميلاد كانت الغيوم التي تخفي منطقة بحر ايجة قد بدأت تنقشع شيئا فشيئا منذ ان اصبحت الاحداث قابلة للفهم . لقد كان هناك موعد او موعدان كل منهما مهم في تأريخ تلك الحضارة . في العام ٧٧٦ ق.م. ، كما سجل احد المؤرخين الاغريق ، عقد اول مهرجان للاولمبياد وبعد عدد قليل من القرون بدأ سكان الاغريق يؤرخون الاحداث منذ ذلك التاريخ كما فعل المسيحيون مع تاريخ ميلاد المسيح . لقد اعتبر الناس أن حظورهم ذلك ألمهرجان يحمل دلالة على ان لهم ثقافة مشتركة وان اساس هذه الثقاغة هو اللغة فأزدادت قناعتهم بذلك عندما تطورت هذه اللغة من لغة شفهية الى لغة مكتوبة وهو تطور هام جدا لانه بات بالأمكان تدوين الاشعار الشفاهية التي نظمها الشاعر هومر سابقا . لقد تم ألعثور على كتابة مدونة باللغة الاغريقية التي جرت كتابتها في العام ٧٥٠ قبل الميلاد على قارورة وقد أظهرت هذه الكتابة **كم تدين حضارة منطقة ايجة الى حضارة منطقة الهلال الخصيب لأن هذه الكتابة مدونة بابجدية**

الكتابة الفينيقية وكان الاغريقيون قبل ذلك التاريخ اميين واخذوا هذه الكتابة من التجار الاغريق **الذين جلبوا لهم تلك الابجدية من سواحل الشام (١)** .

كانت جزيرتي كريت و رودوس هي اولى المناطق التي استفادت من تبادل العلاقات مع تلك المنطقة بعد عهود من الظلام . مع ان هذه العلاقات كانت غامضة بتفاصيلها ولا يمكن الالمام بها لكن بشكل ما ، هناك صلة بين الحضارة الاغريقية وحضارة منطقة الهلال الخصيب . ان تزايد السكان في منطقة محدودة كمنطقة ايجة ادى الى ان يقوم السكان بالبحث عن مستعمرات في المناطق وألتعرف على العالم الخارجي بعد أن جلب الحرفيون التعدينيون الاجانب معهم الى المدن الهيلينية ليس المهارة فقط بل الافكار والاساليب التي كانت متبعة في بلاد ما بين ألنهرين أيضا . كما تبين مؤخرا بان **الحرفيين الاغريق قد سكنوا بابل** وكانت هناك شواهد على وجود مقاتلين مرتزقة من الاغريق خدموا في جيوش مختلف ملوك مناطق الشرق كمنطقة بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام ووادي النيل . عندما أحتل ألفرس وادي ألنيل في العام ٥٢٥ ق.م. ، شارك الاغريقيون كمرتزقة في المعارك في جيشي كلا الطرفين ولا بد وان عاد قسم من هؤلاء الى بلادهم ناقلين معهم انطباعات وافكار جديدة اضافة الى وجود علاقات دبلوماسية وتجارية متبادلة بين المدن الاغريقية الشرقية والمدن المجاورة في مناطق بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين ووادي ألنيل .

ظهر تطور هام في بلاد الاغريق هو بدء موجات جديدة من المستعمرات ألتي اقامها سكان قادمون من المدن الاغريقية الشرقية مما ولد علاقات تجارية جديدة وعلى نحو اسهل من السابق مع مناطق الجوار نتج عنها أنتشار معدن الفضة التي جرى سكها وتحويلها الى نقود حقيقية تستخدم في التبادل التجاري في الداخل والخارج . كان للشؤون العسكرية في بلاد الاغريق مضمونا اجتماعيا فالمقاتلون الاغريق هم ارستقراطيون ينتمون الى طبقة اجتماعية حديثة الثراء توفر للمقاتليين كل المستلزمات العسكرية من العربات المدرعة وانواع السلاح الحربي مما يمنح المقاتليين الثقة بالتفوق على العدو اضافة الى ما يتمتع به المقاتلون من انضباط عالي .

ان صراع الاغريق مع بلاد فارس هو ذروة المرحلة المبكرة من تاريخ الاغريق لان هذا النزاع الطويل جعل من السهل على بلاد الاغريق التخلي عن العلاقات الثقافية التي تربطهما . السبب الرئيسي للحرب بين الاغريق والفرس هو تمدد الامبراطورية الفارسية لتصل الى المنطق الاغريقية مما جعلهما يقفان احدهما بوجه الاخر . عندما احتل الفرس البلاد المصرية ، تضررت مصالح الاغريق في مصر اضافة الى ان الفرس قاموا بالعبور الى اوربا واحتلوا المدن الواقعة على السواحل حتى وصلوا مقدونيا . ثارت المدن الاغريقية في العقد الاول من القرن الخامس قبل الميلاد ضد الفرس فسارعت مدن الوطن الاغريقي الام الى مساعدة مواطنيهم فقامت اثينا بأرسال أسطول بحري للمساعدة لكن الثورة فشلت غير ان هذا الفشل ترك بين

سكان المدن الأغريقية روح العداء للفرس . كانت هناك محاولة ثانية للثورة في العام ٤٩٠ ق.م. فكان الانتصار هذه المرة الى جانب الجيش الاغريقي الذي يقوده مقاتل من سبراطيا وهي اقوى مدينة من دول مدن أرض الاغريق . عاد الفرس في العام ٤٨٠ قبل الميلاد بعدد هائل من المقاتلين من جهة البحر فكانت معركة بحرية كان فيها عدد المقاتلين ألأغريق فيها ثلاثمائة فقط يقودهم ملك أسبارطيا نفسه ألا أن تفوق الاغريق في التعبئة والتنظيم والتدريب وألقيادة حقق انتصارا اسطوريا على الفرس . فتح هذا ألأنتصار أعظم عهد في تاريخ الاغريق فقد تجمعت دول مدن الاغريق كأثينا واسبارطيا والمدن الاخرى في اتحاد قومي لمواجهة ما يترتب على المعركة مع الفرس رغم وجود بقايا للنزاعات ألسابقة بين تلك ألمدن لكن تأثير اثينا كان طاغيا في كل من حالات السلم والحرب مما ساعد على تحقيق ذلك التجمع . في خلافات خاصة متواصلة بين سبارطيا واثينا دفع ألأخيرة على الاقدام الى التعجيل في تبني مباشر للديمقراطية لحل نزاعها مع سبارطا فتقدمت اثينا على كافة دول مدن بلاد الاغريق في الادب والثقافة والعلوم مما أدى تبوئها مكانا متميزا فيها . ظلت اثينا على هذا الحال الى ان ظهرت قوة اغريقية أخرى ، لم يتبق من ارثها سوى تأريخها الحضاري هذه ألقوة هي قوة مملكة تقع في شمال بلاد الاغريق أسمها مقدونيا يقال عنها انها لم تكن اغريقية ابدا .تمكنت هذه المملكة في النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد من اقامة امبراطورية اكبر من امبراطورية الفرس واكبرمن اية امبراطورية سابقة اخرى فهي الى جانب التفوق المادي جمعت القوة بالثقافة وبالابداعات وباللغة الاغريقية (١) .

ألقصة بدأت مع ضعف وانحلال القوة الفارسية عندما تواصلت خلال القرن الرابع قبل الميلاد الاضطرابات والتمردات داخل الامبراطورية الفارسية فاخذت الاقاليم المحتلة من قبل الفرس بالانفصال عن السلطة الفارسية واحدا بعد الاخر ومنها مصر التي نجحت في حصولها على الاستقلال في العام ٤٠٤ قبل الميلاد . حاول احد حكام مقدونيا وهو فيليب الثاني استغلال هذا الضعف والقيام بضم مجموعة ارستقراطية مقاتلة الى جانبه تتصف بالخشونة والصلابة يتزعمها رجال شبيهون بأمراء الحرب تعتمد قوتهم على السطوة الشخصية اكثر مما على المؤسسات . عندما اصبح فيليب رئيسا لمقدونيا في العام ٣٥٩ قبل الميلاد ، بدأ بامتلاك الاراضي الحدودية للممالك الاغريقية الاخرى بسرعة فأصبح لمقدونيا في نهاية رئاسة فيليب جيشا هو الاكثر تدريبا وتنظيما في كل بلاد الاغريق . احدى الجوانب الحربية الايجابية لمقدونيا هي قدرتها على تبني تقنيات الحصار الحربي للمدن وهي قدرات لم تعرفها جيوش الاغريق سابقا وعلى نحو ما يمكن ملاحظته في جيوش اشور والجيوش السابقة في منطقة ألهلال الخصيب . كانت النتيجة ، هي ان فيليب اصبح يدير دولة غنية وقد ازداد غناها عندما سيطرت على مناجم الذهب في المناطق التي احتلتها . لقد استعمل فيليب هذه القوة لتوحيد مقدونيا في البداية وبعد سنوات قليلة جرى انتخابه ملكا لكل مقدونيا ثم بدأ بالتطلع نحو

الجنوب والجنوب الشرقي حيث مصالح ومواقع اثينا .عندما انتهت النزاعات والحروب بين اثينا ومقدونيا في الفترة بين ٣٣٥ و ٣٣٦ قبل الميلاد ، تمكن الملك فيليب من الاقامة في وسط بلاد الاغريق . توجه فيليب بعد ذلك نحو الفرس فوضع الخطط والاهداف لتحرير المدن الاغريقية الشرقية الواقعة تحت ألأحتلال ألفارسي . كان على اتحاد مدن الاغريق في النهاية الموافقة على الدخول في الحرب مع الفرس تحت قيادة المقدونيين غير ان الملك فيليب قد تعرض للاغتيال في العام التالي . أرادت أثينا أستغلال هذه الحادثة للأنفصال من ألأتحاد والحصول على الاستقلال لكن ابن فيليب ألأسكندر الذي خلف والده على العرش تمكن من سحق المتمردين من اثينا ومن المناطق الاخرى من مملكته . كانت هذه نهاية القصة الحقيقية لاربعة قرون من تاريخ بلاد الاغريق حيث جرى خلالها خلق حضارة لدولة مدن حققت اكبر النجاحات مما لم يشهده العالم من قبل .

قام الاسكندر ، كما فعل ابيه من قبل ، باجراء مصالحة بين مدن الاغريق فقدم لها الحكم الذاتي مقابل ان يوافقوا على خططه الخارجية ورغم انه واجه بعض الصعوبات في طريق تلك المصالحة الا انه استطاع في النهاية التغلب عليها وما ان تم له ذلك حتى ركز كل انتباهه على بلاد فارس . غادر ألأسكندر بلاده عام ٣٣٤ قبل ألميلاد وهو على رأس جيش يشكل المقدونيون فيه الربع فعبر اسيا الصغرى و كان عمره انذاك اثنان وعشرون عاما فقط ولم تكن له خبرة كبيرة في الحروب والأنتصارات لكن له من الذكاء الذي جعل اسمه شهيرا لعدة قرون بعد ان استطاع توفير قاعدة لاكبر توسع للثقافة الاغريقية . يمكن ببساطة تلخيص القصة على النحو التي ترويها الاسطورة ألأغريقية التالية : عندما عبر الاسكندر اسيا الصغرى واجه الفرس في اراضي الشام فهزمهم ثم أتجه بحملته وهو يقطع اراضي الشام الى الجنوب فقام بتدمير طيرة في طريقه وواصل زحفه الى ان انتهى بمصر حيث بنى مدينة الاسكندرية التي لاتزال تحمل اسمه لحد الان . كان الاسكندر في كل معركة من هذه المعارك الجندي المتقدم الاول لصفوف الجيش وقد تعرض للأصابة عدة مرات . أتجه ألأسكندر هذه ألمرة في ألعام ٣٣١ قبل الميلاد نحو بلاد فارس فالحق الهزيمة الساحقة بالجيوش الفارسية التي كان يقودها داريوس الثالث ليتولى ألأسكندر عرش فارس بعد وفاة داريوس في ألعام ألتالي للهزيمة . واصل الاسكندر ملاحقته لفلول الفرس المتواجدين في الشمال الشرقي حتى قندهار ثم تغلغل في بقية ألأراضي ألهندية فتجاوز ألبنجاب بمئة وستين كيلومتر في عمق الاراضي الهندية . تراجع الاسكندر بعد ذلك الى الوراء بسبب رفض جنوده الاستمرار في التقدم اكثر من ذلك المكان لشدة ما تعرض له الجيش من ارهاق ومن هزيمة امام جيش يتقدمه مئتان من الفيلة . عاد ألأكسندر ومعه جيشه الى بابل فمات فيها في العام ٣٣٢ قبل الميلاد وكلن عمره اثنتان وثلاثون عاما اي بعد عشر سنوات من تركه لموطنه مقدونيا والخارطة رقم ٣ تبين الحدود التي وصلتها الامبراطورية التي اقامها الاسكندر .

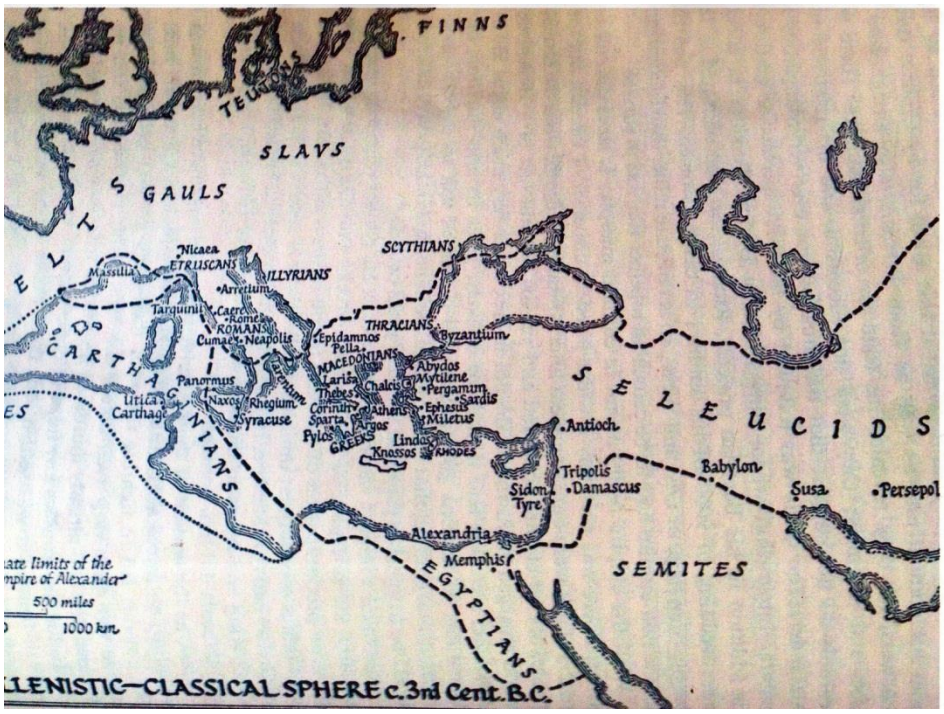

خارطة رقم (٣)
خارطة توضح ألأراضي التي استحوذ عليها الأسكندر المقدوني خلال حياته

جميع الانتصارات التي حققها الاسكندر ودرجات التنظيم التي اتبعتها الامبراطورية الاغريقية تحمل طابع العبقرية الفردية مع ان هذا الوصف الكلامي ليس كافيا لتحقيق اهداف على هذه الدرجة من التفوق . كان ألأسكندر يملك عقلا مبدعا الى جانب نوع من الهوس الشخصي في مواصلة الحصول على المجد وكان قد جمع بين الذكاء الحاد والشجاعة الفائقة مع طموح عير محدود . ان فكرة الهيلينيين في محاربة الفرس هي بالنسبة له فكرة واقعية بالتأكيد ، لكنه مع كل احترامه للثقافة الاغريقية التي تعلمها من استاذه ارسطوطلي ، كان انانيا جدا في رغبته ليكون صاحب رسالة كما ان فيه ما هو اسوء من ذلك فقد قام بقتل اقرب صديق له خلال جدال في حالة سكر ولربما ايضا هو من رتب اغتيال والده . بعد وفاة الأسكندر مباشرة قام احد جنرالاته بألأنفراد في حكم مصر وقد استمرت سلالة هذا الجنرال في حكم مصر لمدة ٣٠٠ سنة تقريبا والى ان ماتت كليوبطرا في العام ٣٠ قبل الميلاد . ما حدث في الجزء الأسيوي من الأمبراطورية فهو خرجت الهند وبعض من مناطق افغانستان من ايدي الأغريقيين أما بقية ألمملكة ألممتدة من افغانستان الى سوريا فقد حكمتها سلالة جنرال اخر من جنرالات ألأسكندر . في هذا الوقت كانت اللغة الأغريقية هي اللغة الرسمية لكل منطقة الشرق لأدنى : بلاد ما بين النهرين ، بلاد الشام ومصر .

لقد ايقض نجاح الأغريق في اقامة تلك الأمبراطورية الكبرى الأقوام البربرية القاطنة في غرب بلاد الأغريق وأهم هذه الأقوام هم الرومان وكانت هذه الفترة التي تعيشها هذه الأقوام هي فترة صراعات بينهم على النفوذ والأستحواذ ولم يتصورا أبدا بأنهم سيكونون في المستقبل القريب سادة العالم .

الفصل الخامس

ظهور الأمبراطورية الرومانية وتغير الخارطة السياسية للشرق الأوسط وأوربا :

لقد اثرت الأنجازات الأغريقية في بعض اقوام غرب اوربا فتحولت تلك الاقوام تدريجيا من حياة اقوام بربرية هائمة الى اقوام متماسكة تتطلع ألى النفوذ والثروة وكان مركز هذه الأقوام هو مدينة روما ألواقعة على بقعة من اراضي ايطاليا التي عثر عليها روموليس فقام ،على حد ما يقولوه الرومان ، ببناء مدينة روما في تلك البقعة في العام ٧٥٣ قبل الميلاد فسميت بأسمه .

يختلف المختصون حول اصل تلك الأقوام ومكان سكناهم الأصلي ومهما كان اصلهم ومن اين جاؤوا فان الغموض يلف اصول هؤلاء الأيطاليين . انظم الى هذه الأقوام اقوام هندو – اوربية اخرى وقد تمكن بعض الأيطاليين ، في هذا التجمع ، من تطوير ثقافة متقدمة فكانت لهم لغة حروفها مستنبطة من اللغة الأغريقية . في القرن السادس قبل الميلاد تعززت هيمنتهم من خلال سيطرتهم على رأس جسر هام في الضفة الجنوبية لنهر التايبر وكان هذاهو مكان موقع مدينة روما التي تحيطها عدد من من المدن الصغيرة ألأخرى التي تقطنها تجمعات لاتينية . عند نهاية القرن السادس قبل الميلاد ، انفصلت روما عن تلك المدن اللاتينية الصغيرة وأخذ يتتابع على حكمها عدة ملوك غير أنه في العام ٥٠٩ ق.م. تم عزل اخر ملك من هؤلاء الملوك فتحول النظام الى نظام جمهوري استمر اربعة وخمسون سنة . تمكنت روما من الحصول على الكثير من خلال طريقين للاستمرار في علاقتها مع حضارة الاغريق وهذان الطريقان هما طريق البر وطريق البحر . ان ثمرة هيمنة الحضارة الآغريقية هي اهم ما تم اضافته لتراث الايطاليين حيث تمكن الرومان كالأغريق من تحقيق انجازات كبرى لهم لكن ألفرق بينهما هو أن مساهمة الأغريق في الحضارة الأنسانية كانت عقلية ونفسية بينما مساهمة الرومان في تلك الحضارة بنيوية وعملية تمثلت في قددرتهم على اقامة امبراطورية كبرى .

ان رجلا ذو قدرات خارقة هو حفيد يوليوس قيصر اسمه اكتافيان الذي سمي فيما بعد بالقيصر اوغوسطوس اقدم على أتخاذ اجراءات هي تقريبا كل ما تحمله روما من خصائص الأمبراطورية اعتبارا من تشكيل اول جيش نظامي مقيم في العاصمة روما وانتهاءا بوضع ضرائب على الرجال العزاب الذين لا يلتحقون بالجيش . كان هذا الأمبراطور استاذا في العلاقات العامة بحيث انه اصبح اهم من اي امبراطور آخر مر على روما مع أن هذا ألقيصر قد جاء من فرع اجتماعي متدني الا أنه ورث الاسلوب الأرستقراطي في التعامل اضافة الى انه قد حصل على التأييد العسكري لأنه ابن شقيق يوليوس العظيم .

في العام ٣١ قبل الميلاد ، بعد مقتل كليوباترا وانطونيو ، قام اكتافيان بضم مصر الى روما كمقاطعة ثم حصل في العام ٢٧ ق.م.على لقب عظيم هو اوغوسطوس الذي سيظل في الذاكرة مع مرور السنين . أخذت سلطة اوغسطوس في النمو فحقق عدة انجازات كبرى لروما توفى بعدها في العام ١٤ بعد الميلاد غير أنه كرس خلال حياته جهده لسيطرة عائلته على السلطة رغم انه كان يحترم الشكل الجمهوري لحكم روما فكانت نتيجة هذا ألجهد هو تسلم أفراد عائلته سلطة روما لتصبح ملكية يتوارثها أبناء تلك ألعائلة .

اخذت الأمبراطورية الرومانية بالتوسع شرقا فهاجمت ارمينيا في حوالي العام ٦٢ ق.م. ثم اتجهت بعد ذلك الى مناطق الجنوب الشرقى عبر نهر الفرات ونزولا لتحتل الجزء الغربي من العراق فأتسعت مساحتها جدا بحيث أصبحت بحاجة لحكومة تستطيع معالجة المشاكل الناتجة عن هذا التوسع ولهذا ظهرت بيروقراطية معقدة لأدارتها بعد قيام مثل تلك الحكومة .

لعبت الحضارة الهيلينية الاغريقية دورا مهما في التاريخ بين الشرق والغرب في الماضي فجاءت روما لتواصل نفس الدور لكن هذه المرة على مساحة اكبر لم تصلها اية امبراطورية اخرى وفق ما هو مبين الخارطة رقم ٤ . ان هذا الاتساع السريع في اراضي الامبراطورية قد تم وهي تحت حكم وقيادة الامبراطور اوغسطين الذي حكم تلك الامبراطورية حكما مركزيا .

ظهرت في بلاد فارس ، مع أنقطاعات نسبية ، عدة امبراطوريات تمكنت من ان تدق ابواب الغرب خاصة تلك الامبراطورية التي نهضت بسرعة في اعقاب وفاة ألأسكندر في بابل وتفكك الأمبراطورية التي اقامها . تمكنت هذه ألأمبراطورية من احتلال اراضي شاسعة في منطقة الهلال الخصيب وجنوب العراق ووصلت الى اليمن . قام ألأخمينيون ألفرس فيما بعد بنقل افكار واساليب اقامة الممالك الى روما ومنها انتقلت الى الامبراطورية البيزنطية المسيحية التي حاربت الفرس الساسانيين مع أن **هذه الأفكار والأساليب تعود بجذورها الى بلاد ما بين النهرين القديمة** (١) .

كان اردشير اول ساساني يملك اتجاها قويا لمواصلة التقاليد الفارسية فقام عمدا بايقاض ذكريات ألأمجاد الفارسية فأخذ يدعو ألى أعادة كافة ألأراضي التي كانت تحت حكم داريوس لتكون تحت حكم الفرس مجددا . استمر خلفه على نفس ألأصرار في مواصلة نفس النهج بحيث ان اعادة احتلال الفرس لأرمينيا قد استغرق مئة عام وكان اخر ما قامت به الأمبراطورية الفارسية في القرن السادس بعد الميلاد هو وضع اليمن تحت سلطتها . ان التنوع الجغرافي والمناخي كان دائما ولمدة طويلة عنصر تهديد للسلطات الفارسية غير أن الساسانيين تمكنوا من حل المشاكل الناتجة عن ذلك التهديد . لهؤلاء ألساسانيين تقاليد بيروقراطية تعود الى مرحلة سيطرة الامبراطورية الاشورية على ألأراضي فأخذوا نفس النهج في البناء والادعاء بحقهم في السيطرة على شعوب الاراضي الاخرى .

اصبح النظام السياسي للفرس الساسانيين نظاما دينيا بعد أن أعلن الملك اردشير ان الزرادشتية هي ألدين ألرسمي للدولة فمنح الامتيازات للكهنة مما ادى الى تعاظم قوتهم السياسية . لقد اكد الكهنة على الطبيعة المقدسة للملكية وبهذا اصبح لهؤلاء الكهنة دورا هاما في الجوانب القضائية اضافة الى اشرافهم على جمع ضريبة الأراضي التي تشكل اساس تمويل الدولة . اتخذت الاسسس الايدلوجية ألدينية للدولة الفارسية اهمية اكبر بعد أن تحولت الامبراطورية الرومانية الى المسيحية فاصبح الخلاف بينها دينيا اضافة للخلاف على ألمصالح السياسية . في ظل هذه المناخات ، لم يتعرض المسيحيون في بلاد فارس وحدهم للاضطهاد بل ان الامر ادى في العام ٢٧٦ قبل الميلاد الى اعدام معلم ديني فارسي يدعى **ماني** الذي دعى الى الالتزام بتعاليم دينية جديدة حملت اسمه اي المانوية .

أخر أعظم ملك من ملوك ألفرس الساسانيين أستغل فرصة أغتيال أمبراطور بيزنطة للقيام في ألعام ٦١٥ ق.م. بأجتياح ألمدن ألسورية ألواحدة بعد ألأخرى . في ألسنة ألتالية تقدمت الجيوش الفارسية لاحتلال بلاد النيل ثم في السنة التي بعدها اصبحت طلائع تلك الجيوش على بعد ١,٦ كم من الامبراطورية البيزنطية فكان هذا التقدم للفرس اسوء لحظات صراع روما مع الفرس . قبل ذلك ، في العام ٦١٠ ق. م. حدثت في بيزنطة ثورة بقيادة هرقل اطاحت بالامبراطور وقتلته فنصبت بطريركية بيزنطة هرقل امبراطورا فأثبت هرقل فعلا بانه اعظم جندي وامبراطور لبيزنطة . تقدمت ألجيوش ألفارسية في العام ٦٢٦ ق.م. للهجوم على اسطانبول فواجهتهم عقبة البحر الذي لم يتمكنوا من عبوره وفي السنة التالية تقدم هرقل مستهدفا منطقة اشور وبلاد ما بين النهرين وهي قلب الاراضي المتنازع عليها في ستراتيجية الشرق الادنى فكانت النتيجة بعد أن خارت قوى ألفرس تماما ، هي اغتيال الملك شوسروس الثاني وقيام سلفه بالتوصل الى أتفاق سلام مع البيزنطيين وهذا يعني أن ألأيام العظيمة للقوة الساسانية قد ولت (١) . أنتهى الصراع بين القوتين اللتان حكمتا العالم في تلك الفترة من التاريخ فاستقرت ألحدود بينهما على ما كانت عليه في ذلك الوقت على نحو ما توضحة الخارطة ٤ .

قبل ان يفصح التاريخ عن صفحة جديدة من الصراعات في المنطقة الاهم في العالم وهي منطقة ألأقاليم الخمسة التي تتكون منها المنطقة العربية الحالية ، تلاشت خلالها ألأمبراطورية الساسانية في العام ٢٣ هجري الموافق ٦٤٤ م على يد جحافل التحرير العربية ألأسلامية التي واصلت زحفها لتطهير ارض بلاد الشام ومن بعدها فتح وتحرير بلاد نهر النيل وغربها وطرد الرومان منها نهائيا في العام ٦٤٢ م ليركبوا ألبحر عائدين الى بلادهم .

الفصل السادس

ظهور الأسلام وبدء حروب التحربرالعربية و انهيار الأمبراطوريتين الساسانية والرومانية:

ألتغير ألثاني للخارطة السياسية للأقاليم ألعربية والعالم :

١ – الجزيرة العربية :

كانت منطقة شبه الجزيرة العربية الموطن ألأول لما يعرفون بالساميين نسبة الى سام بن نوح . قبل حلول مرحلة الدفئ ألأخير ، لم تكن هذه ألأرض مفصولة عن بقية ألأراضي ألأسيوية الشرقية بمانع بحري كما هو الحال اليوم . يؤكد علماء ألتأريخ والجيولوجيا بأن الخليج العربي الحالي كان في مرحلة ما قبل ألتأريخ واديا رائع الجمال يمر فيه نهران عظيمان متدفقان هما دجلة والفرات يصبان في بحر العرب و كان هذا الوادي مكتظا بألأشجار والحيوانات المختلفة ومكانا مثاليا للساميين القاطنين فيه . وما قاله هؤلاء العلماء عن الجزيرة العربية في تلك الفترة هو ان المناخ فيها غزير ألمطر ولا يختلف كثيرا عن مناخ وادي الخليج . في مثل هذه ألضروف ألمناخية كانت تعيش في غابات وأحراش وديان وتلال ألجزيرة ألعربية مختلف انواع الحيوانات كألوحوش الحمر وألأسود وألنمور والخيول والجمال و... ألخ من حيوانات . بسبب هذا الرفاه النسبي للسكان ، ازداد عددهم لتصبح الجزيرة العربية كما وصفها المؤرخ ج.م. روبرتس خزاننا بشريا للأقوام السامية ألتي هاجرت في فترات مختلفة ألى مناطق بلاد ما بين النهرين ، بلاد الشام ، مصر وشمال افريقيا بتلك الاقوام التي تمكنت من اقامة الحضارات الاولى في العالم .

لم يستمر الوضع المناخي للجزيرة العربية على ذلك الحال طويلا فبعد بضعة ألاف من ألقرون ، طرأت على أغلب اراضي الجزيرة العربية مواسم جفاف متعاقبة قلت فيها الامطار فتحول الجزء ألأكبر من مناطقها تدريجبا الى مناطق صحراوية رملية قاحلة جرداء تكاد ان تنعدم فيها وسائل الحياة .استمرت حياة سكان الجزيرة العربية تعاني صعوبة وضنك في العيش مما أدى ألى استمرار أنتشار مجموعات من سكانها ألساميين على شكل دفعات وألأستقرار في ألأقاليم ألثلاثة من ألمنطقة ألعربية : أقليم ما بين ألنهرين ، أقليم بلاد ألشام وأقليم وادي ألنيل ومنه الى سواحل ألأقليم ألخامس - ألمغرب ألأعربي . هناك قصتان متداولتان معروفتان للمواطن ألعربي تعبران عن صعوبة ألعيش في بعض مناطق الجزيرة العربية ، الأولى ههي قصة ترك النبي ابراهيم الخليل لعائلته المكونة من هاجر وابنه الصغير اسماعيل المذكورة في القرآن الكريم في بقعة من بقاع ارض مكة الحالية ألتي وصفها وهو يناجى ربه **" ربي اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع "** ولا ضرع . والقصة الثانية هي القصة السردية لتلك التي سميت " بالتغريبة الهلالية " . هذه ألقصة تسرد ألأحداث التي مر بها بني هلال بعد ترك أراضيهم في الجزيرة ألعربية على أثر حصول قحط شديد

أستمر طويلا مما دفعهم للتوجه نحو مناطق الشمال الغربي قاطعين اراضي وادي النيل ليصلوا الى تونس الحالية ولربما الى ابعد من تونس .

كان المكان الذي ترك النبي ابراهيم عائلته فيه – زوجته هاجر وولده أسماعيل – هو مكة الحالية عندما كانت مكانا خاليا من اي شكل من اشكال الحياة فهي ارض منخفظة تحيطها جبال صخرية قاحلة وجرداء . أخذت هاجر من لهفتها على صغيرها اسماعيل الذي كاد أن يفتك به الضمأ ، تهرول شمالا وجنوبا لعلها ترى احدا يعينها على ماهي عليه من مصيبة فقدان ولدها ولما لم تجد احدا جلست عند سفوح أحد ألجبال وهي تنبش بيديها الارض من شدة يأسها وهلعها على صغيرها فتفجر الماء فجأة من ألحفرة بين يديها . ولما كانت هاجرعلى دين ابراهيم فقد شكرت الله ثم أسقت وليدها الماء فسكن هلعها وروعها ولم يكن هذا النبع سوى النبع الذي جرى تسميته فيما بعد بنبع زمزم الذي لايزال المسلمون يتباركون بمياهه .

يضيف المؤرخون المختصون بالتاريخ القديم للجزيرة العربية بان عربا من جرهم مروا من هناك مصادفة فلما وجدوا السيدة هاجر ووليدها اسماعيل عند نبع تجري منه المياه ، تعجبوا لعلمهم بعدم وجود اي مورد للماء في هذه البقعة الجرداء . رحبت بهم السيدة هاجر ودعتهم لأخذ ما يكفيهم من الماء للأرتواء ونظرا لندرة المياه في مناطق الجزيرة فقد قرروا البقاء ألى جانب ذلك النبع ومشاركة الام وطفلها العيش في ذلك المكان . أختلطت حياة هاجر وابنها بحياة هؤلاء القوم فقيل بان اسماعيل أخذ اللغة العربية عنهم وتزوج احدى نسائهم فسمى المؤرخون اسماعيل لهذا السبب بأنه ابو العرب (٥) .

كان لهذا التجمع السكاني المحدود في هذا المكان تأثيرا حاسما ليس في مستقبل الجزيرة العربية والمنطقة العربية فحسب بل في مستقبل العالم . بعد عدة سنين ، افتقد النبي ابراهيم عائلته التي تركها في تلك البقعة الجرداء فقرر الذهاب الى هناك ليرى ما الذي حل بها ولما وصل الى هناك وجد عائلته بأفضل حال مع قومهم الجدد من جرهم . مكث النبي ابراهيم مع زوجته و ابنه اسماعيل فترة غير معروفة من الزمن قرر خلالها بمشاركة ابنه أسماعيل بناء " بيت للرب " يأمه الناس فكانت الكعبة التي اصبحت فيما بعد ، المكان الذي يزوره عرب ألجزيرة لمزاولة طقوسهم الدينية الوثنية في الطواف حولها . كانت زيارة العرب للكعبة تتم في وقت محدد من كل سنة فكانت بداية لظهور قرية سكنية اسمها " مكة " التي لم يكن هناك احدا يعلم ما الذي يخبئه المستقبل لهذه البقعة ألمقدسة من ارض الجزيرة العربية .

رغم عزلة سكان شبه الجزيرة العربية وبعدها عما يحدث في الشمال ، في الهلال الخصيب الذي يسكنه اخوانهم الساميون الواقعون تحت أحتلال امبراطوريتان متصارعتان هما ألفارسية الساسانية وألرومانية بينما كان نصيب من تبقى من سكان الجزيرة العربية من هذا الصراع مختلفا عن نصيب اخوانهم في الشمال الشرقي والغربي خاصة في فترة التوقف الطويل لذلك الصراع ألدائر بينهما . أدى هذا ألتوقف ألى حصول

تغيرات أجتماعية وثقافية وأقتصادية واسعة منها اتساع التبادل التجاري بين الأقوام فأخذت مكة بسبب موقعها الجيوغرافي نصيبا وافرا من حركة التجارة ألأقليمية في القرون الاخيرة التي سبقت مبلاد المسيح ثم في حركة التجارة العالمية خلال قرون ما بعد الميلاد . ان الحدود السياسية لهاتين ألأمراطوريتين في تلك الحقبة من التأريخ مبينة في الخريطة ٥ أضافة ألى أنها توضح كيف أن هاتين القوتين قد ركزتا في احتلالهما وسيطرتهما على المناطق المنتجة والحيوية من الهلال الخصيب فتقاسماها . أنفرد ألساسانيون بحكم منطقة العراق من شرق الفرات نزولا الى ساحل ألخليج العربي والساحل الجنوبي للجزيرة العربية حتى اليمن في حين انفرد الرومان بألمنطقة من غرب ألفرات وهي أراضي بلاد الشام وسواحل مصر والمغرب العربي وتركوا ألمناطق ألأخرى . ولهذا ألسبب ، لم تكن أرض ألجزيرة ألعربية في اية مرحلة من مراحل التاريخ خاضعة لأية قوة خارجية .

بعد أن أصبحت ألزادشتية ألدين ألرسمي للدولة ألفارسية ، تبنى ألرومان بدورهم ألدين ألمسيحي وهنا يمكن ألتوقف عنده قليلا للتعرف على ظاهرة غريبة هي أن ألزرادشتية لم تلق قبولا عند ألعرب ألقاطنين في ألمناطق ألعربية ألتابعة للفرس بينما لقى ألدين ألمسيحي أقبالا واضحا من ألعرب ألقاطنين في ألمناطق ألعربية ألتابعة للرومان . في ألقرون ألفاصلة بين ظهور ألدين ألمسيحي وظهور ألدين ألأسلامي شهدت أغلب أقاليم ألمنطقة ألعربية وجود تجمعات سكانية عربية تبنت ألدين ألمسيحي خاصة في أقاليم ألهلال ألخصيب وحتى في أقليم ألجزيرة ألعربية ومن ألمعروف ايضا بأن تجمعات دينية يهودية ايضا كانت تقطن في يثرب

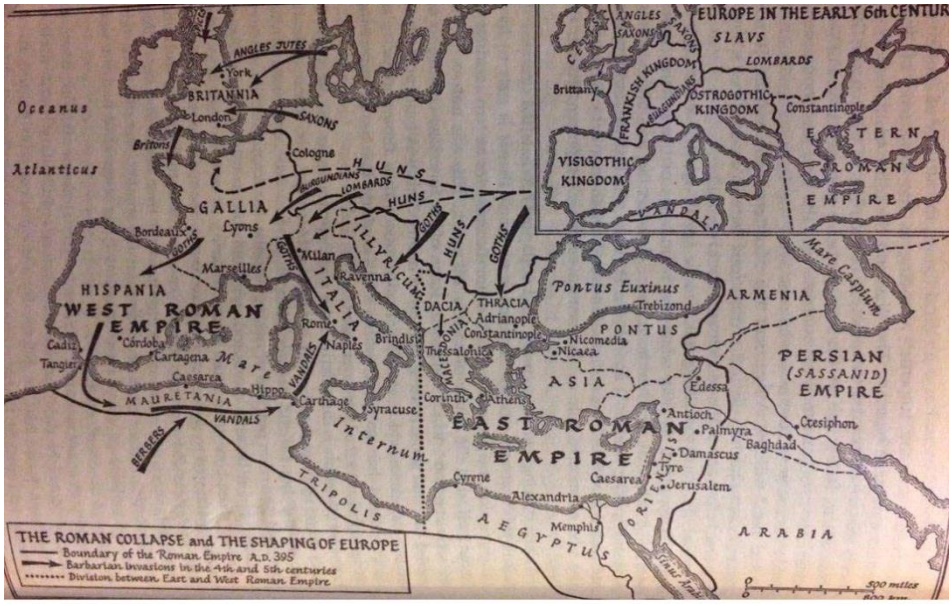

خارطة ٥
ألأقاليم العربية التي تقاسمتها ألأمبراطورية الساسانية وألأمبراطورية الرومانية ألشرقية كانوا

من منطقة ألحجاز . ومع أن أغلب سكان دولة ألغساسنة ألعربية في أقليم ألشام كانت خاضعة للأمبراطورية ألرومانية ألمسيحية قد تحولوا ألى ألديانة ألمسيحية ، ألا أن سكان دولة ألمناذرة ألعربية في أقليم بلاد ما بين ألنهرين وألواقعة تحت ألسيطرة ألفارسية ألساسانية ألزرادشتية لم يتحولو ألى ألدين ألزرادشتي وظلوا محافظين على وضعهم ألثقافي ألسابق .

اضمحلت قوة الفرس وضعف نفوذها بسبب الأضطرابات الشبه دائمة التي يقوم بها سكان المناطق ألشمالية من ارمن واذربيجانيين وشعوب تركية اخرى ضد ألمملكة الساسانية مما جعلها منشغلة بامور تلك المناطق اكثر مما كانت منشغلة بامور حدودها الغربية والجنوبية . ففي العام ٦١٠ بعد الميلاد تعرض الساسانيين لفأل سيئ في زوال امبراطوريتهم عندما استطاعت قوة من عرب العراق لأول مرة من الحاق هزيمة منكرة بجيوش الساسانيين في معركة سميت " **بموقعة ذي قار** " لوقوعها في منطقة ذي قار في جنوب العراق والتي قال عنها النبي محمد عندما لم يكن قد نزل عليه الوحي بعد " **اليوم انتصف العرب من الفرس** " . كانت هذه المعركة بداية لملاحم من معارك قادمة بين العرب والفرس ستهز التاريخ وستغير الخارطة السياسية للعالم وليس ألأقاليم الخمسة التي تتكون منها المنطقة العربية فقط .

ارض الجزيرة العربية ارض واسعة تحتل مساحة عرضها بالمتوسط ٩٦٠ كم وطولها ١٦٠٠ كم وسكانها عرضة لضروف بيئية غاية في القسوة فصيفها شديد الحرارة واغلب اراضيها اما صحراء او جبال صخرية جرداء وان القدرة على العيش في مثل هذه الارض كما يقول روبرتز يعتبر بحد ذاته انجازا لسكانها (١) . رغم ألضرف ألمناخي ألقاسي للجزيرة ألعربية ، كان فيها منذ الالفية الثانية قبل الميلاد عدد من الموانئ البحرية القليلة التي يسكنها قليل من البحارة الساميين الذين يقومون بنقل بضائع التجار التي تشكل التوابل القادمة من الهند اهمها ثم يتواصل بعد ذلك نقلها الى بلاد وادي الرافدين وبلاد الشام ومن ثم الى بقية المناطق في الشمال كما كان هناك نقل للبضائع التي يشكل اللبان اهمها من شرق افريقيا عن طريق البحر الاحمر وصولا الى مصر .

رغم كل ما قيل عن البيئة الجغرافية القاسية للجزيرة العربية وعن معاناة سكانها فهي مع ذلك قد احتوت قبل وبعد عدة قرون من ظهور المسيحية على مجموعة من ممالك ناهضة ظلت قائمة حتى القرن الخامس من بعد الميلاد لكنها اختفت وكان اختفاء أحدها بسبب أنهيار نظم الأرواء فيها كما حدث مثلا لمملكة سبأ وانهيار سد مأرب مما ادى ألى نزوح عدد كثير سكانها نحو مناطق اخرى في الشمال .

في تلك ألحقبة من ألتأريخ ، ازدادت اهمية مكة تدريجيا لتكون مركز جذب ديني وتجاري لسكان الجزيرة مما ادى الى زيادة سكانها بسبب استقرار بعض القبائل فيها . من أهم هذه القبائل وأشدها تأثيرا هي قبيلة

قريش ألتي عمل سادتها في ألتجارة فأخذت مكة تزدهر تدريجا لتصبح اهم مركز تجاري في ألجزيرة الى جانب مركزها ألروحي وألثقافي ألجاهلي .

نتيجة لتلك ألتغييرات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على مكة ، ظهرت فيها طبقة جديدة متنامية مترفة لم تكن في السابق موجودة بهذا الحجم وقوة التاثير مما ادى الى ظهور تجارة لم تكن موجودة سابقا فيها وهي تجارة العبيد للعمل في المجالات التي تتطلبها حاجات اغنياء ومترفي مكة والمجتمع المكي عموما . هكذا كان حال المجتمع المكي عندما ولد النبي محمد والذي اختلف المؤرخون على تأريخ ميلاده لكن المسلمين حاليا مجمعون تقريبا على تأريخ محدد لميلاده يحتفلون به عند كل سنة وهو يوم الثاني عشر من ربيع الاول من عام الفيل الموافق ٢٠ من نيسان ٥٧١ ميلادي .

٢ – ظهور الأسلام :

ان سيرة النبي محمد معروفة لكل المسلمين و لغير المسلمين وان تأثيره الشخصي كرسول ونبي للمسلمين طال كل نواحي الحياة في ألمنطقة والعالم مما دعى ميشيل هارت مؤلف كتاب " المئة شخص الأكثر تأثيرا في التاريخ " الي وضعه في المرتبة الأولى من بين اولئك المئة شخص (٦) . لذلك ان ما يجب تناوله الان هو التأثيرات السياسية التأريخية وألثقافية للدين الجديد الذي جاء به النبي محمد ألتي أدت نتيجتها ألى تغيير سريع وعاصف للخارطة السياسية للمنطقة وألعالم . وقبل تناول تلك ألأحداث ، من الضروري ذكر اهم المحطات التي مر بها النبي محمد خلال مراحل حياته ألتي لها علاقة مباشرة بالمستقبل الذي وصل اليه المسلمون العرب بعد وفاته ومغادرته لمن آمن بدينه .

ولد الرسول محمد يتيما لأب هوعبد أللة اصغر اولاد الشيخ عبد المطلب وبعد سنين قليلة لحقت والدته آمنة بنت وهب بالأب فلم يعد له سوى جده فعاش في كنفه الى حين وفات الجد وهو لا يزال صبيا . في وقت ما من هذه الفترة عندما كان عمره عشرة سنين ، طلب منه احد اعمامه مصاحبته في قافلة لتجارة له الى الشام حيث يتبادل التجار بضائعهم في منطقة اسمها بصرى الشام وكانت هذه اول مرة يخرج فيها النبي محمد خارج الجزيرة العربية حيث التقى هناك ، كما يقول المؤرخون المسلمون ، بقس مسيحي من اهل بصرى بادله الحديث فتنبأ له بالنبوة . بعد وفاة جده تكفله عمه ابو طالب فعاش في كنفه ، لكن هذا ألعم كان كثير العيال وقليل المال مما حدا بالنبي محمد وهو في الخامسة والعشرين من عمره الى قبول عرض السيدة خديجة بنت خويلد في الخروج بتجارتها الى الشام بعد ان طبقت سمعته وشهرته بالأمانة والصدق وكمال ألخلق مجتمع مكة وما حولها . ازداد اعجاب السيدة خديجة الثرية به بعد عودته من تجارتها الرابحة فعرضت عليه وهي التي تكبره باكثر من عقد من السنين ، ان يتزوجها فخطبها وتزوجها وله من العمر سبعة وعشرون عاما .

يبدو ان ألنبي محمد منذ بدايات وعيه ، كما تدلل سيرته ، لم يشارك ألمجتمع ألمكي طقوسهم ألدينية الوثنية بعبادة الأصنام فسيطرت عليه فكرة مفادها ان هذه العبادة تنتمي الى حالة الجهل والكفر التي يعيشها اهل مكة وغالبية شعب منطقة الجزيرة وفكر بان لابد من مواجهة هذه الحالة التي يعيشها قومه . ظل حتى بعد زواجه من خديجة يختلي بنفسه في احدى مغارات جبل حراء لأيام وسنين وكانت علاقاته منحصرة بزوجته وبصديق وحيد له هو ابو بكر أضافة لأبن عمه الغلام علي بن ابي طالب الذي تكفله النبي فيما بعد لتخفيف العبء عن العم . في يوم من ايام خلوته في ذلك الجبل وهو في سن الأربعين ، سمع صوتا جهوريا يقول له **" اقرأ بأسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الأنسان ما لم يعلم ... "** فهرع يجري الى منزله هلعا مرتجفا مما سمعه طالبا من زوجته ان تدثره وهي تلح في سؤاله عن الذي حصل له . اخبرها عن ألذي حصل له فاخذت تهدئ من روعه وتشجعه الى ان سكن ثم جاءه الصوت مرة اخرى في احدى مرات تدثره ليقول **له " يا ايها المدثر قم فأنذر...."** . يلاحظ ان في كلتا المرتين كان الصوت يأتيه بصيغة امر فاذعن له وتهيء لأن يدعو الناس لما دعاه اليه ربه خاصة بعد ان آمن به كل من السيدة خديجة و ابو بكر الذي اكتسب لقب الصديق وابن عمه الصبي علي ابن ابي طالب . بدأ النبي أولا بدعوة اهله من بني هاشم ثم دعوة رجال قبيلتة قريش فلم يلق غير الصد من أغلبهم ليتطور ألصد الى عداء حاد معه ومع من يتبعه .

شيئا فشيئا اكتسب الدين الجديد الانصار من العبيد والفقراء من سكان مكة فشعر متنفذي واغنياء قريش بان دعوة محمد اخذت تشكل خطرا على مصالحهم ونفوذهم فجابهوا أنصار الدين الجديد بوسائل مختلفة من التعذيب والاضطهاد والتشريد مما ادى الى ظهور بدايات انقسام في مجتمع ألجزيرة ألعربية . لما لم تثن وسائل قريش في اضطهاد المسلميين في الحد من تأثيرهم ، لجأ وجهاء قريش الى اسلوب المساومة فاتجهوا الى عم النبي عبد المطلب وعرضوا عليه **" اذا اراد ان يكون محمدا ملكا علينا ملكناه وأذا أراد و ... ألخ من المغريات "** . قام عبد المطلب بدعوة أبن اخيه للحضور اليه لينقل اليه ما قاله له القوم فكان رد الرسول محمد ردا صاعقا ومزلزلا **" والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الأمر او أهلك دونه لما تركته "** .

في موسم من مواسم الحج حيث ياتي العرب من كل انحاء الجزيرة الى مكة لأداء فريضة الطواف حول الكعبة التقى النبي محمد بجمع من الاوس والخزرج قادمين من المدينة – يثرب - فاصلح ما كان بينهم من خلاف وعداء واخاهم فاجتمعوا على بيعته ونصرته لو قدم الى المدينة . كان ذلك بعد ان هاجر عدد كبير من المسلمين على رأسهم عثمان بن عفان الى الحبشة متبعين نصيحة النبي في الذهاب الى هناك للخلاص من اضطهاد قريش . ولما ازداد بطش قريش الى حد انهم عزموا على قتل النبي ، قرر النبي محمد دعوة

اصحابه واتباعه فنصحهم بترك مكة والهجرة الى المدينة ثم لحق بهم بصحبة رفيقه ابو بكر فيما بعد فكان يوم هجرة النبي الى المدينة هو اول يوم للتاريخ الهجري الذي استخدمه العرب المسلمون فيما بعد في تحديد توارخ ألأحداث . بعد وصول ألنبي ألى المدينة والتقائه باصحابه من المهاجرين والأنصار قرر بناء جامع للمسلمين ليصبح مكانا للصلاة والعبادة ومكانا لمناقشة امورهم السياسية والاقتصادية واتخاذ القرارات المناسبة بصددها فكان اول جامع في التاريخ الاسلامي . بعد أن تأخى ألمهاجرين وألأنصار اخذ المسلمون في هذه المرحلة بتنظيم امورهم وتقوية انفسهم استعدادا لدخول مرحلة جديدة يواجهون فيها انواع من الصراع لا يمكنهم التكهن بأبعاده وطبيعته .

لقد ساعد استقرار المسلمين في تلك المينة على ازدياد عددهم فأصبحوا يشكلون القوة الأجتماعية والسياسية الأكثر تأثيرا في حياة المدينة مما يعني انهم تحولوا الى ما يشبه سلطة لمدينة هي شبه دولة صغيرة . وفي يوم من الأيام جمعهم الرسول وابلغهم بان الله قد اذن لهم بقتال مشركي قريش فقد نزلت عليه سورة الحج وبها **" ...أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله "** . خاض المسلمون بقيادة النبي محمد عدة معارك اخذت بادىء الامر شكل سرايا تدخل في مناوشات محدودة مع مشركي قريش كقطع طريق تجارتهم وهو أمر لم يتحمله المشركون فقرروا القيام بحملة عسكرية ضد المسلمين . كانت نتائج هذا الأصرار أن أضطر المسلمون الى الدخول في ثلاث معارك رئيسية مع قريش مكة ومن حالفهم من القبائل . كانت هذه المعارك : معركة بدر ، معركة احد ومعركة الخندق وهي اخر المعارك التي تخاذل فيها معسكر قريش وحلفائها فقرروا ألعودة ألى مكة . أستبشر ألمسلمون بهذه النتيجة وأعتبروا عودة ألمشركين ألى مكة نصرا عليهم أن يستثمروه فأخذ عدد ألمسلمين يزداد في ألمدينة مما أتاح لهم ألتفرغ لتقوية صفوفهم وألشروع ببناء نواة دولتهم في المدينة سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

كانت اول مبادرة للرسول ، بعد ألذي حصل هي دعوة ألمسلمين لمحاربة بني نظير وطردهم من المدينة عقابا لهم على نكوصهم في عهودهم وخيانتهم للمسلمين بأتفاقهم مع قريش فكان رجل تلك المهمة هو ابن عمه علي بن ابي طالب الذي نجح في طردهم ليتفرغ بعدها المسلمون لبناء مجتمع عربي اسلامي صاف و متجانس . طويت مرحلة المعارك والقتال ودخل المسلمون مرحلة السلام والتعامل السياسي خاصة بعد ان تأكدوا بان ليس في استطاعة قريش اثارة حرب أخرى معهم . اخذت هذه المرحلة ما يقارب السنتين بدأ المهاجرون يناقشون النبي خلالها في كيفية حل مشكلتهم كمهاجرين وحنينهم لأهلهم وموطنهم مما ادى الى حصول بلبله في صفوف ألمسلمين . في يوم من أيام شهر ذي ألحجة للعام ألسادس من ألهجرة أجتمع ألنبي محمد بألصحابة وبقية ألمسلمين فعرض عليهم ألذهاب لأداء شعائر العمرة ولقاء أهاليهم فخرجوا وهم يرتدون

ملابس الأحرام لايحملون معهم سوى السلاح الفردي للحماية من اخطار الطريق فقط . وصل أعدداد ألمسلمين اللذين ساروا مع ألنبي بأتجاه مكة الى حوالي ١٤٠٠ من ألمهاجرين وألأنصار فعسكروا عند منطقة قريبة من مكة أسمها ألحديبية . اتت الاخبار لقريش بقرب المسلمين من مكة فتهيأوا لقتالهم لكن النبي بادر بارسال عثمان بن عفان للقاء وجهاء قريش ليقول لهم ان النبي لم ياتي للقتال وانما للعمرة . بعد اخذ ورد توصل الطرفان الى عقد هدنة عدم أعتداء بينهما وقعها النبي عن المسلمين وسهيل بن عمرو عن قريش مدتها عشر سنوات في ألعام ألسادس للهجرة ألموافق ٦٢٨ م وتم تسمية هذه الهدنة بصلح ألحديبية .

كانت ألستراتيجية التي اتبعها النبي محمد في هذه المرحلة هي التوقف عن الصراع العسكري مع قريش لأن مناخ مرحلة السلم في تقديره انسب في انتشار الأسلام من مناخ الحرب لذلك احتفل النبي في انجاز صلح الحديبية وامر المسلمين بالقيام ببعض الشعائر الدينية وقضاء عدة ايام في الحديبية غادرها المسلمون بعدها راجعين الى المدينة. ألذي حصل بعد ذلك هو أن أحد أطراف حلفاء قريش أغار على قبيلة حليفة للمسلمين مما يشكل نقضا لصلح ألحديبية مما أثار حفيظة ألمسلمين . تزامن هذا ألحدث مع تململ ألكثير من ألمهاجرين بسبب غيابهم ألطويل عن عوائلهم وموطنهم فقرر ألنبي محمد بأن ألوقت قد حان لدخول مكة دون حرب . أتخذ ألنبي كافة الاحتياطات الامنية والاستخباراتية للحيلولة دون تسرب ألأخبار عن استعدادات المسلمين لدخول مكة فلجأ ألى خدعة لتظليل المشركين بارساله سرايا من المقاتلين المسلمين الى جهات مختلفة لايهام قريش بانه لا يقصد مكة في هذا التحرك كما انه كتم امر هذا القرار حتى على اهل بيته و اقرب اصحابه . بعد أن اكتملت استعدادات تحرك جيش المسلمين المكون من عشرة الاف مقاتل اخبرهم النبي وهم في الطريق بانهم متجهون لفتح مكة فأنفتحت اسارير المسلمين خاصة المهاجرين منهم لغيابهم الطويل عن أهلهم ومكة فأزدادت معنويات المقاتلين للمجابهة ألعسكرية . وصل جيش المسلمين الى هناك و دخل مكة من اربع جهات ولم يكن لقريش ألقدرة لمواجهة هذا الجيش فكان دخول مكة سلما بدون قتال الا ما كان من جهة المجموعة التي يقودها خالد بن الوليد عندما حاول بعض من مقاتلي قريش بقيادة عكرمة بن ابي جهل التصدي لهم فقتل خالد اثنى عشر رجلا منهم و فر الباقون بينما قتل رجلان من المسلمين فقط .

أطمئن الناس عندما دخل الرسول مكة واتجه الى الكعبة فطاف بها وهو يردد " **جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا** " فأخذ يحطم الاصنام . بعد خروجه من الكعبة واحه جموع قريش قائلا لهم " **ترى ما انا فاعل بكم ؟** " فردوا " **اخ كريم و ابن اخ كريم** " فقال لهم " **اذهبوا فانتم الطلقاء** " . كان من نتيجة فتح مكة هو اعتناق الكثير من اهلها الاسلام ومنهم اكبر وجهاء قريش ابو سفيان بن حرب وزوجته هند اكلة كبد الحمزة عم النبي .

شكل هذا ألأنتصار بداية مرحلة جديدة في تأريخ ألعرب ألمسلمين تم فيها نشر ألأسلام في كافة أرجاء الجزيرة العربية . بعد ان استقرت الامور في مكة ، غادرالرسول مكة ومعه اصحابه ومن آثر من المهاجرين ألأنضمام أليه بأتجاه ألمدينة التي اصبحت عاصمة الدولة الأسلامية الوليدة . قام النبي محمد ببعث وفود تحمل رسائل الى كل من يزدجر كسرى ألفرس وهرقل ملك ألروم تتضمن دعوتهما لدخول ألأسلام . كان رد هرقل على رسالة النبي هو ألسخرية من ألذي كان فيها بينما كان رد كسرى ألفرس أكثر فضاضة وأستعلائا فرمى رسالة ألنبي بوجه ألوفد وصاح بهم **: من انتم أيها ألأعراب؟** فأجابه رئيس ألوفد **: نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وان اكلنا لا نشبع وعندها** طأطأ كسرى رأسه وصمت .

قام ألرسول محمد قبل مرضه بأيام بتعيين اسامة بن زيد وهو شاب حدث في العشرين من العمرعلى رأس جيش لماحربة الروم وتحرير بلاد الشام لكن الحملة توقفت بعد مرض النبي انتظارآ لما سيكون عليه امر مرضه ، غير ان المرض اشتد عليه فجائته الوفاة في الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة الموافق ٦٣٣ م . كان هول الصدمة بوفاة النبي على المسلمين كبيرا جدا فحصلت بلبلة بينهم ادت الى حصول لغط ومشادة بين جمع من الأنصار و بعض المهاجرين ألمجتمعين في سقيفة أبن ساعدة للنقاش حول ما يمكن ان يفعلوه بعد غياب النبي عنهم . ولما كان علي بن ابي طالب مشغولا في تجهيز النبي فقد هرع عمر بن الخطاب وهو حامل سيفه الى ابي بكر واطلعه على الذي يحصل في السقيفة وما يمكن ان يحمله من اخطار . أسرعى كلاهما الى السقيفة وهناك ، بعد طال الأخذ والرد بألنقاش بين الأطراف اقدم عمر بن الخطاب على حسم الامر وانهاء الجدل فمد يده الى ابو بكر فبايعه وطلب من الاخرين مبايعته كخليفة للنبي محمد فوافق المجتمعون على طلبه . ساد ألسكون وألهدوء وأنتهى ألأضطراب في ألسقيفة ألذي كاد ان يؤدي الى بداية فتنة لا يستطيع احد التنبؤ بنتائجها . بعد مبايعته ، وصل الى ابي بكر بأن هناك من الناس من يأبى التصديق بوفاة النبي فدعى فورا الى أجتماع المسلمين في الجامع للصلاة وهناك القى خطبته الشهيرة التي قال فيها: **"... من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فأن ألله حي لا يموت ... "** ثم قرأ عليهم ألأية التالية : **" وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات او قتل تنقلبون على اعقابكم ..."** فبكى الكثيرون منهم و بايعه جميع الناس كخليفة للرسول محمد .

كانت مرحلة ما بعد وفاة النبي من اخطر المراحل التي مر بها المسلمون فقد كانت هناك مخاوف من تهديد حقيقي لكيان ألدولة ألوليدة بدئا من ألخلاف ألذي صاحب مبايعة أبي بكر بين بني هاشم بأعتبارهم ألأحق بألخلافة وبين جموع ألمسلمين التي بايعت ابو بكر في المسجد في حين تخلف عنها كل من علي والزبير بن العوام مع قلة من الصحابة عن مبايعة ابي بكر . أسباب تخلف هؤلاء ألصحلبة في مبايعة أبو بكر متباينة اختلف حولها المؤرخون لكن الثابت أنهم سارعوا جميعا الى مبايعته عندما لاحت بوادر فتنة كبرى

اخرى تلوح في الافق . كان أصحاب هذه ألفتنة بعض قبائل ألجزيرة ألتي أعلنت رفضها دفع الزكاة مما أدى الى ظهور بوادر لما تسمى ألأن ألحرب ألأهلية فواجهها ألخليفة ومعه ألصحابة بحزم أستثنائي ألى أن تم خضوع كافة ألقبائل ألمتمردة في الجزيرة فعم ألسلام وألأستقرار أرض ألجزيرة ألعربية .

٢,١ - خلافة ابو بكر :

بعد ان استقرت اوضاع الدولة وخلال السنة الاخيرة من حياته ، باشر ألخليفة أبو بكر بتنفيذ وصايا ألنبي بألأستعداد لتهيئة الجيوش لتحرير العراق من الفرس و بلاد الشام من الروم فدار نقاش طويل بين الخليفة وبقية الصحابة حول قيادة اسامة بن زيد ألذي عينه ألنبي لقيادة تلك ألجيوش . كان موقف ابي بكر هو التمسك بقرار ألنبي بتعين أسامة لقيادة تلك ألجيوش وهو لن يجرؤ على مخالفة قرار اتخذه النبي قبل وفاته ، الا ان الصحابة تمكنوا في النهاية من اقناعه بصرف امر اسامة لصغر سنه وقلة خبرته واختيار قائد أخر اكثر اهلية لمثل هذه المهمات الكبرى . باشر الخليفة ابو بكر بعد ذلك بالأستعدات العسكرية اللازمة للتوجه نحو العراق والشام وأتخذ في شهر محرم من ألسنة ألثانية عشر للهجرة قرارا بمباشرة عمليات تحريرهما من ألمحتلين ألفرس وألرومان . عين ابو بكر خالد بن الوليد قائدا للجيش الذي سيدخل اقليم العراق من الجنوب وعين عياض بن غنم قائدا للجيش الذي سيدخله من الشمال ومن سيسبق أحدهما للوصول الى الحيرة سيكون اميرا لصاحبه . قرر أن يكون كل من حرملة والمثنى بن حارثة تحت امرة خالد ويكون اللقاء به قي مكان محدد هو موقع البصرة حاليا فأجتمعت الجيوش هناك وانضمت جميعها تحت قيادة خالد بن الوليد فأصبح تعداد الجيش حوالي ثمانية عشر الف مقاتل . خاض هذا الجيش عدة معارك منها الرئيسية ومنها التعرضية مع الجيش الفارسي في عدة مواقع من اراضي العراق كالمثنى و الحيرة وغيرها فخرج منتصرا في كل هذه المعارك . لم يكتف خالد بتلك الانتصارات فتابع زحفه حتى فتح ارض السواد والأنبار ثم قصد عين التمر وفيها يومئذ جموع من الفرس والعرب الموالين لهم فانتصر عليهم . وعندما كان خالد بن ألوليد في الحيرة ، تلقى كتابا من الخليفة ابو بكر يأمره فيه بالتوجه الى الشام عبر البادية الشاسعة لمساندة جيوش المسلمين هناك . توجه خالد الى الشام بعد ان استخلف المثنى بن حارثة على من اسلم من العراقيين ولم يكن يعرف وهو في طريقه الى الشام بان الخليفة ابو بكر قد توفى وأن الخليفة الجديد عمر بن الخطاب قد قرر عزله عن قيادة الجيوش .

قبل وفاته و اثناء انشغال الجيوش العربية الاسلامية في مواجهة الفرس في العراق ، قرر ابو بكر ان يرسل جيوشا الى الشام فقام بتشكيل اربعة جيوش مستقلة عن بعضها البعض ، تعداد كل جيش ٨٠٠٠ مقاتل : الجيش الآول بقيادة شرحبيل يتجه الى وادي الآردن ، الجيش الثاني بقيادة يزيد بن ابي سفيان يتجه الى دمشق ، الجيش الثالث بقيادة ابو عبيدة بن الجراح يتجه الى حمص والجيش الرابع بقيادة عمرو بن العاص يتجه الى فلسطين على ان تتحد هذه الجيوش فيما بعد تحت قياد واحدة عند اقتضاء الضرورة . عندما وصلت

هذه الجيوش بلاد الشام وجدت ان الروم قد حشدوا جيوشا ضخمة لا قدرة لهم لمواجهتها فتجمعت في اليرموك وطلبت المدد من الخليفة عند ذاك أمر الخليفة خالد بن الوليد بأخذ نصف تعداد جيشه وألتوجه ألى ألشام لمساعدة ألجيوش ألعربية ألأسلامية هناك . أتجه خالد بنصف جيشه نحو ألشام فكان عليه للوصول ألى هناك أن يعبر جيشه صحراء شاسعة شديدة ألخطورة لكنه تمكن من ألوصول ألى هناك فأصبح ذلك ألعبور على حد ما ذكره بعض ألمؤرخين معجزة عسكرية جرى تدريسها خططها في كثير من ألمعاهد ألعسكرية ألأجنبية .

انظم خالد الى عبيدة بن الجراح بعد ان فتح وهو في طريقه مدينة بصرى الشام لكن جائتهما الاخبار بان جيش الروم يحتشد في اجنادين فاتجها الى اجنادين بجيش يبلغ تعداده ٣٣٠٠٠ مقاتل فقط بينما كان تعداد جيش الروم ١٠٠٠٠٠ مقاتل . دارت هناك معركة حامية ألوطيس بين ألطرفين ، كانت نتيجتها انتصار ساحق لجيش المسلمين وهزيمة مذلة للروم تم فيها مقتل قائدهم وردان .

في مثل هذه الضروف الصعبة والمعقدة ، حصلت وفاة ابي بكر بعد ان اوصى بألخلافة لعمر بن الخطاب ليصبح الخليفة الراشدي الثاني ألذي أقدم بعد تسلمه ألخلافة على أقالة خالد بن ألوليد وهو في طريقه ألى بلاد ألشام من قيادة ألجيش ولم يعرف بأمر أقالته ألى أن وصلها وألتقى بقائد ألجيش أبو عبيدة بن ألجراح فلم يترد كجندي عربي مسلم من مشاركة أبوعبيدة في ألتخطيط وألقتال ضد ألروم ألى أن تمت هزيمتهم .

٢,٢- خلافة عمر بن الخطاب :

بعد أن غادر خالد بن ألوليد ألعراق متجها الى بلاد ألشام ، تعرضت ألجيوش ألأسلامية هناك لهجمات مضادة من قبل الفرس مما ادى الى ان تفقد اغلب ما فتحته تلك الجيوش وهي تحت قيادة خالد فقرر عمر بن الخطاب البدء بصفحة جديدة من المعارك في العراق فعين لقيادة الجيوش ألعربية ألأسلامية هناك سعد بن ابي وقاص .

بدأت الجيوش العربية ألأسلامية في العام ١٤ هجري الموافق للعام ٦٣٦ ميلادي بخوض عدة معارك في العراق و كانت اهم تلك المعارك هي معركة القادسية اتي دارت بين الجيوش العربية بقيادة سعد بن ابي وقاص وجيوش الفرس بقيادة رستم . استمرت تلك المعركة لعدة ايام كان النصر فيها للعرب فتراجع رستم وعشرات الألاف من جنوده الى الخلف فلاحقتهم الجيوش العربية الاسلامية لتدخل معهم في سلسلة من المعارك قتل في نهايتها قائدهم رستم . أدت هذه ألحروب ألى هروب وتشتت الجيوش الفارسية فاخذت قلاع الفرس تتساقط الواحدة بعد الاخرى الى ان تمكنت الجيوش العربية من الزحف الى " طيسفون " - المدائن القريبة من بغداد عندما كانت هذه المدينة مقرا لأيوان كسرى الفرس يزدجر وعاصمته فحاصرها سعد بن ابي وقاص لمدة شهرين حتى استسلمت فدخلها العرب المسلمون في العام ١٦ من الهجرة الموافق ٦٣٧ م .

تمكن كسرى الفرس يزدجر من الفرار والخروج من المدائن والاتجاه نحو جلولاء حيث تمكن من أعادة تجميع بقايا الجيوش الفارسية والتمركز في موقعين هما جلولاء و تكريت . لاحقتهم الجيوش الاسلامية فاتجه قسم منها ألى تكريت ففتحها ثم الموصل بعدها وأتجه ألقسم ألأخر من الجيوش الى الاحواز في الجنوب ألشرقي من ألعراق فطهرتها من الفرس . واصلت ألجيوش ألعربية ألأسلامية ملاحقة ملك ألفرس وهو في جلولاء فأنسحب يزدجر الى مروة وهناك في مروة ، أخذ يزدجر يحشد ألجيوش من كل أنحاء بلاد فارس لكن ألجيوش العربية الاسلامية لم تعطه ألفرصة لتقوية دفاعاته ورفع معنويات مقاتليه فدارت معركة ضارية بين ألجيشين كانت فيها ألخسارة والهزيمة ألساحقة للجيش ألفارسي . تمكن يزدجر مرة أخرى من الفرار فأتجه هائما على وجهه في جبال ووديان الهضبة الفارسية الى ان قتله احد اعوانه في اقصى الشمال الشرقي من فارس على الحدود مع افغانستان وبمقتله تم استأصال الاسرة الحاكمة الساسانية نهائيا . أثارت هذه ألنتيجة حفيظة بعض ألفرس من ألعنصريين ألمتشددين فأخذوا يتجمعون لشن هجمات متكررة على ألعراق عندها أمر ألخليفة عمر بن ألخطاب بحشد ألجيوش لفتح سائر بلاد فارس ولم تمض سنة ٢١ هجري / ٦٤٢ ميلادي حتى تم فتح كل أراضي بلاد فارس فتلاشت ألأمبراطورية ألفارسية نهائيا من ألتأريخ لتصبح جزئا من ألدولة ألعربية ألأسلامية (٥) .

كثير من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين قد اشاروا الى ان المجتمع الفارسي عند بداية الفتوحات الاسلامية كان في حالة تدهور وانحطاط مما ادى الى ارتياح وتقبل اوساط واسعة من الفرس لنهاية حكم الاسرة الساسانية لبلادهم على يد العرب خاصة وان العرب المسلمين لم يهملوا الحضارة الفارسية التي تم استيعابها تدريجيا في النظام العربي الأسلامي الجديد . ومع ألدخول ألتدريجي لمواطني بلاد فارس ألأسلام ، ظلت مجموعات واسعة منهم من القوميين ألعنصريين والمتدينين الزرادشتين المتشددين تحمل مشاعر الحقد والكره للعرب وألأسلام منذ ذلك ألحين ولحد ألأن . ومع أن الخليفة عمر بن الخطاب جعل من الهضبة الفارسية اقليما اداريا مستقلا وغير خاضع لأقليم ألعراق على عكس ما قام به الحكم الأموي والحكم العباسي فيما بعد ألا ان هؤلاء ، كما بينت ألأحداث ألتاريخية والقريبة ، لم يغادرهم حلم عودة ألأمبراطورية ألفارسية منذ ذلك ألحين ولحد ألأن .

بعد ألأنتهاء من تحرير كامل بلاد ما بين ألنهرين وبلاد ألشام ، فاتح عمرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطاب بمواصلة عمليات التحرير وفتح أراضي بلاد ألنيل لكن الخليفة تردد في بادىء ألأمر غير انه وافق في النهاية على ان يأخذ عمرو جانب ألحذر وألأهتمام برعاية الجند والحفاظ عليهم . سار عمرو بن العاص على رأس حوالي الف مقاتل فقط نحو مصر فتمكن هذا ألجيش ألصغير عند دخوله ألأراضي ألمصرية من دحر جميع دفاعات الرومان فتساقطت حصونهم واحدا بعد الاخر . كان من أمر دخول الجيش ألعربي

ألأسلامي أرض النيل ، أن اتجه المقوقس لملاقاة هذا الجيش ومحادثة قائده عمرو بن العاص فكانت نتيجة تلك المحادثة ان وافق المقوقس على دخول الجيش ألأسلامي أرض مصر متعهدا أياهم بألمساعدة ضدالجيش ألروماني بعد ان طفح ألكيل لما تعرض له المصريون ألمسيحيون ألأقباط من اضطهاد وأذلال من قبل ألرومان . واصل ألجيش ألعربي ألأسلامي سيره فوصل ألفسطاط ومن هناك قرر عمرو بن ألعاص بعد حصوله على المدد مواصلة زحف الجيش نحو قواعد ألرومان في ألأسكندرية فسار على رأس ألفي مقاتل لمحاربتهم فتمكن من طردهم فأنتهى ألوجود ألروماني في مصر . أخذت ألعمليات ألعسكرية لتحرير كامل أرض مصر وقتا قارب ألسنتين لكن عمرو بن ألعاص لم يكتف بذلك ألأنجاز فبعد أن أطمأن على وضع مصر وسلامتها ، اتجه وهو على راس حوالي الف مقاتل الى غرب مصر فكلف أحد قواده وهو عقبة بن نافع بالأندفاع غربا لأستطلاع الاوضاع فيها . هناك تمكن عقبة من فتح برقة في العام ٢٢ هجري فتشجع عمرو بن ألعاص فأرسل قائدا اخر الى زويلة وقائدا أخر الى ودان فتم فتحهما وسار عمرو بن العاص أخيرا ألى طرابلس الغرب وحاصرها لمدة شهر الى ان تمكن بعض جنود جيشه من اقتحام المدينة ففر الروم هلعا بسفنهم باتجاه بلادهم . دخل جيشه عمرو المدينة وفتحها وفتح معها المناطق المحيطة بها مثل غريان والزاوية و سائر جبل نفوسة .

أراد عمرو بن العاص ان يأذن له الخليفة للسير اكثر باتجاه الغرب غير ان الخليفة لم يوافق لأسباب لوجستية فعاد عمرو الى مصر ومنذ ذلك الوقت هدأت نسبيا العمليات العسكرية وسكنت الفتوحات واستقرت حدود الدولة الاسلامية عند تلك الحدود . في الخارطة ٦ توضيح لمراحل توسع حدود الدولة ألأسلامية منذ ان كانت تضم بين العام ٦٢٢ والعام ٦٣٢ ميلادي تحت قيادة النبي محمد المدينة ومكة وما حولهما الى ان اصبحت تضم في زمن خلافة عمر بن الخطاب اي بين ألعام ٦٣٢ والعام ٦٦١ م. كامل الأقاليم التالية: الجزيرة العربية ، بلاد فارس ، بلاد ما بين النهرين، بلاد الشام و بلاد وادي النيل وماغربها من برقة و طرابلس الغرب ، غريان ، الزاوية وسائر جبل نفوسة اما المناطق الأخري التي تم فتحها في ما بعد هذا التاريخ فهي في زمن كل من معاوية وعبد الملك بن مروان وأبنه الوليد ، عندما وصلت الأمبراطورية العربية ألأسلامية الى اقصى اتساع لها لتصبح اكبر الأمبراطوريات في عالم ذلك العصر بعد ان انقسمت اوربا المسيحية الى امبراطوريتين متنافستين واحدة في الشرق وأألأخرى في وسط اوربا .

ان الفتح السريع لبلاد فارس من خلال سلسلة من الهجمات العسكرية المنسقة بشكل جيد التي ادارها عمر بن الخمطاب من المدينة المنورة وعلى بعد الاف الكيلومترات من ساحات القتال في فارس اضافة للمعارك قي بلاد الشام ومصر وشمال افريقا ، اكسبت عمر سمعة كأحد العظماء التاريخيين في الستراتيجية والسياسة . لم تقتصر مواهب عمر على ادارة المعارك بل شملت مواهبه ادارة الدولة في الاقتصاد والأدارة

المدنية فاتساع رقعة الدولة وتعاظم عدد سكانها تتطلب اعادة تنظيمها واستحداث ادارات للتنمية ، للأتصلات والخدمات ألأجتماعية . قام عمر بأتشاء ألدواوين ومرافق مهمة لم تعرفها العرب في دواخل شبه ألجزيرة ألعربية قبل تلك الفتوحات وكانت ألمهمة ألعاجلة له هي أنجاز مشروع توسيع وترميم ألمسجد ألحرام في مكة والمسجد النبوي في المدينة المنورة لأستيعاب ألأعداد ألمتزايدة من ألحجاج بعد أن أعتنق ألكثيرون من رعايا ألعراق وبلاد ألشام ومصر وأيران وغيرهم ألدين ألأسلامي ألجديد .

أستحدث ألخليفة عمر بن ألخطاب ما يسمى بألدواوين التي تشبه وزارات ألدول في ألوقت ألحالي كبيت للمال ألذي هو بمثابة وزارة ألمالية ألتي تعني بألسياسة ألمالية للدولة ألجديدة وديوان للجند وألجباية كما أهتم ألخليفة بتنظيم ألقضاء وأنشاء ألمدن كمدينتي ألكوفة وألبصرة من أقليم ألعراق وغيرها من ألأنجازات ألتي

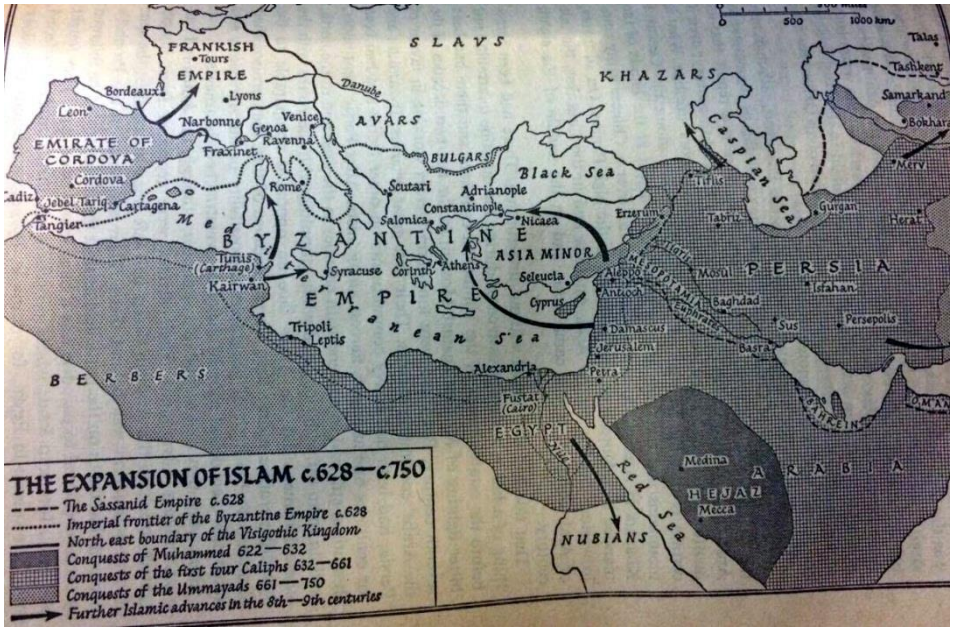

خارطة رقم (٦)
خارطة تبين مراحل اتساع الدولة العربية ألأسلامية منذ عهد النبي محمد
ثم الخليفة عمر بن الخطاب والى عهد الخلافة ألأموية والعباسية

يتطلبها ألأتساع ألهائل لأراضي ألدولة ألعربية ألأسلامية فكان على رأس تلك ألأنجازات هو ألتقسيم ألأداري لأراضي الدولة ألى أقاليم وتقسيم ألأقليم ألى ولايات حسب حاجة وسعة أراضي ألأقليم وهذا ألتقسيم لأراضي ألدولة هو على ألنحو ألتالي :

١- **أقليم ألعراق :** ولايات ألأحواز ، ألبصرة وألكوفة

٢- اقليم الشام : ولايات حمص ، دمشق والرملة

٣- اقليم مصر : ولايات صعيد مصر، مصر السفلى ، غرب مصر

٤ - اقليم شبه الجزيرة العربية : ابقى عددها على ما كان عليه في خلافة ابو بكر وهي : مكة ، المدينة ، الطائف ، صنعاء ، حضرموت ، زبيد ، نجران والبحرين .

٥ ــ أقليم بلاد فارس : ولايات سجستان ، مكران ، كرمان ، طبرستان و خراسان

تقسيم عمر بن الخطاب لأراضي ألدولة الى خمسة أقاليم ، كان يراعي فيه عاملين أساسين هما :

١- عاملي الجيوغرافية والتاريخ لكل اقليم فاقدم على تقسيم المنطقة العربية الى اربعة اقاليم وفقا لجغرافيتها ألتأريخية. .

٢ - العامل الثقافي واللغوي ألأثني من ارث في التقاليد وأللغة والعادات لسكان المناطق ألأخري التي تقطنها اقوام غير عربية فجعل من بلاد فارس اقليما خاصا بهم .

ولو أن فتح كامل ألمغرب ألعربي قد تم في عهد ألخليفة عمر بن ألخطاب لجعله ألأقليم ألخامس ألى جانب ألأقاليم ألأربعة ألأخرى ألتي تتكون منها ألمنطقة ألعربية .

يعبر هذا التقسيم ألأداري لمناطق الدولة ألعربية ألأسلامية عن حصافة و موهبة ادارية لذلك الخليفة يندر ان يتمتع بها أحد غيره ، في حين كان ألتقسيم ألأداري لمناطق الدولتين ألأموية والعباسية كما سيتبين فيما بعد بعيدا عن هاذين ألعاملين بعد أن تم تقسيم أقاليم ألمنطقة وفقا لسياقات تختلط فيها عوامل السياسة بألثروة وألأمن ألمتعلق بكيان الدولة .

كان عمر بن ألخطاب يختار لكل اقليم حاكما بقوم بتعين ولاة لأدارة شؤون ولايات كل أقليم ويعين مفوضين لهم رئيس يسافرون الى الامصار و يراجعون اعمال الولاة ومهما قيل عن مركزيته في الادارة فهو امر مبالغ فيه لأنه كثيرا ما يترك للولاة أتخاذ القرارات الخاصة بولاياتهم دون الرجوع اليه . أن تأثير ألأنجازات ألتأريخية ألتي حققها عمر بن ألخطاب دفعت ميشيل هارت Michal H. Hart الى ضمه ألى قائمة ألمئة شخص ألأكثر تأثيرا في ألتأريخ ألأنساني ليأخذ المرتبة ٥٢ متقدما على ٤٨ شخص من بين أولائك المئة شخص في حين أحتل ألنبي محمد ألمرتبة ألأولى في تلك ألقائمة (٦) .

توفي عمر بن ألخطاب عن عمر ٦٨ عاما بعد ثلاثة ايام من تعرضه لطعنة خنجر على يد شخص فارسي مجوسي عنصري متشدد أعلن أسلامه كذبا ورياءا هو أبو لؤلؤة . لا أحد يعرف يقينا فيما أذا كانت محاولة ألأغتيال هي تصرف فردي أم مؤامرة فارسية لأن هذا ألسر ظل عند ألقاتل ألذي أقدم على ألأنتحار بعد ألقبض عليه مما يثير ألشكوك بان أنتحار هذا الشخص هو للتستر على عملية أغتيال سياسي تآمري فارسي أنتقامي .

كانت من نتائج الفتوحات التي ادارها عمر بن الخطاب ليس تحرير المناطق العربية الخاضعة لحكم اعتى وأقوى امبراطوريتن في ذلك الزمن هو أختفاء ألأمبراطورية ألفارسية من ألتأريخ تماما وتحرير رعايها من كافة ألقوميات ألأخرى ألواقعة تحت ألتسلط ألفارسي ودفع ألأمبراطورية ألرومانية الى داخل اراضيها في اوربا مما ادى الى تغيير هائل في الخارطة السياسية لأوربا وألعالم في القرون القليلة التالية والخارطة ٧ تقدم ألشكل ألذي أصبحت عليه اوربا من تشظي لكامل أراضيها مما ادى في النهاية الى انهيار ألأمبراطورية الرومانية في العام ٣٩٥ بعد الميلاد والى عزل أخر امبراطور لروما وهو رومولوس اغسطوس في العام ٤٦٧ على يد قبائل شمال أوربا من الجرمن وغيرهم .

عاش غمر بن ألخطاب ثلاثة أيام يعد أن طعنه ألمجوسي ألفارسي أبو لؤلؤة وأستمر وهو على فراش الموت على أتخاذ ألقرارات المناسبة لتجنب ما يمكن أن يلحق الضرر بالدولة ألعربية ألأسلامية بعد وفاته فقرر أن يتم أختيار ألخليفة ألذي يليه وفق مبدأ الشورى فأختار الخليفة ستة أشخاص من كبار الصحابة ألمبشرين بألجنة لأختيار واحد منهم لتولي ألخلافة . هؤلاء ألأشخاص هم : علي بن أبي طالب ، عثمان بن عفان ،عبد الرحمن بن عوف ، سعد بن أبي وقاص ، الزبير بن ألعوام وطلحة بن عبد الله . حدد ألخليفة عمر لهؤلاء ألصحابة مدة زمنية لا تتعدى ألثلاثة وضع لهم آلية واضحة وصارمة لأختيار ألخليفة لكي يحصل على رضى جموع المسلمين . مهما ذكر من أقاويل عن تفاصيل وجود نزاع على الخلافة بين بني أمية وبني هاشم فأن هؤلاء ألصحابة ألستة قد وقع أختيارهم على عثمان بن عفان لتولى الخلافة وقد قيل بأن علي بن أبي طالب كان ثاني صحابي يبايع ألخليفة ألجديد ليكون له وزيرا ومشيرا في أدارة ألدولة .

هناك قصة أجمع عليها أغلب ألمؤرخين ألأسلامين حول علاقة علي بن أبي طالب بألخلافاء ألسابقين مفادها أن ألخليفة عمر بن ألخطاب في مرحلة حرجة من مراحل معرك ألفتح وألتحرير أن يتولى بنفسه قيادة ألجيوش ألمتجه لتحرير العراق فلما سمع علي بن أبي طالب بنية ألخليفة ، أصابه ألخوف وألجزع فهرع الى ألخليفة عمر ليثنيه عن ألأقدام على هذه ألخطوة قائلا له : يا عمر ، أنك ألأن رأس ألأمة فأن قتلت في المعركة تفرقت ألعرب وتذهب ريح ألأسلام . أستجاب عمر لنصيحة علي بن أبي طالب فأخذ يتابع سير ألمعارك وهو في ألمدينة عاصمة ألدولة ألعربية ألأسلامية . ألأكثر أهمية من هذه ألقصة هو عندما قرر ألخليفة عمر بن ألخطاب ألذهاب ألى بيت ألمقدس لتوقيع ما سميت " ألعهدة ألعمرية " ألتي ضمن فيها عمر

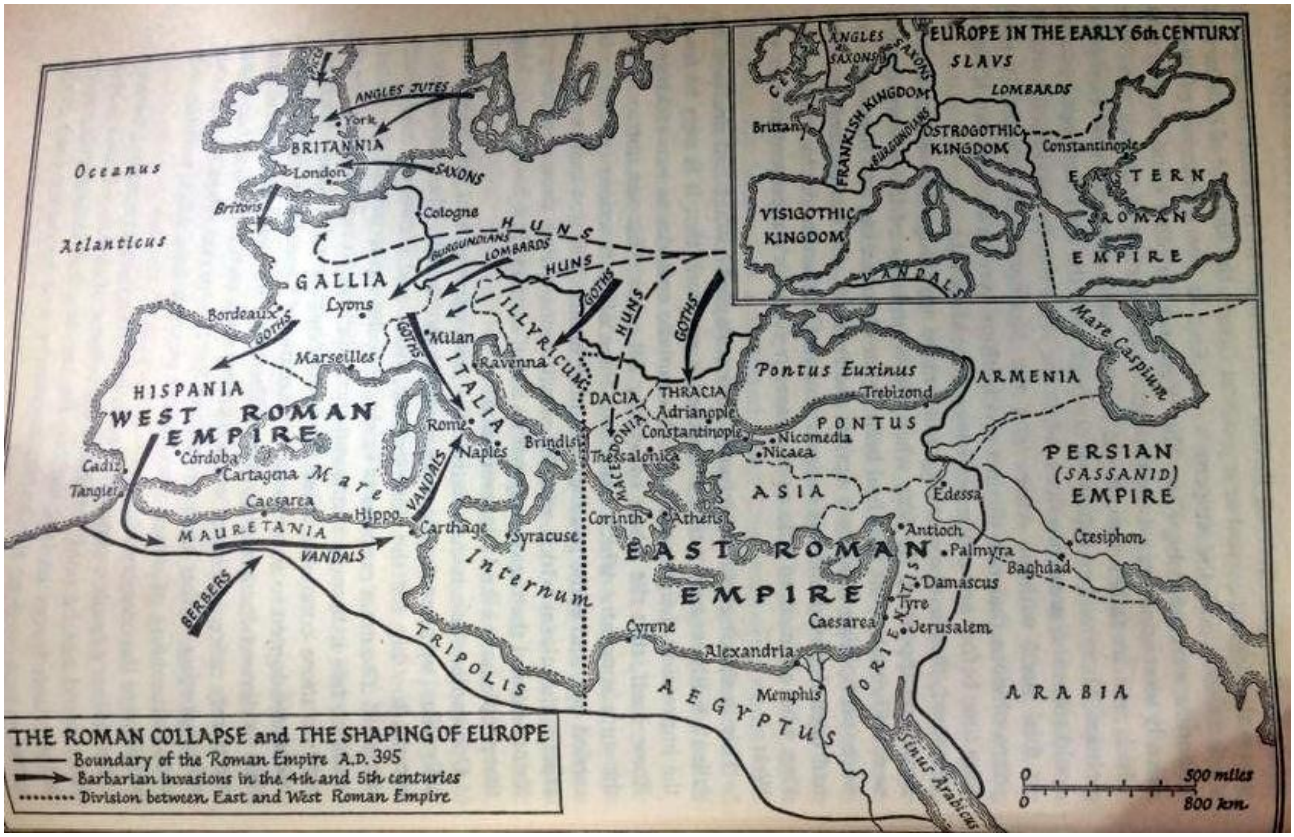

الخارطة (٧)
تشضي اوربا بعد انهيارألأمبراطورية الرومانية في العام ٣٠٥ ميلادي

حقوق ألمسيحين لم يستخلف من ألصحابة أحد سوى علي بن أبي طالب أضافة ألى أن عليا ظل مشاركا لعمر في البت بأمور ألرعية وخاصة في ألقضاء طيلة مدة خلآفته .

٢,٣ - خلافة عثمان بن عفان :

عثمان بن عفان هو من اوائل المسلمين واول المهاجرين الى الحبشة وبعد ان هاجر مسلموا مكة الى المدينة وتبعهم النبي محمد فيما بعد برفقة ابو بكر ، ترك عثمان بن عفان الحبشة وأنتقل مع غيره من ألمسلمين الى المدينة للألتحاق بالنبي . تميزت خلافة عثمان التى استغرقت اثنا عشر سنة بقيامه أعادة جمع القرآن وتصنيفه فأعد نسخا منه اختلف المؤرخون على لأرسالها الى بعض الامصار واحتفظ لنفسه بواحدة منها . على المستويين العسكري و السياسي ، قام ألخليفة عثمان بمواصلة عمليات الفتح حيث جرى فتح ارمينيا وأذربيجان و بعض مناطق القوقاز الاخرى . تم كذلك فتح جزيرة قبرص أهمية موقعها الستراتيجي خلال الحرب التي لا زالت مستمرة بين الجيش ألعربي ألأسلامي و جيش البيزنطينين فشكل فتح قبرص بداية للأهتمام بالأساطيل الحربية لحماية الشواطئ الاسلامية من هجمات العدو التي بادر بها معاوية بن سفيان منذ عهد خلافة عمر بن الخطاب عندما كان واليا على الشام .

التزم الخليفة عثمان بسياسة سلفه المالية لكنه لم ينتبه او انه تغاضى عن ان ينتبه خلال خلافته الى بروز طبقة اجتماعية بالغة الثراء امتلكت القصور الفخمة والأقطاعيات فاصبحت ذات تأثير في كل نواحي المجتمع . قد تكون ظاهرة تراكم ألثروات بأيدي مجموعة من ألقرشيين خاصة ألأمويين منهم في زمن خلافة عثمان سببا لما حصل فيما بعد ما جرى تسميت " بألفتنة الكبرى " والى فاجعة مقتله على يد الغوغاء .لا احد يعلم كيف سيتصرف علي بن ابي طالب لو انه واجه مثل هذه ألظواهر ألسلبية في ألمجتمع ألعربي ألأسلامي لكن من المؤكد لو ان الخليفة عمر قد واجهها لقطع دابرها . بدأت بوادر الفتنة في النصف الثاني من خلافه عثمان ولا يستطيع احد ان يرجح الان السبب الرئيسي من مجموعة اسباب ظهور تلك البوادر . استمرت ظاهرة الغنى الفاحش بالنمو ولم ينتبه الخليفة لخطرها فاتخذ موقفا متساهلا منها بدلا من وضح حد لها . من المؤكد ايضا ان هناك سبب اخر مهم للفتنة هو وجود بعض من اعتنق ألأسلام كذبا وخداعا لأخفاء اتجاهاتهم اما كقوميين فرس او كزرادشتيين معادين للأسلام . كل هؤلاء هم من المتشددين المتعصبين في معاداة العرب والمسلمين وهي ظاهرة معروفة في التأريخ العربي ألأسلامي جرى تسميتها " بالشعوبية " ولا يمكن ان ينكرها احد لأنها مع ألأسف لا تزال قائمة لحد ألأن .

اخذ هؤلاء الفرس المتشددون بعد ان زالت امبراطوريتهم و اصبحت ارضهم جزءا من الدولة الاسلامية ، يجوبون اقاليم الدولة و ينشرون علانية او خفية ألأشاعات ضد أألدولة اساسها الحقد على العرب . استمر وجود مثل هؤلاء الفرس الى زمن بني امية والعباسيين ولعل ضرب عنق الشاعر الشهير جرير الفارسي الاصل والبرامكة خير مثال على وجود مثل هؤلاء الاشخاص ولا تزال ظاهرة الحقد القومي الفارسي على العرب مستمرة لحد الان واذا ما صح عن اقامة الفرس مزارا لقبر ابي لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب يؤمه الزوار فهو دليل واضح على استمرار تلك الظاهرة المذهبية والثقافية المقيته .

رافق فترة خلافة عثمان بروز طبقة غنية متنامية خاصة من بين الامويين مما أدى الى حدوث خلل في التركيبة الاجتماعية وألأقتصادية للدولة شكل حاضنة مناسبة لترويج كثير من الادعاءات كانت من اشد هذه الأدعاءات تأثيرا تلك التي تحمل الصبغة الطائفية ثم تلتها أدعاءات الظلم الأجتماعي والسياسي . لقد تداولت كتب التاريخ ان شخصا يهوديا يدعى أبن سبأ أعتنق الاسلام في زمن الخليفة عثمان وقد دخل باب الطائفية من خلال بث اراجيف وتحريفات دينية متطرفة كألوهية علي بن أبي طالب . يقال بأن عليا عندما سمع بأقوال هذا ألشخص في زمن خلافته أعلن هدر دمه فهرب الى مصر لمعاودة نشاطه . وسواء كانت شخصية ابن سبأ حقيقية كما يؤكد عليها اغلب المؤرخين العرب أو انها مختلقة كما يقول بعض الشيعة الان ، فأن الافكار الدينية ذات الدوافع السياسية لهذه الشخصيات كانت متداولة ومؤثرة خلال تلك ألفترة وألفترات ألتي أعقبتها .

الشيء المهم والاخير المتعلق بشخصية ألخليفة عثمان هو بنيته النفسية فهو كما يقول ألمؤرخون شديد الرقة والحياء والحلم وله روحية غاية في ألوداعة وألمسالمة غير ان هذه الصفات ألأخلاقية قد تكون رائعة النفع على مستوى العلاقات الشخصية لكنها بألتأكيد تلحق أضرارا خطيرة في ادارة الدولة والمجتمع . لقد أظهر عثمان ضعفا واضحا امام اقربائه الامويين فقدم بعضهم ليصبحوا ولاة ولم يتخذ اية اجراءات ازاء تراكم ثرواتهم وتعاظم نفوذهم وربما تجاوزاتهم لتصل الأحداث ألى حد أن علي بن أبي طالب عجز عن تقديم ألمساعدة على تلافيها . يذكر بعض المؤرخين بأن عليا كان خارج ألمدينة حين حاصر ألغوغاء بيت عثمان وأكتفى بارسال الحسن والحسين للمساهمة في حراسة ألخليفة عثمان ولم يعد الى المدينة الا بعد أن أغتاله الغواغائيون في اواخر عام ٣٥هجرية .

هز حادث اغتيال الخليفة كافة مفاصل الدولة ورغم ان الذين احاطوا بدار عثمان واللذين قتلوه قد تركوا المدينة وعادوا الى مناطقهم الا ان النتائج البعيدة المدى لأغتيال الخليفة كانت كارثية فقد سادت اجواء غير طبيعية في كل أقاليم الدولة منذرة بقرب حصول احداث تحمل اخطارا جسيمة تزعزع بنية وكيان الدولة العربية ألأسلامية في المستقبل القريب .

٢,٤ : خلافة علي بن أبي طالب :

بالكاد استطاع علي بن أبي طالب مع من تبقى من كبار الصحابة قي المدينة من تهدأة ألأوضاع وخلق مناخ قد يستطيعون فيه تسوية الامور . لم يكن هناك من هؤلاء الصحابة من هو اولى بتولية الخلافة من علي بن ابى طالب وقد روي بانهم عندما طلبوا منه تولي الخلافة اعرض عنها وقال لهم " خير لي ان اكون لكم وزيرا من ان اكون لكم اميرا " ولا يعرف احدا فيما أذا كانت هذه الرواية صحيحة ام لا ، فأذا كانت صحيحة فلم ألأستمرار باللغط الذي صاحب خلافة كل من ابي بكر وعمر ومن بعدهما عثمان الذي لاكه بعض الناس حول اغتصاب خلافة علي باطنا وعلنا ؟ . المشكلة هي ان هناك رواية اخرى تناقض السابقة اوردها احد كتاب سيرة آل ألبيت عن علي وولديه الحسن والحسين . تتلخص القصة في ان الحسن كان في حديث عتب ولوم مع ابيه وهو على فراش الموت في الكوفة عندما قال الحسن لأبيه من شدة ألأسى على ما وصلت اليه ألأمور بأنه قدم له ثلاثة نصائح في مناسبات مفصلية في عمر الصراع الداخلي بين ابيه ومعاوية غير ان والده لم يأخذ بأي منها. وهذه النصائح هي:

١: أن لا يدعو لنفسه بالخلافة بعد مقتل الخليفة عثمان وان يدع ألأمر للمسلمين " فليس لديهم خيرا منك " .

٢ : عدم ترك المدينة ألمنورة عاصمة ألنبي وألخلفاء ألثلاثة ألسابقين وأتخاذ ألكوفة عاصمة للدولة .

٣ : عدم ألأصغاء لدعوة معاوية للصلح وألأحتكام ألى ألقرآن عندما رفعوا أصحاب معاوية ألمصاحف وهم في وضع ألمنهزم في ألمعركة لكنك وافقت على دعوتهم وألنتيجة هي على ما نحن عليه أليوم

يلاحظ بأن نصائح ألحسن ، بغض ألنظر عن عدم أو صحة وقوعها ، هي نصائح واقعية من وجهة النظر ألستراتيجيا ألسياسية وهي تحمل مضامين فيها ألكثير من ألذكاء وألفطنة . كان بألأمكان لو أن ألخليفة قد أتخذ نصائح ولده ألحسن وعمل بها ولو أستمع أيضا ألى ألصحابة بعدم ألأستعجال بتغيير ألولاة أن يأخذ ألتأريخ ألعربي ألأسلامي أتجاها أخر غير ألذي أخذه فيما بعد ولربما وصل ألأمر الى أصلاح ألوضع برمته .

المهم هنا وبعيدا عن التفاصيل هو أن ألصراع بين علي ومعاوية أنتهي باقتسام أراضي الدولة العربية ألأسلامية بين معاوية على غرب الدولة وعلي بن ابي طالب على شرقها وفقا لما قرروه في أتفاق ألصلح . الى جانب كل هذا ، لم ينتبه الخليفة علي الى ان ألضروف ألمجتمعبة وألسياسية في مرحلة ما قبل وفاة النبي محمد هي ليست نفسها في مرحلة ما بعد مقتل عثمان فألفاصل ألزمني بينهما يقارب ألثلاثة عقود مما يعني أن متطلبات معالجة أمور دولة شاسعة يختلف عن متطلبات معالجة دولة هي في بدايات تعزيز وضعها .أضافة لذلك ، ان الامر يتعلق بمواصفات ومؤهلات خاصة يجب ان يتصف بها الخليفة ، فعلي بن ابي طالب ، كما أجمع أغلب المؤرخين ، يتصف بصفات نادرة حقا ، فهو يتمتع بشجاعة فائقة وبفصاحة لغة لا تجدها عند غيره ولا يسبقه احد في العلوم الدينية غير ان قيادة دولة بحجم الدولة الاسلامية وقتذاك في السياسة والتنظيم والاقتصاد يتطلب مؤهلات وقدرات خاصة لم يذكر ألا ألموالين ألنتشددين له والقليل من المؤرخين انها كانت متوفرة في شخصية على بن طالب . ألمهم هنا هو أن في نهاية ألصراع بين علي بن أبي طالب ومعاوية قد أنتهى بأقتسام أراضي ألدولة ألعربية ألأسلامية بينهما ، علي يحكم أراضى شرق الدولة ومعاوية يحكم أراضي غرب ألدولة .

تميزت فترة خلافة علي بن ابي طالب التي استمرت خمس سنوات وشهرين بعدم الأستقرار السياسي فلم تمضي سوى حوالي السنة على قتاله مع معاوية حتى انشق عنه الكثيرون مما جرى تسميتهم " بالخوارج " اغلبهم من الموالين من غير العرب فكفرَوا كل من علي ومعاوية . حاول الخليفة أللجوء ألى ألحوار معهم ليعيدهم الى صفه فلم ينجح مما أضطره على محاربهم في النهروان فهزمهم فأنسحبوا الى عمق أراضي خراسان ليبدأوا من هناك أسلوب ألأغتيالات . من هناك أتخذوا قرارا بأغتيالهما معا في وقت واحد لأنهاء ألأزمة ألتي تمر بها ألأدولة . فشل ألشخص المكلف بأغتيال معاوية فتم ألقبض عليه فيما نجح عبد ألرحمن بن ملجم ، ألشخص ألمكلف بأغتيال علي بن أبي طالب في توجيه طعنة قاتلة للخليفة عندما كان يصلي الفجر في ألجامع ليتوفى بعد ايام قليلة من تلك الطعنة في ٢١ رمضان من عام ٣٥ للهجرة الموافق ٢٧ شباط للعام ٦٦١ م .

أهم ما يحسب للخليفة علي بن أبي طالب خلال مسيرته الطويلة ، أن صح ما نقله أغلب ألمؤرخين ، هو رفضه طلب ألمقربين منه أختيار خليفة من بعده في حالة وفاته فترك لهم أختيار ألخليفة ألأصلح لهم تماشيا

مع مبدأ ألشورى عندما قال لهم **" أختاروا من هو ألأصلح لكم "** مما يعني رفضه لحكم ألسلالة ألذي يتمسك به ألشيعة ألمتشددين ألحاليين وخاصة ألشيعة ألصفوية منهم . بعد وفاة ألخليفة علي بن أبي طالب ، أختار ألقوم أبنه البكر الحسن الذي لم تستمر خلافته سوى عدة اشهر كان الحسن خلالها يتهيىء لقتال معاوية لكنه اجتهد ، لسبب اختلف عليه المؤرخون ، فقرر أتخاذ موقف الصلح مع معاوية لتفادي سفك المزيد من دماء المسلمين وألجنوح للحلول ألسياسية . كاتب الحسن معوية لأقرار الصلح فوجد من معاوية ألترحيب وتعاقدا على بقاء معاوية بألخلافة على أن يتم أختيار ألخليفة من بعد وفق مبدأ الشورى فتم الصلح بينهما في سنة ٤١ هجرية فترك الحسن ومعه الحسين الكوفة وعادوا ألى ديارهم مع اهلهم فى المدينة المنورة فكانت ألنتيجة هي كارثة عدم ألتزام معاوية بذلك ألتعهد ألذي أبرمه مع ألحسن .

٥- نهاية الخلافة الراشدية وبداية الدولة الاموية :

تسلم معاوية الخلافة في ٢١ ربيع الاول للعام ٤١ هجري الموافق ٢٨ تموز للعام ٦٦١ م. واستمر بها لغاية ١ رجب للعام ٦٠ هجري الموافق ٧ ايلول للعام ٦٨٠ م. فكان اول خليفة للدولة الاموية التي استمرت ألى ما يقرب من المئة عام وهو اول خليفة تخلى عن مبدأ الشورى في اختيار خليفة المسلمين وتبنى مبدأ التوريث وحكم السلالة لأختيار الخليفة من بعده . ان تشبث معاوية في الوصول الى الخلافة ووصوله اليها بالطريقة التي حصلت ، بغض النظر عن التعقيدات التي رافقت فتنة مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، تبين بانه كان يخفي طموحا شخصيا وعائليا للتربع على سدة الخلافة مما أدخل المسألة باب المصالح وليس باب ألعفة وألأخلاص في الدين وهو أمر اكدته الاحداث اللاحقة التي مرت على كل من الدولة ألأموية والدولة ألعباسية.

لقد شكلت خلافة معاوية بداية مرحلة جديدة من المراحل التي مرت على العرب والمسلمين ، مرحلة خلفت اثرا كبيرا في التأريخ العربي والاسلامي . تميزت مرحلة ألدولة ألأموية بالهدوء النسبي ألذي ساعد على التفرغ لمواصلة الفتوحات بكثافة وقوة الى ان وصلت الدولة العربية الاسلامية في نهاية حكم الأمويين الى اكبر اتساع لها لتصبح في وقتها من اكبر امبراطوريات ذلك العصر التي تمكن العرب من بنائها . الخارطة السابقة رقم ٦ تبين مراحل توسع ألدولة ألعربية ألأسلامية منذ ان كانت دولة صغيرة تظم مكة والمدينة وما حولهما ايام الرسول لتصل الى اكبر امبراطورية مزدهرة في التاريخ خلال حقبتي حكم ألأمويين وألعباسيين الى ان داهمتها جيوش هولاكو البربرية لتزيل اخر حضارة عربية من التاريخ فلم تقم للعرب قائمة منذ ذلك اليوم ولحد الان .

الفصل السابع

الامبراطوريات العربية الاسلامية

١ – الأمبراطورية العربية ألأسلامية الأموية :

يحسب لمعاوية انه كان رجل مبادرات فهو اول من فكر في بناء السفن لتشكيل اسطول حربي لخوض المعارك البحرية منذ أن كان واليا على الشام في زمن خلافة عمر بن الخطاب فاستطاع ان يطرد الرومان من قبرص ويضمها للدولة الاسلاية . و بعد ان اصبح خليفة ، عمل على مواصلة تقوية الاسطول البحري بحيث استطاع ان يفتح جزبرتي ارواد وصقلية ليبعد اي خطر لهجوم رومي محتمل قادما من البحر . تحول بعد ذلك الى الجبهة الغربية فجهز الجيوش لمواصلة استكمال فتح بقية مناطق المغرب العربي وقد استخدم عدد من القواد ممن يتصفون بالشجاعة والحنكة والخبرة وكان من اهمهم عقبة بن نافع . لقد شارك هذا المقاتل النادر منذ أن كان يافعا والده نافع في معارك فتح غرب مصر من ساحل وصحراء في زمن خلافة عمر خلافة عمر بن الخطاب وظل يحارب في زمن خلافة كل من عثمان وعلي فساهم في فتح مدينة سرت على الساحل الليبي .

ما ان بدأ معاوية بارسال الجيوش الى غرب مصر لاستكال فتح بقية شمال افريقيا حتى برز عقبة بن نافع كاحد ابرز قواد تلك الجيوش . لم يكن هذا القائد ألعسكري ألفذ يعتمد على العدد بل على الشجاعة والمباغتة وخفة الحركة فنظم قواته على نمط ما يسمونه اليوم " بقوات الصاعقة او القوات الخاصة " ، قوة خفيفة سريعة الحركة ذات قدرات هجومية مباغتة وعاصفة . أخذ هذا القائد ومعه سرية من المقاتلين يجوب الصحراء الغربية الممتدة من مصر حتى موريتانيا طولا وعرضا فدخل منطقتي فزان وغدامس في اقصى الجنوب الليبي الصحراوي ثم اتجه شمالا قاطعا الصحراء الى تونس . عندما وصل تونس ، تجنب التمركز قرب ساحلها لكي يتفادى احتمال اي هجوم بحري مباغت يقوم به الروم فاختار لجنده منطقة منعزلة تعيش فيها ألأفاعي . بعد ان تم تنظيف وتسوية تلك البقعة ، بنى عليها مدينة لأفراد سريته سماها " ألقيروان " التي اصبحت مركز قيادة وتجمع للجيوش الاسلامية بعد أن بنى فيها مسجدا هو مسجد القيروان الحالي .

لم يكل ولم يتعب عقبة بن نافع رغم وصوله مرحلة الشيخوخة فواصل تقدمه غربا على امتداد سواحل البحر الابيض المتوسط وهو يباغت قوات وتحصينات الرومان فيقضي عليها الواحدة بعد الاخرى . فتح في طريقه جميع المدن الجزائرية الى ان وصل طنجة المطلة على جبل طارق ثم عاد بعدها الى مصر . مع ان الجيوش الاسلامية طهرت كامل المغرب من التواجد العسكري للروم الا ان بعض قبائل البربر التي اسلمت ارتدت عن ألأسلام وأخذت طريق ألتمرد . قرر والي مصر تهيئة الجيوش وأرسالها الى المغرب لأخماد ذلك

ألتمرد بنفس الوقت الذي كانت فيها ألجيوش ألعربية ألأسلامية تواصل فتوحاتها في شرق ألدولة فتم فتح سجستان في العام ٤٣ هجري وطخارستان في العام ٤٥ هجري وفي العام ٥٥ هجري اتجهت لغزو الهند .

أن الاتساع الهائل والسريع للدولة الأموية في زمن خلافة معاوية ومن تلاه من ألخلفاء قد القى بتأثيره على شكل ألتقسيم ألأداري لأراضي ألدولة ألى أقاليم . من تفحص التقسيم الاداري الذي تبنته سلطة الخلافة الاموية الذي لم تاخذ بنظر ألأعتبارعوامل الجغرافية الطبيعية والتاريخية وألثقافة فيه فقسمت اراضي الدولة الى سبعة اقاليم تتبع كل واحد من هذه الأقاليم ولايات مختلفة حسب عدد واهمية مدن الاقليم وهي :

١ - **اقليم الشام :** ولايات : دمشق، حمص، قنسرين، الاردن وفلسطين وهذه الولايات تكون بلاد الشام التاريخية.

٢ - **اقليم العراق :** ولايات : البصرة ، الكوفة ، واسط وكافة ولايات شرق العراق التي تم فتحها سابقا .

٣ - **اقليم الجزيرة الفراتية :** ولايات : الموصل ، ديار بكر وولايات شمال شرق سوريا التي تم فتحها سابقا .

٤ - **اقليم الجزيرة العربية :** ولايات : هي نفس الولايات في زمن الخليفة عمر عدا اليمن الذي تم فصله ليصبح أقليما منفصلا عن ألجزيرة .

٥ - **اقليم اليمن :** ولايات : صنعاء وحضرموت .

٦ - **أقليم مصر :** ولايات : مصر العليا ، مصر السفلى ، الأسكندرية والسويس.

٧ - **اقليم المغرب :** ولايات: تشمل المنطقة من برقة في ليبيا الى طنجة في مراكش .

يلاحظ من هذا التقسيم ان الموصل قد تم الحاقها باقليم الجزيرة الفراتية التي تقطنها شعوب وقوميات غير عربية مختلفة في اللغة والثقافة في حين ان الموصل هي جزء من الخارطة الجغرافية التاريخية لأقليم بلاد ما بين النهرين منذ ألقدم وحصل نفس الشئ لولاية الأحواز حين كانت جزء من اقليم العراق في عهد عمر بن الخطاب اما اقليم العراق فقد ضم كافة المناطق الواقعة في الشرق منه وهي مناطق شاسعة جدا منها بلاد الفرس وبلدان عديدة أخرى تسكنها شعوب واقوام مختلفة في اللغة والثقافة وألتقاليد ايضا فأصبح اقليم العراق يظم اكبر عدد من الولايات . ومع ان اليمن كان دوما ولاية من ولايات اقليم الجزيرة العربية ، تم فصله ليصبح اقليما مستقلا . ليس هناك مبرر مقنع لذلك التقسيم ألأداري وعلى ألأغلب ان وراء مثل هذا التقسيم اسباب سياسية وعسكرية ناتجة عن الأتساع الكبير والسريع في رقعة الدولة .

قرر معاوية بن ابي سفيان قبل وفاته بست سنوات ان يعين ولده يزيد وليا للعهد ليتسلم الخلافة من بعده مما شكل تنصلا من ألأتفاق الذي اقره مع ألحسن بن علي ألقاضي باللجوء ألى مبدأ الشورى لأختيار ألخليفة ليصبح معاوية اول من اقر مبدأ حكم ألسلالة . شكل هذا القرار ألخاطىء سببا رئيسيا للأنقسام سواء بين من تبقى من ألصحابة و بين عموم المسلمين سببا لبروز خلافات وصراعات داخلية دامية ومأساوية بين وقت

وأخر طوال فترة وجود ألدولة ألعربية ألأسلامية والى أن دخل هولاكو بغداد لتختفي تلك ألدولة من ألتأريخ ويصل حال ألعرب ألمسلمين الى من ذل ومهانة.

بعد أن توفى معاوية تولى ولده يزيد ألخلافة في ألعام ٦٠ هج ألموافق ٦٨٠ م. فسارع الى أرسال ألرسل ألى كافة أقاليم ألدولة لأخذ ألبيعه له فرفض كل من ألحسين بن علي وعبدالله بن ألزبير وعبد الله بن عمر بن ألخطاب مبايعة يزيد وسط تأييد شعبي واسع في كل أقاليم ألمنطقة ألعربية ألمتبقية . أتخذ هؤلاء ألثلاثة طرقا مختلفة لمواجهة ألضغط وألتهديد ألأموي ، أختار عبد الله بن ألزبير ترك ألمدينة وألأختفاء في مكة حتى وفاة يزيد وأختار ألحسين بن على ألمواجهة ألمفتوحة مع يزبد فيما يعد أما عبد الله بن عمر فأختار أتخاذ رفض ألأطراف ألثلاثة .

لجأ الحسين الى ثورته ألمكشوفة ضد يزيد مستندا الى سيل كثيف و مستمر من رسائل وجهاء العراقيين في ألكوفة تدعوه فيها للمجيىء الى الكوفة لأعلان ألثورة وألقضاء على ألدولة ألأموية . أرسل ألحسين عمه مسلم بن عقيل لتحري ألأمر ولسبب غير معروف قرر ألحسين جمع عائلته ومجموعة من أتباعه وألتوجه نحو ألكوفة قبل أن يتلق اية أخبار عن عمه . وهو في ألطريق ألى هناك عرف بمأساة قتل مسلم بن عقيل فحاول ألكثيرون ممن ألتقوا به أن يثنوه عن مواصلة ألسير أشفاقا عليه وعلى عائلته ألا أنه أصر على ألسير ألى أن وصل منطقة ألطف قرب كربلاء في ٦١ هجري ليجد جيش يزيد بأنتظاره هناك . كانت المفاجأة أن ألحسين قد شاهد عددا ممن كانوا يكتبون له ألرسائل يحثوه فيها على ألقدوم ألى ألكوفة قد أصبحوا قادة في صفوف جيش يزيد . بدون سرد تفاصيل القصة ألمعروفة ، كانت النتيجة فاجعة مؤلمة بمقتل الحسين وحز رأسه وحمله الى يزيد في دمشق مما شكل جرحا عميقا في نفوس الكثيرين من العرب والمسلمين لا تزال آثاره حتى الان .

وجد عبد اللة بن الزبير بعد وفاة يزيد في العام ٦٤ هجري فرصته في ادعاء الخلافة فبايعه اهل ألأقليم ألأربعة ، الجزيرة العربية والعراق ومصر ولم يتبق بيد الأمويين سوى الشام وكاد ان ينتهي دور بني امية لولا ان مروان بن الحكم سارع بالتوجه الى دمشق ليتمكن من الحصول على مبايعة اهل الشام له لتولى الخلافة في العام ٦٦ هجري ولو لم يحدث هذا لكان عبد الله بن الزبير قد تمكن من ألأطاحة بالأمويين . ما أن استقر امر الخلافة لمروان بن الحكم في الشام حتى بدأ يعد العدة لقيادة الجيش بنفسه والسير به الى مصر لأخضاعها واعادتها للخلافة الاموية . بعد أن حصل على بيعة أهل مصر عاد الى دمشق بعد ان عين ابنه عبد العزيز واليا عليها وابقى موسى بن نصير معه كمستشار له لخبرته الطويلة في ذلك ألأقليم . ظل مروان بن ألحكم على رأس ألخلافة ألى أن توفي في ١٥ شوال من العام ٨٦ هجري المصادف في ٨ تشرين اول من العام ٧٠٥ ميلادي قبل ان تتمكن جيوشه من القضاء على ابن الزبير وقد عهد بالخلافة لأبنيه عبد الملك اولاً

ثم لعبد العزيز . كانت خلافة مروان بن ألحكم بداية أنتقال الخلافة الى الفرع المرواني من الامويين ولما توفى مروان تولى ابنه عبد الملك الخلافة التي كانت تظم اقليمين فقط هما الشام ومصر بينما ابن الزبير لايزال يحتفظ بالعراق و الحجاز . نجح عبد الملك بن مروان من ضبط امور الدولة وتحقيق الأمن و الاستقرار والقضاء على الفتن الداخلية ومظاهر الفوضى فتفرغ لمعالجة عصيان أبن الزبير فخرج في العام ٧٠ هجري الموافق ٦٩٠ ميلادي الى العراق لأعادته الى الدولة ألأموية . وهناك أراضي ألعراق دارت بينه وبين مصعب بن الزبير الذي عينه اخاه واليا على العراق ، عدة معارك انتهت بهزيمة مصعب ومقتله في آخر معركة من هذه المعارك ثم أتجه بعد ذلك الى الكوفة التي كانت وقتها معقلا لمناصري أبن الزبير فاخذ البيعة من اهلها وعاد الى دمشق . لم يتبق بيد عبد الله ابن الزبير سوى الحجاز فعين الخليفة عبدالملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي لقيادة جيش تم اعداده جيدا للقضاء على عبد اللة بن الزبير . اتجه الحجاج بجيشه الى الطائف أولا لأتخاذه قاعدة لجيشه ثم من هناك تحرك نحو مكة للقضاء على الزبير الذي تحصن فيها . حاصر جيش ألحجاج ألحرم ألمكي الذي كان الزبير متحصننا قيه وقذفه بالمنجنيق فظل بن الزبير يقاوم ويرفض الآستسلام حتى تم قتله في العام ٧٣ هجري الموافق ٦٩٣ ميلادي فخضع الحجاز لسلطة الأمويين وتم تعيين الحجاج واليا عليه .

حسب عبد الملك بن مروان ان الامور قد استتبت له وحان الوقت لتطبيع اوضاع الدولة والالتفات الى توسيع رقعتها لكن بعض شيعة الكوفة بزعامة عبد الرحمن بن الأشعث ثاروا ضد السلطة الأموية بتحريض من الفرس على اساس ان لهم حق مشترك في تولى نسل الحسين الخلافة فتصدى لهم الحجاج بن يوسف الثقفي مرة أخرى بعد ان ولاه الخليفة عبد الملك امر العراق وكل المشرق الاسلامي فكان شديدا وعنيفا معهم حتى قضى عليهم نهائيا بعد سلسلة من المواجهات و المعارك .

بعد ان تم القضاء على الفتن في العراق ، وجه الحجاج انتباهه الى جهة المشرق فتمكن من اخضاع ارمينية وفتح عدد من حصون الروم كأنطاكية و مرعش وغيرها . وعلى أثر القضاء على التمردات وانتهاء العمليات العسكريةهدأت اوضاع الدولة واستقرت وساد الأمن في اقاليمها فتفرغ عبد الملك لأجراء اصلاحات داخلية هامة منها انه اول من امر بسك عملة وطنية هي الدنانير والدراهم بدل من العملة البيزنطية فحقق الأستقلال المالي والأقتصادي للدولة كما امر جعل اللغة العربية اللغة الرسمية في دواوين الدولة والمكاتبات الرسمية مما ادى الى انتشار اللغة العربية في المقاطعات والأقاليم التي يسكنها مواطنون من غير العرب .

وجد ألخليفة عبد ألملك أن ألوقت قد حان لتصفية أوضاع المغرب فعين عقبة بن نافع قائدا للجيش هناك لمواصلة الفتوحات وتطهير السواحل من بقايا الروم وكان عقبة في عهد معاوية قد انطلق بجيشه الى شمال افريقيا واستولى على تونس فبنى القبروان واختارها قاعدة لجيشه ومركزا لأنطلاق العمليات العسكرية

اللاحقة . واصل عقبة فتوحاته في غرب تونس وهو في عمر الشيخوخة لا يكل ولا يمل فتمكن من فتح الجزائر وتوغل حتى وصل ساحل المحيط الاطلسي . بعد أن رجع ومعه جيشه قاصدا القيروان وهو يسير في مؤخرة الجيش ، أعد له البيزنطينيون بالتواطئ مع قائد بربري يدعى كسيلة كان قد اسلم ثم أرتد عن الاسلام فاحاطوه وتمكنوا من قتله . على اثر ذلك بعث عبد الملك جيوشا جرارة جعل على رأسها قائد من افضل قواد الخلافة وهو حسان بن النعمان فدخل القيروان ثم اتجه الى تدمير قواعد البيزنطينين على طول الساحل ومطاردة فلولهم حتى حرر شمال افريقيا منهم بالكامل ولم يتبق من المتمردين البربر سوى مجموعة من عشيرة على رأسها امراة تدعى الكاهنة فخرج لملاقاتها فانتصر عليها واخذ يدعم فتوحاته باقامة اول قاعدة بحرية على ساحل تونس . في الجانب السياسي ، تمكن حسان من استمالة افراد قبيلة الكاهنة و زين لهم الاسلام خاصة لأبناء الكاهنة الذين قام بتوليتهم مواقع قيادية في الجيش التابع للدولة . اتجه مروان بعد ذلك الى جهة المشرق فأرسل جيوشه الى هناك بقيادة المهلب و بعد عدة معارك ناجحة خاضها المهلب وابنائه هناك توفى عبد المك بن مروان في العام ٨٥ هجري الموافق ٧٠٥ ميلادي .

تولى الخلافة من بعده ابنه الوليد بن عبد الملك في نفس يوم وفاة والده وكان عهد الخليفة الجديد عهد رخاء وأستقرار للدولة فتفرغ لمواصلة الفتوحات في الغرب والشرق . عين الوليد عمه عبد اللة بن مروان واليا على اقليم المغرب فقام بعزل حسان بن ثابت وعين بدله موسى بن نصير الذي كان شديدا صارما مع المتمريين من البربر فطاردهم وأكثر القتل فيهم اما من دخل منهم في الطاعة فقد استأمنهم فانتشر ألأسلام بينهم . بعد ان فتح موسى بن نصير طنجة ولى عليها احد مواليه من البربر ممن يتصف بالشجاعة والذكاء هو طارق بن زياد فاستقام الوضع في انحاء اقليم المغرب بشكل نهائي في العام ٨٩ هجري الموافق ٧٠٨ ميلادي . وفي ذلك الوقت تولى موسى بن نصير امارة القيروان وعهد الى طارق بن زياد بالقيادة العليا للقوات الاسلامية في المغرب العربي .

في العام ٩١ هجري الموافق ٧١٠ م. ، استشار موسى بن نصير الخليفة الوليد في امر فتح الأندلس وما ان جائته الموافقة حتى ارسل سرية استطلاع على رأسها طريف بن مالك وهو من البربر أيضا الى اسبانيا فشن غارة على جنوبها واستطاع ان يتوغل بجنوده في شبه الجزيرة الخضراء ثم عاد الى الساحل حاملا معه بعض الغنائم . تأكد موسى بن نصير بعدها بأن هناك ضعف او عدم وجود وسائل عسكرية دفاعية في اسبانيا مما شجعه على التفكير في فتح الاندلس . وقع اختيار موسى على والي طنجة وقائد جيوشه طارق بن زياد لتولي المهمة وفي شهر رجب من العام ٩٢ هجري الموافق ٧١١ ميلادي قام طارق ومعه جيش من سبعة آلاف مقاتل بعبور المضيق الذي ظل معروفا بأسمه لحد ألأن " جبل طارق " فاحتل المسلمون الجبل المطل على المضبق ثم جمع طارق قواته واندفع بقوة في عمق اراضي اسبانيا لا يوقفه عائق . وصلت أخبار هذا

ألهجوم ألى ملك اسبانيا فجمع مائة الف مقاتل لوقف زحف ألجيش ألأموي ولما وصل هذا ألخبر الى طارق ، طلب من قائده موسى بأرسال ألمدد على وجه ألسرعة فأمده على ألفور بخمسة الاف مقاتل فأصبح تعداد جيش طارق عشر الف أندفع بهم نحو المعركة مع الجيش الاسباني فانزل بألأسبان ألهزيمة . واصل طارق أنتصاراته في ألمعارك أللآحقة ساحقا اية مقاومة تقف في طريقه فراحت المدن الاسبانية تتساقط الواحدة بعد الاخرى بيد المسلمين مما أدى ألى هرب الاسبان القوط وتجمعوا في طليطلة . لجأ طارق الى تفريق جيشه ووجهه نحو جهات عدة لأحكام السيطرة على المدن والاراضي فكون فرقة لدخول غرناطة واخرى لدخول قرطبة و ...الخ من المدن ثم أخذ طارق ومن تبقى معه من ألجيش ألطريق المؤدي الى مدينة طليطلة حيث تجمع القوط ألأسبان وما ان سمعوا بزحفه نحوهم حتى هرب اهلها ودخل طارق المدينة بدون مقاومة وهي شبه خالية من سكانها .

خشي موسى بن نصير ان تقوم بعض الجيوب الاسبانية بقطع خطوط مواصلات الجيش الاسلامي مع المركز فأرسل الى طارق بانه سيعبر ومعهه الجيش الى اسبانيا وعليه ان ينتظره في طليطلة . عبر موسى بن نصير المضيق وسلك طريقا غير الطريق الذي سلكه طارق فطهر الجيوب ألأسبانية التي خلفها طارق وراءه وفتح المدن والاراضي الواقعة على ذلك الطريق حتى وصل طليطلة فالتقى بطارق وراحا يخططان لفتح ما تبقى من بلاد الاندلس فسارا معا حتى وصلا جبال البرنس على حدود فرنسا . في خضم هذه الأنتصارات وصلت رسالة من الوليد يدعو فيها كل من طارق وموسى للمثول امامه فخرجا قاصدان دمشق وعندما وصلا وجدا ان الخليفة الوليد قد توفى وان اخيه سليمان تولى الخلافة من بعده فدخلا عليه اما ما الذي حصل لهما فيما بعد فلا احد يعرف عنه شيئا . لقد اختفى اثر هاذين الرجلين العظيمين من التاريخ نهائيا اما اسميهما فلم يتم محيهما من صفحات ذلك التاريخ فقد اصبحت ألأندلس بفضلهما، كما هو مبين في الخارطة (٧) جزءا من اكبر أمبراطورية تم بناءها في تلك الحقبة من الزمن .

تواصلت الفتوحات في مناطق شرق الدولة عندما تمت تولية الشاب قتيبة بن مسلم على خراسان فأتخذ هذا القائد من منطقة مرو قاعدة عسكرية لجيشه للقيام بفتح بلاد ما بعد نهر جيجون حتى وصل تركستان الصينية لتصبح الدولة العربية الاسلامية مجاورة لحدود الصين . كان المسلمون قد فتحوا كل البلاد في جنوب شرق العراق ولم يتبق سوى الهند فكلف الحجاج بن يوسف الثقفي القائد اليافع الفذ محمد بن ألقاسم بمهمة فتح تلك البلاد . سار محمد بن القاسم الى الهند ففتح احد الثغور الواقع على الساحل الهندي ثم غادره ليواصل سيره في عمق الاراضي الهندية وهو لايمر بمدينة الا وفتحها الى ان اتجه لمواجهة ملك الهند والسند المدعو داهر فدارت معركة حامية بينهما كان النصر فيها للقائد الشاب محمد بن القاسم . وفي الوقت الذي كان فيه

محمد بن القاسم يواصل فتوحاته هناك جاء خبر وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك و كان ذلك في العام ٩٦ هجري الموافق ٧١٥ ميلادي بعد ان وصل الاسلام في عهده الى حدود فرنسا والصين و السند والهند .

تولى الخلافة من بعد الوليد ثلاثة خلفاء كان عمر بن عبد العزيز اكثرهم تميزا واقربهم في الصفات الى ألخلفاء الراشدين فامر بالتوقف عن توسيع الدولة وأعادة الحقوق لؤلائك الذين سلبت حقوقهم في السابق لكن خلافته لم تستمر سوى سنتين وخمسة اشهر فقط وكانت وفاته في العام ١٠١ هجري الموافق ٧٢٠ ميلادي . رغم التوسع و الفتوحات والقوة الظاهرة للدولة الا أن بوادر ضعفها قد بدأت منذ وفاة الوليد بن عبد الملك ولم تفلح اصلاحات الخليفة عمر بن عبد العزيز في رفع الظلم عن الناس واخذ جانب اللين والتسامح في ارضاء المعارضين للحكم الاموي . تولى الخلافة بعد عمر اخو الوليد يزيد بن عبد الملك ولم يكن عهده الذي انتشرت فيه الفتن والأضطرابات طويلا فتوفى ليتولى اخوه هشام بن عبد الملك الخلافة من بعده في العام ١٠٥ هجري الموافق ٧٢٤ ميلادي . كان عهد هشام بمثابة صحوة موت للدولة الاموية وحدا فاصلا بين عهد ازدهار تلك الدولة وعهد اضمحلالها وزوالها . حاول هشام بن عبد الملك ان يديم زخم قوة الدولة لكن محاولاته جاءت متأخرة رغم نجاحه في القضاء على عدة بؤر للتمرد في مناطق شرق الدولة وعلى رأسها حركة زيد بن علي بن الحسين الذي تشتت انصاره بعد مقتله ليقوم احد احفاده بألتوجه ألى أليمن ويؤسس المذهب الزيدي ألحاي في اليمن .

تولى الخلافة بعد هشام اربعة خلفاء ضعفاء استمرت الدولة الاموية ، خلال فترات حكمهم ، بتدهور مستمر وكان اخرهم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الذي تولى الخلافة في صفر من العام ١٢٧ هجري الموافق ٧٤٥ ميلادي وكان عهده عهد فتن واذطرابات فخرج الكثيرون عن الطاعة خاصة في القسم الشرقي من الدولة ، في اقليم خراسان تحديدا . كانت الحركة العباسية السرية المناهضة للخلافة الاموية التي اخذت تنشط في في ذلك ألأقليم منذ زمن بعيد هي الحركة الاكثر تنظيما وقوة من كافة الحركات الأخرى المعادية للحكم الأموي خاصة الحركات الشيعية المنقسمة على نفسها .

شكلت الاوضاع المتدهورة في خراسان للعباسيين بيئة سياسية مناسبة للخروج الى سطح الاحداث والأطاحة بحكم الامويين في ذلك ألقليم فقام اهم داعية لهم واشدهم كراهية للامويين هو ابو مسلم الخراساني الفارسي الأصل فأخذ وهو يحمل لواء العباسيين بالأستيلاء على خراسان ثم نيسابور وراح يعلن الدعوة لأبي العباس السفاح كأول خليفة من خلفاء بني العباس الهاشميين . أعد الخليفة مروان بن محمد جيشا للقضاء على العباسيين فالتقى الجيشان عند نهر الزاب فانكسر جيش الامويين ، غير ان الخليفة مروان تمكن من الفرار الى الشام فتمت مطاردته الى هناك لكنه تمكن من الأفلات مرة أخرى فهرب الى مصر . لاحقه العباسيون

الى هنك فقتلوه في مكان قرب الفسطاط وبمقتله اختفت الدولة الأموية التي استمرت قرابة واحد وتسعين عاما لتحل محلها دولة اسلامية عربية اخرى هي ألدولة العربية ألأسلامية العباسية .

أنتهت الدولة الاموية لكنها تركت ارثا في كثير من الجوانب الحضارية التي شكلت لبنات لأستكمال ألبناء الحضاري للدولة الجديدة على نحو ما قدمته دولة الخلفاء الراشدين للدولة الاموية عندما كانت حياة العرب قي الجزيرة العربية قبل وبعد ظهور الاسلام غنيهم وفقيرهم بسيطة فأنواع طعامهم محدودة ومساكنهم تكاد تخلو من اي طابع معماري جمالي ظاهر وكذلك هي ازيائهم الا ان حياتهم بعد الفتوحات الواسعة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب بدأت تتغير تدريجياً . لقد امتزج عرب الجزيرة بأخوانهم عرب الشمال في كل من اقاليم العراق والشام ومصر وأختلطوا بشعوب دولة الأكاسرة الزائلة من فرس واتراك وغيرهم من الاعراق اضافة الى انهم اصبحوا جارا للدولة البيزنطية فبدأوا بالتدريج وحسب مستوى الاختلاط والثقافة باكتساب العادات الاجتماعية والثقافية لكل هؤلاء في المأكل والملبس والمسكن . تطورت علامات الحضارة في زمن الدولة الآموية الى درجة قيامهم بصنع الأقمشة وكان اول خليفة اموي اسس مشغلاً ترعاه الدولة متخصصا بالنسيج المطرز هوهشام بن عبد الملك و كان الوليد بن عبد الملك اول من انشأ مدارس تشرف عليها الدولة مما ساعد على أنتشار التعليم و الثقافة وكان ايضا اول من أنشأ المستشفيات لأيواء المرضى كما شهد العهد الآموي تحقيق منجزات ثقافية تمثلت بظهور مؤسسات تدوين تاريخ العصر النبوي والراشدي وحتى الأموي . كل هذه الأنجازات التي اخذت مدة وجودالدولة الأموية البالغة واحد وتسعون عاما قد ساهمت بلا شك في تسهيل تحقيق الانجازات الحضارية للدولة العباسية .

٢ ــ الأمبراطورية العربية ألأسلامية العباسية :

مؤسس هذه الأمبراطورية الشاسعة التي حكمت العالم لعدة قرون هو ابو العباس السفاح احد احفاد العباس بن عبد المطلب عم النبي محمد وبالتالي فهو عم علي بن ابي طالب أيضا . وموجز الخلفية التاريخية لظهور هذه الشخصية الأستثنائية هي ان الناس في زمن سليمان بن عبد الملك قد كثرت المظالم وضعفت الدولة بسبب زيادة الآضطرابات في انحاءها فأخذت تتطلع الى شخص من بني هاشم لتدارك هذه الاوضاع فأرسل بعضهم بالكتب الى عبد اللة بن محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب المقيم في الشام . عرف عبد اللة ان الخليفة سليمان قد علم بهذا الأمر فخاف على نفسه من بطش الخليفة وهو كبير في السن فلجأ الى حيث يقيم عمه علي السجاد بن عبد الله بن عباس بعيدا عن مركز الشام وهناك حضرته الوفاة فأوصى الى ابن عمه محمد بن على بن عبد اللة بن عباس بأتخاذ ما يراه من أمر هذه الكتب .

اخذ محمد بن على بالوصية فأخذ ينشر الدعاة في ارجاء الدولة فتجمع الناس حول دعوته لكنه توفى في العام ١٢٤ هجري الموافق ٧٤٢ ميلادي فأوصى لآبنه ابراهيم بمواصلة المهمة . باشر ابراهيم مهمته ببناء

كيان تنظيمي للدعوة فأخذ يجوب ارجاء الدولة يعين فيها القواد والدعاة المختصون لنشر الدعوة وكان اهم هؤلاء الدعاة هو ابو مسلم الخراساني الفارسي الأصل . وجد ابراهيم بن محمد ان البيئة المناسبة للتحرك لتقويض حكم الأمويين متوفرة في اقليم خراسان لأن الفرس كانوا في اشد حالات التذمر ويشاركهم في هذا من هو موجود من العرب هناك . ما أن حل عام ١٢٩هجري الموافق ٧٤٧ ميلادي حتى اصدر " الأمام " ابراهيم امرا بتعيين أبو مسلم الخراساني رئيسا لجميع دعاة بني العباس وكلفه بالدعوة علنا للعباسيين وان تكون خراسان منطقة الانطلاق لتقويض الحكم الأموي . تمكنت السلطات الآموية من القبض على ابراهيم فأودعته السجن الى ان توفى فيه في العام ٧٤٦ ميلادي فتولى اخوه ابو العباس المهمة من بعده فأصدر امرا لأبي مسلم الخرساني بأعلان قيام الدولة العباسية في خراسان .

باشر ابو مسلم الخراساني بتنفيذ ألأمر فحارب ألأمويين في تلك المناطق فهزمهم واحتل بعد ذلك خراسان وما جاورها . في هذه ألأثناء اتجه ابو العباس الى الكوفة وظل مختفيا فيها حتى ١٢ ربيع الاول من العام ١٣٢ هجري الموافق ٢٩ كانون الاول من العام ٧٥٠ ميلادي ، عندما خرج على الناس في الكوفة فبايعوه بالخلافة فكان اول خليفة للدولة ألجديدة بكافة اقاليمها عدا ألأندلس التي ظلت بعيدة عن متناول يد العباسيين .

جلس ابو العباس السفاح على كرسي الخلافة فقضى معظم عهده في محاربة مناصري الدولة الآموية بعد ان قتل جميع اعضاء العائلة الاموية وحرق قصورهم ونبش قبور خلفائهم فلم ينج منهم أحد سوى عبد الرحمن الداخل الذي فر متخفيا الى مصر ثم الى اقصى المغرب وعبر الى الأندلس ليستقر هناك ويأسس دولته الأموية المستقلة عن الدولة العباسية . لقد سلك العباسيون نفس النهج الذي سلكه الامويون في الحكم القائم على حق السلالة فيه وليس الشورى . اتخذ ابو العباس السفاح الأنبار عاصمة له وتوفى فيها في العام ١٣٦ هجري الموافق ٧٥٤ ميلادي بعد ان قضى في الخلافة اربعة أعوام وتسعة اشهر وهو شاب ابن ألثلاثة وثلاثين عام فقط فأخذت البيعة لأخيه ابو جعفر المنصور .

مرت الدولة العباسية ، حسب ما يقولوه اغلب المؤرخيين ، بمرحلتين هامتين مؤثرتين خلال عمرها المديد : الأولى هي مرحلة استقرار و ازدهار يرافقها نفوذ فارسي واضح امتدت منذ نشأة الدولة في العام ١٣٢ هجري و حتى نهاية عهد الواثق بن المعتصم في العام ٢٣٢ هجري اي انها اخذت مئة عام تقريبا والثانية هي مرحلة اضطرابات وتراجع وانحدار يرافقه نفوذ تركي واضح هذه المرة امتدت منذ بداية خلافة المتوكل على الله في العام في العام ٢٣٢ هجري وانتهت بسقوط الدولة العباسية على يد هولاكو في ٢٣ محرم من العام ٦٥٦ هجري المصادف ٢٩ كانون الثاني من العام ١٢٥٨ . كانت فترة حكم المنصور فترة توطيد لدعائم الدولة الفتية وتقويتها من خلال مواجهة كل ما يؤدي الى ضعضعتها فقتل مسلم الخراساني

بسبب ما كان يمثله من مركز قوة داخل الدولة وقضى على ثورة المدينة المنورة التي بايع اهلها محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) بالخلافة وقضى على ثورات مماثلة في مناطق اخرى من الدولة . وكما اهتم المنصور في امور امن الدولة ، اهتم ايضا في الأعمار فبنى مدينة بغداد التي ساهم في تخطيطها وتابع التفاصيل الدقيقة لمراحل بناءها لتصبح عاصمة لتلك الأمبراطورية الشاسعة و ليرتبط اسمها باسمه ابد الدهر . اتسم حكم المنصور بتقريب البرامكة الفرس فسلم لأحدهم مركز الوزارة وعرف عن المنصور حرصه على متابعة تفاصيل امور الدولة بنفسه فيستعرض الجند ويفتش الحصون ويراجع ويحاسب ولاته و ....الخ . انهكت هذه الأعباء صحته فقرر زيارة مكة فتوفى وهو في الطريق اليها وعلى بعد ساعات منها في العام ١٥١ هجري .

تولى محمد المهدي ابن المنصور الخلافة والدولة تنعم بالأستقرار وكان المهدي رأوفا ورحيما ومنفتحا فقرر محو كل الأساءات التي اقترفتها عائلته من الخلفاء العباسيين فعفا عن المساجين السياسين ورد الى بني هاشم ما اخذ منهم ووسع المدارس كما وسع الحرم النبوي وأنشأ محطات الخدمة للحجاج على طول الطريق بين بغداد ومكة واهتم بتوفير ألخدمات للرعية . عقد ألمهدي مع معاصره شارلمان أمبراطور المملكة المسيحية الغربية في وسط اوربا علاقة صداقة أستمرت هذه العلاقة الى زمن الرشيد بينما استمرت حالة العداء مع الدولة المسيحية الشرقية البيزنطية منذ زمن المهدي أألذي قرر ومعه أبنه هارون الرشيد ألتقدم نحو البسفور لمحاربتها فأضطرت ملكة بيزنطة على عقد أتفاق صلح معة مقابل دفع جزية سنوية للدولة العباسية . تولى الخلافة بعد المهدي ابنه موسى الهادي في العام ١٦٩ هجري فلم يعمر اكثر من اربعة عشر شهرا وتوفى في العام ١٧٠ هجري ليعقبه في ألخلافة اخوه هارون الرشيد .

تولى هارون الرشيد الخلافة بعد وفاة أخيه وهو يحمل صفاة شخصية كان ابوه يؤثره بسببها على اخيه الهادي فهو يملك الشجاعة والحصافة والمهابة . كانت الدولة العباسية عند تولي هارون ألرشيد ألخلافة ، في غاية قوتها وأبهى مظاهرها فلم تكن هناك دولة على وجه ألأرض تضاهيها في العظمة والثروة والثقافة والعلوم وألأداب واستتباب ألأمن في ربوعها فأصبح الرشيد من اكبر حكام دول ذلك العصر . كان الرشيد كثير التجوال في امبراطوريته الشاسعة لتوطيد ألأمن فيها كما اشتهر في جولاته بين الناس للتعرف على احوال الرعية وكان يرعى العلم والعلماء فأنشأ المدارس والمستشفيات والقناطر والترع ، وفي عهده اتسعت رقعة بغداد وكثرت فيها المساكن وقصور الاغنياء التي ابدع المهندسون في تصاميمها وخاصة في الرصافة في شرق دجلة وبنيت فيها الحمامات العامة و الاسواق ومحال للصناعيين وألحرفيين فازداد عدد نفوس بغداد فقيل انه وصل الى مليوني نسمة .

أحتلت بغداد في زمن الرشيد مركزا عالميا مرموقا يؤمها التجار وطالبي العلم فذاع صيت هارون الرشيد حتى خارج حدود الدولة ليصبح صديقا شخصيا لأمبراطور الصين وليتبادل الهدايا مع شارلمان امبراطور المملكة المسيحية الغربية ومن الهدايا التي قدمها الرشيد لشارلمان الساعة الشهيرة التي اثارت عجب الجميع . لم تجر حملات فتح بلدان اخرى في عهد هارون الرشيد ولا اللذين سبقوه من الخلفاء واقتصر الامر على مناوشات وحملات عسكرية عدائية متبادلة مستمرة بين العرب والبيزنطنيين ولذلك فان تقسيم الاقاليم للدولة العباسية هو اقرب ما كان عليه تقسيم الدولة الاموية عدا الاندلس التي اصبحت دولة اموية مستقلة في زمن العباسيين . لقد جرى تقسيم ألأقاليم على نفس ألأسس التي قامت عليها ألدولة ألأموية فلم تجر مراعاة التكوين الأجتماعي والثقافي والجيوغرافي التاريخي في ذلك ألتقسيم وعلى ألشكل ألتالي :

١ - **اقليم الشام :** ولايات : فلسطين ، الاردن ، حمص ، دمشق ، حلب و(الثغور التي تظم الموصل وشمال العراق من تكريت فما فوق (اقسام من آسيا الصغرى)

٢ - **اقليم العراق :** ولايات : البصرة ، بغداد ، الأنبار ، الكوفة

٣ - **اقليم الجزيرة العربية :** ولايات : البحرين ، عمان ، المهرة ، حضرموت وجدة

٤ - **اقليم مصر :** ولايات : مصر العليا ، مصر السفلى والنوبة

٥ - **اقليم المغرب العربي :** ولايات : برقة ، تونس ، الجزائر ومراكش

٦ - **اقليم الاحواز :** ولايات : جندي سابور ، السوس ، تستر وعسكر كرم

٧ - **اقليم بلاد فارس :** ولايات : تظم جميع مدن واراضي شرق العراق من ظمنها ألأهواز

وكما كان الحال في زمن الدولة الاموية ، تم ضم الجزء الشمالي من اقليم العراق من حد تكريت فما فوق هو ضمن اقليم الشام في زمن تقسيم الدولة العباسية وهو جزء من اقليم جزيرة الفرات في تقسيم الدولة الاموية . وواضح ان اسباب تقسيم الاقاليم لكلتا الدولتين هي متشابهة ولم يكن هناك تبرير مقنع لهذا التقسيم فقد أثبتت الأحداث التي مرت على كلتا الدولتين ، ان تلك التقسيمات ساهمت بهذا القدر او ذاك في نهايتهم ألمؤلمة ولربما أختلف أمرهما لو أنهما اتخذتا نهج الخليفة عمر بن الخطاب في تقسيم ألأقاليم .

عهد هارون الرشيد بالخلافة من بعده الى اولاده الثلاثة ، الأمين اولا ثم المأمون ثم ألقاسم ولما توفى الرشيد ، تولى الأمين الخلافة في العام ١٩٣ هجري وولي المامون على خراسان وسائر مشرق لألدولة . كان الامين ميالا للهو والترف وقدراته محدودة في الثقافة والمعرفة ، كما تذكر ألمصادر ولم يكن يتمتع بمؤهلات وقدرات لأدارة دولة بذلك ألحجم . لأسبالب غير معروفة ، فكر الأمين بخلع المأمون عن الخلافة وجعلها في اولاده فأرسل جيشا للقبض على المأمون غير انه انهزم امام قوة جيش المأمون الذي قام اثر ذلك على اعلان خلع اخيه عن الخلافة وتوليها لنفسه فتقبلته جميع ولايات اقليم فارس . سار المأمون بعدها على رأس جيشه

نحو بغداد فحاصرها الى ان سلم الأمين نفسه لأخيه غير ان بعض الجنود الفرس عاجلوه فقتلوه فكانت تلك اول بادرة من بوادر قوة النفوذ ألفارسي في مؤسسة جيش الدولة العباسية وهي في عهدها الاول .

كان المأمون مولعا بالعلوم والأداب والفلسفة فكان عهده ارقى العهود في العصر العباسي الأول فقد ظهر فيه علماء مشهورون في مختلف فروع المعرفة والثقافة . كانت الترجمة عن الفرس واليونان والهنود قد بدأت منذ ايام المنصور حيث جرت ترجمة كتب ابقراط و جالينوس في الطب من اليونانية و قام ابن المقفع بترجمة كليلة و دمنة الهندية من الفارسية كما ترجم المجسطي لبطليموس أيضا . ارتفعت وتيرة الترجمة في عهد المأمون فأقبل المترجمون على كنوز كتب العلوم اليونانية التي تم شراءها ونقلها الى بغداد فنقلوها الى العربية برعاية وتشجيع الدولة . نشأ المأمون متشبعا بتلك الثقافة فواصل دعمه وتشجيعه بغدق الأموال اكثر من سابقيه على حركة الترجمة والتأليف الى ان وصلت ذروتها . كان المأمون معجبا بشكل خاص بأرسطاطاليس فأرسل جماعة تعرف أللغة اليونانية الى القسطنطينة ومعهم صاحب بيت الحكمة لجلب كتبه وترجمتها . ازداد أيضا في عهد المأمون عدد المدارس والجامعات وتم تأسس بيت الحكمة فتقدم ألشعر وفن عمارة ألبناء وظهرت حلقات للنقاش في مختلف فروع العلوم والثقافة . صاحب هذا التقدم بالثقافة وألبناء تعثر واضح في فنون الرسم والنحت والرواية والقصة بأستثناء حكايات " الف ليلة وليلة " الرائعة التي لم يعرف من هو مؤلفها . أدهشت هذه ألحكايات قارئيها منذ ذلك ألزمن ولحد ألأن فتمت ترجمتها الى اغلب اللغات الحية في العالم بدءا من الأنكليزية والى اللغة الروسية التي صدرت بست مجلدات في الثلاثينيات من القرن الماضي وقدم لها الكاتب السوفيتي الشهير ورئيس اتحاد الكتاب السوفيت انذاك مكسيم غوركي . أما في فن الرسم والنحت فأقتصر فقط على الخط ، النممنمات ، والزخرفة التي جرى توظيفها لتزيين قصور الخلفاء والأغنياء والجوامع والجامعات و كاد أن يهمل الرسم و النحت تماما فليس هناك منه سوى القليل مما يمكن تسميته فنا للرسم وقد حصل ذلك بسبب فهم خاطىء للدين بدعوى تحريم الأسلام لهذه الانواع من الفنون .

بعد ان قدم عهد المأمون تلك ألأنجازات المتمثلة بتلك النهضة ألثقافية الكبرى اصابته حمى قوية وهو في معركة له مع البيزنطينيين فقضت عليه في العام ٢١٨ هجري وكان قد اوصى بالخلافة من بعده لأخيه المعتصم . ما ان تولى المعتصم الخلافة حتى افصح عن نيته في كبح جماح ألجيش المكون بأغلبيته من الفرس وأتجه لتكوين جيش جديد غالبيته من الاتراك تكون قيادته تحت امرته مباشرة . ضاقت بغداد بتلك الجيوش فسادها نوع من ألأحتقان وألتوتر مما دفع المعتصم لتفادي ما يحصل ألى ألبحث عن عاصمة جديدة فأختار منطقة سامراء الحالية الواقعة على الجانب الشرقي من دجلة فبنى فيها عاصمته الجديدة التي سماها " سر من رأى " على بعد اكثر بقليل من ١٠٠ كم عن بغداد فأنتقلت كل مؤسسات ألدولة ألى ألعاصمة ألجديدة .

لم تتوقف في عهد المعتصم حركة الترجمة وألتأليف وأستمرت ألنهضة ألعلمية بنفس ألزخم الذي كانت عليه في عهد المأمون اضافة الى ان المعتصم حقق انجازات من اهمها هي قضائه على حركة دينية سياسية تمزج بين الآسلام والمجوسية في منطقة اذربيجان بقيادة شخص اسمه بابك الخرمي وكانت اذربيجان عاصية على الدولة منذ عهد المأمون ثم تمكن من فتح عمورية قرب انقرة وهي مسقط رئيس ألدولة ألبيزنطية في ذلك الوقت . بعد ان توفى المعتصم في العام ٨٤٢ ميلادي ، بويع ابنه الواثق بالله بالخلافة واستمر في سياسة والده في الأعتماد على الأتراك من خلال أدخالهم في الجيش وتسليمهم الوظائف العالية للدولة وبعد وفاته في العام ٨٤٧ ميلادي تمت مبايعة أخيه ابو الفضل جعفر المتوكل على الله بالخلافة الذي يتفق ألكثير من ألمؤرخين على أن خلافته كانت بداية أنحطاط ألدولة وفاتحة نهاية ألعصر ألعباسي ألأول .

تتابع خلفاء عباسيو بعد المتوكل أتسم عصرهم بالأضطراب والتفكك وانفصال ولايات واقاليم من جسم الدولة وبسبب الوهن الذي انتاب الدولة والصراعات الداخلية كما جرى التخلص من اغلب خلفاء هذا العصر بالأغتيال اما بواسطة السم او بالسيف او بالسجن حتى الموت بسبب دسائس تحوكها نساء قصر الخلافة وقواد جيش الدولة .

في حين ظلت الدولة ألأموية في ألأندلس مستقلة ومنفصلة عن الدولة العباسية وأخذت طريقها الصلب في البناء الحضاري الذي دام الى ما بعد زوال الدولة العباسية ، بدأت الكثير من ولايات وأقاليم الدولة العباسية أما بالأنفصال عن جسد الدولة أو ان تكون مرتبطة بها شكليا . اثناء تواصل الأضطرابات وانفصال الولايات والأقاليم في ظل عهود العديد من اواخر خلفاء بني العباس ، شهدت الأوضاع الاقتصادية والسياسية شيئا من التحسن في عهد الخليفة المعتضد بالله الذي تولى الخلافة في العام ٨٩٣ فعادت بغداد مجددا لتكون عاصمة ألدولة ألعباسية بدلا من سامراء .

بعد وفاة المكتفي بالله في العام ٩٠٨ ، أزدادت ألأضظرابات و حالات ألتدهور فبدأت ألمحاولات ألآنفصالية في غرب مصر فأستقل كل من الآغالبة و الأدارسة عن الدولة وظهرت الدولة البويهية في بلاد فارس وخراسان كما ظهرت الدولة الفاطمية المستقلة في تونس وليبيا والجزائر في عهد خلافة القاهر بالله في العام ٩٣٢ ميلادي واعلن عبيد الله بن محمد في تونس نفسه خليفة لتلك للدوله ألفاطمية . كان عبد أللة بن محمد زعيم الأسماعيليين متخفيا باسم مستعار منتحلا مهنة تاجر عن أعين سلطات بني العباس منذ عهد الخليفة الأمين في بلدة السلمية الواقعة على حافة الصحراء بين العراق والشام وهي اليوم المركز التاريخي والروحي للطائفة ألأسماعلية في سوريا . عندما وصل اليه ان السلطات قد كشفته وعرفت مكانه ، سارع بالأتصال بأحد اهم دعاته في المغرب هو ابو عبدالله الذي خرج من صنعاء لبث الدعوة ألأسماعيلية في المغرب مخبرا اياه بانه في الطريق اليه . خرج عبيد الله من السلمية متخفيا الى مصر ومن ثم الى المغرب

حيث تمكن بمساعدة داعيته ابو عبد الله من جمع الناس حوله بأعتباره من سلالة اسماعيل بن جعفر الصادق مع ان بعض المؤرخيين يشكون بأصله و ينسبوه الى أصول فارسية ولم يمض وقت طويل حتى تكونت لعبيد الله القوة للقضاء على دولتي الأدارسة والأغالبة . بعد ان استقرت له الآمور في تلك المناطق ، ترأس مقاتليه واندفع بهم نحو تونس فدخل مدينة القيروان التي أتخذها عاصمة للدولة الفاطمية الوليدة وهناك بايعه الناس وأدعى انه " المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلا بعد ان امتلأت جورا " .

في مرحلة لاحقة من هذه ألدولة ، أمر ألخليفة ألفاطمي ألمعز من عقب عبيد الله احد قادته ألأكثر شهرة وهو جوهر الصقلي بتصفية بقايا الأدارسة لتصبح دولته ممتدة من تونس الى المحيط الأطلسي وما ان تحقق له ذلك حتى أمره بألتوجه بقواته نحو مصر فتمكن من فتحها في العام ٣٥٩ هجري الموافق ٩٦٩ ميلادي . اتخذ جوهر الصقلي الفسطاط مقرا لقواته اولا ثم بدأ ببناء القاهرة الذي استغرق بناءها اربع سنوات لتكون عاصمة الدولة الفاطمية . بعد ان اكتمل بناء القاهرة ، قام جوهر الصقلي بدعوة سيده الخليفة المعز للأنتقال اليها لتصبح العاصمة الجديدة للدولة الفاطمية فسميت " بقاهرة المعز " . من اهم ما تركه عهد هذا الخليفة بعد اكتمال بناء القاهرة هو بناء اول جامع فيها وهو جامع الازهرألحالي الذي لم يعد مكانا للصلاة فقط بل اصبح مكانا يقتصر التدريس فيه على المذهب الشيعي الاسماعيلي ثم أصبح مكانا لتدريس كافة المذاهب الاسلامية بعد زوال الدولة الفاطمية . كان الفاطميون في تلك الفترة في اوج قوتهم فأخضعوا بلاد الشام و جزيرة صقلية ليصبحا جزء من الدولة واخذوا يتناوبون السيطرة مع العباسيين على اليمن .

مع أزدياد ضعف الدولة العباسية وتفككها ، استقلت بلاد فارس ومعها اقاليم المشرق الآخرى وقامت في وسط الدولة العباسية في اقليمي العراق والشام ، مملكة الحمدانيين في الموصل اولا في العام ٣١٧ هجري الموافق٩٨٢ ميلادي ثم في حلب في العام ٣٣٣ هجري الموافق ١٠٠٣ ميلادي . في ظل ذلك الضعف و التفكك الذي اصاب جسد الدولة ، بدآت القوى الخارجية الممثلة بألبابا والممالك الأوربية تتطلع الى تحقيق مطامعها في المنطقة العربية متخذتا من الدين المسيحي غطاءا لتحقيق تلك المطامع . اجتمع المتعصبون واللصوص و المرتزفة من كل انحاء اوربا لنداء البابا " لتحرير" بلاد المقدس من المسلمين وعلى رأسهم ملوك و دوقات الدول الأوربية فركبوا السفن باتجاه ساحل بلاد الشام في العام ١٠٩٨ في عهد الخليفة المستظهر بالله الذي شغل منصب الخلافة منذ ١٠٩٤ فأحتلوا بأسم الصليب عددا من مدن الساحل مما أدى في النهاية الى سقوط القدس بيد الصليبين في العام ١٠٩٩ ميلادي . بعد وفاة الخليفة العباسي المستظهر ، تولى الخلافة من بعده المسترشد بالله وفي عهد هذا الخليفة ظهر عماد الدين الزنكي ذو الأصول الكردية كوالي على الموصل الذي وسع نفوذه لتقع ضمن ولايته كل من حلب وحمص ثم تلاه ابنه نور الدين زنكي الذي واصل محاربته للصليبين ولهذا السبب قام الخليفة العباسي المقتضي بأمر الله بدعم افراد تلك ألعائلة .

في اجواء هذا الصراع مع الصليبين ، ظهر شخص استثنائي من ابناء هذه العائلة في تكريت الذي خبأ له القدر مكانا لا يمحى من تأريخ المنطقة ألعربية ذلك الشخص هو صلآح الدين ألأيوبي . بعد حصول أضطرابات وخلافات بين قادة ألدولة الفاطمية في مصر ، قام احد اطراف هذه النزاعات وهو الوزير الفاطمي شاور بدعوة نور الدين زنكي سلطان الشام للمساعدة في انهاء هذه الخلافات . وجه نور الدين زنكي امرا الى اسد الدين شيركو ان يتحرك بجيشه فخرج نور ألدين على رأس ألجيش بمستصحبا معه ابن اخيه صلاح الدين لتقديم ألمساعدة لمصر المضطربة وكان ذلك في جمادي الأول من العام ٥٥٩ هجري الموافق للعام ١١٧٩ ميلادي . وفي أخر مرة ذهب فيها صلاح الدين ألى مصر مع عمه على رأس جيش للمساعدة على درأ الخطر الصليبي عنها ولتسوية اوضاعها الداخلية وأثناء مكوثهما فيها ، بدأت تساورهما الشكوك حول تحركات الوزير شاورالى ان فقبضوا عليه في احدى المرات متلبسا بالتخابر مع الصليبين . قدموا هذا ألوزير ومعه ألوثائق ألتي تثبت أتصلاته بألصليبين فاصدر اخر خليفة فاطمي هو العاضد لدين الله الأمر بأعدامه وتعين اسد الدين شيركو كوزير له غير ان ألوفاة عاجلته فعين ألخليفة صلاح ألدين بدله . بعد فشل عدة محاولات لأغتيال صلاح ألدين من قبل ألبطانة ألفاسدة ألملتفة حول الخليفة ، اقدم صلاح الدين على استبدال حرس الخليفة بموالين له .

مع استمرار رقود الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله على فراش المرض وازدياد نفوذ وشعبية صلاح الدين شعر الصليبيون بالخطر الذي يهدد مشروعهم الاستعماري فقاموا بحصار دمياط لمدة خمسين يوما دون ان يتمكنوا منها مما اضطرهم للأنسحاب فلاحق صلاح الدين فلولهم وحاربهم الى ان تم طردهم خارج مصر مما عزز من شعبيته ونفوذه . في تلك الفترة ، اصبح واضحا أن الدولة الفاطمية قد بدأت تلفظ انفاسها ألأخيرة وبعد وفاة ألخليفة ألعاضد لدين ألله قام احد الخطباء في اول جمعة من العام ٥٦٧ هجري الموافق تشرين اول من العام ١١٧١ميلادي بالخطابة في الجامع الأزهر للخليفة العباسي المستضيء بامر الله فأخذت جيع جوامع القاهرة تحذو حذو ذلك الخطيب فاصبح صلاح سلطان مصر فانتهت بذلك الدولة الفاطمية الى الزوال بعد ان استمرت ٢٦٢ عام .

نجح صلاح الدين فيما بعد بجمع مصر وسوريا والحجاز وتهامة والعراق في دولة اسلامية موحدة قوية تحيط بمملكة المقدس الصليبية والممالك الصليبية الاخرى من الشمال و الجنوب والشرق وما ان اطئمن الى وحدتها وتماسكها حتى انتقل الى تنفيذ ألصفحة ألتالية من مخططه السياسي والعسكري ألمتمثل بمحاربة الصليبين وطردهم خارج البلاد فعاد الى دمشق ومن هناك طالب بالتهيء لتلك الحرب .

حشد صلاح الدين الجيش وسار به الى الاردن فعبر النهر لمهاجمة بيسان ثم سار غربا ليعترض تعزيزات الصليبين وبعد عدة معارك خاضها صلاح الدين استمرت طويلا تخللتها هدنة الى ان حصلت

معركة حطين الشهيرة والحاسمة التي انهزم فيها الصليبيون شر هزيمة فتفرقوا في كافة الأتجاهات بعد ان تم سحقهم وقتل قادتهم وملوكهم . انفتح الطريق امام جيوش صلاح الدين فأخذت مدن الساحل اللبناني-الفلسطيني تسقط تباعا وبعد تحرير كامل الساحل اتجه صلاح الدين نحو القدس فحاصرها الى ان دخلها في ليلة المعراج يوم ٧٢ رجب من العام ٥٨٣ هجري الموافق ٢ ايلول ١١٨٧ . بعد ان انتهى صلاح الدين من القدس اعد العدة لتحرير بقية الساحل الشامي من الصليبين كأنطاكيا واللاذقية وغيرها . لم ييأس الصليبيون فهادوا مرة أخرى الي فلسطين وكائت جيوشهم هذه المرة بقيادة اقوى ملوك اوربا في ذلك الحين ريتشارد قلب الاسد ملك الأنكليز ومعه ملك فرنسا فحصلت معارك عديدة بين المسلمين والصليبن لم تسفر اي منها عن نتيجة حاسمة لأي من الطرفين . في وسط هذه ألضروف حصلت علاقة شخصية بين صلاح الدين وملك النكليز ريتشارد سادها ألود وألأحترام ألمتبادل مما أدى ألى عقد صلح بين ألجيشين كانت نتيجتة ان يعود الصليبيون الى ديارهم ويتركون القدس بيد صلاح الدين دخل صلاح ألدين مدينة ألقدس فحسن أسوارها وأدخل كنيسة صهيون داخلها وقضى شهر رمضان فيها ثم تركها متوجها الى دمشق ليعيش أيامه ألأخيرة ويتوفى فيها في العام ١١٩٣ ميلادي في عهد الخليفة الناصر لدين الله .

أختلف اولاد صلاح الدين من بعده وتحاربوا في ما بينهم على اقتسام سلطته فقاموا بأستخدام رجال قبائل تركية وشركسية بكثافة في محاربتهم لبعضهم البعض مما شكل بداية بروز ظاهرة المماليك في المستقبل المظلم القادم للدولة العباسية . مع كل الذي فعله صلاح الدين ، لم يتوقف تدهور وانهيار الدولة العباسية فبعد وفاة الناصر لدين الله تولى ابنه الظاهر لدين الله الخلافة ثم تلاه ابنه المستنصر لدين الله في العام ١٢٢٦م. وهو الذي أسس الجامعة المستنصرية . فبل أن يتوفى هذا ألخليفة في ألعام ١٢٤٢ ميلادي شهد عهده هذا سيطرة المغول على بلاد فارس بعد ان خربوا كابول وبخارى . تولى أبنه المستعصم بأللة ألخلافة وهو اخر خليفة عباسي شهد عهده نهاية الحملات الصليبية ونهاية السلطة الايوبية في مصر في العام ١٢٥٠ ميلادي على اثر وفاة الملك الصالح ايوب وكانت السلطة ألأيوبية هي التي فتحت الباب أمام ألمماليك لتولي السلطة في مصر ، غير ان الحدث ألأهم الذي حصل في فترة خلافته هو سقوط بغداد على يد المغول .

كان المغول قد اتجهوا بجيش عظيم يقوده هولاكو نحو الغرب فاحتلوا ايران وقضوا على الاسماعيليين في جبل موت ثم دخلوا ارض العراق قاصدين بغداد ولما وصلوها طوقوها وطلب زعيمهم هولاكو من الخليفة المستعصم الاستسلام لكن الخليفة جابهه بالرفض أولا ثم أذعن في النهاية لطلب ألتفاوض . خرج ألخليفة ومعه حاشيته ورجال دولته من علماء ووجهاء لملاقاة هولاكو ألذي ضمر الغدر بالخليفة فقتله بطريقة بشعة وقتل جميع من كان معه في ٢٠ شباط من ألعام ١٢٥٨ فكان هذا أليوم هو يوم زوال ألخلافة

ألعباسية . أقتحمت بعد ذلك جيوش ألمغول بغداد من كل جانب فقتلوا العديد من سكانها وأحرقوا دورها ومكتباتها فعم الخراب ألشامل بها حتى قيل ان لون نهر دجلة اصبح أسودا بسبب ما رمي فيه من كتب .

مع ان عهد المماليك في مصر لم يشهد استقرارا في السلطة بسبب تنافس المماليك على النفوذ والسلطة ، الا أنه يحسب لهم انهم قاموا بدور بارز في حماية مصر والمنطقة كما بينته ألأحداث اللاحقة . فبعد ان اجتاحت جيوش هولاكو بغداد ، اتجهت تلك الجيوش صوب بلاد الشام فاحتلت وخربت عدة مدن سورية من اهمها مدينتي حلب ودمشق . خلال الفترة التي كان فيها هولاكو منشغلا في الشام , تسلم المملوك سيف الدين قطز حكم مصر فكان متحسبا للوقوف امام ألخطر الذي يشكله هولاكو لمصر فسخر كل امكانيات مصر لحشد جيش قادر على مجابهة جيش المغول . خرج بهذا الجيش من مصر قاصدا مواجهة هولاكو ألذي لازال في بلاد الشام فألتقى الجيشان في عين جالوت في الجليل من فلسطين فدارت معركة عين جالوت الشهيرة بين الجيشين في العام ١٢٦١ ميلادي انتهت بغلبة جيش المماليك فكانت هذه نهاية الوجود المغولي في المنطقة العربية . منذ ذلك الوقت تعاظم دور المماليك مما فتح لهم المجال للسيطرة على بلاد الشام والحجاز واليمن . بعد ان أنتهت معركة عين جالوت ، توفى السلطان قطز وهو في طريق العودة الى مصر فاصبح الظاهر بيبريس سلطانا لمصر من بعده .

مضت ثلاث سنوات منذ مقتل الخليفة العباسي وسقوط بغداد والعالم العربي والاسلامي بدون خليفة مع انه كانت هنك محاولة سابقة لمبايعة احد افراد الاسرة العباسية في دمشق لكنها فشلت تلتها محاولة ثانية لأحياء الخلافة على يد الظاهر بيبرس في العام ١٢٦٢عندما اخبره وزراءه ومستشاروه بوصول احمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله . دعى بيبرس ألى أجتماع حضره القضاة ورجال الدولة تم خلاله اثبات صحة نسب الأمير فتمت مبايعته بالخلافة رسميا ولقب المستنصر بالله فجرى ضرب اسمه على النقود وذكره في خطبة الجمعة فقط لكن بدون صلاحيات لأدارة الدولة التي تم تفويض بيبرس بالقيام بأدارتها . كان احد نصوص تفويض بيبرس هو ان تعمل الدولة على استعادة بغداد واعادة منصب الخلافة اليها فطلب ألخليفة احمد المستنصر بالله بأنه على أستعداد لتنفيذ هذه ألمهمة أذا ما زود بألجيش فسار على رأس ذلك ألجيش قاصدا بغداد وفي ألطريق أليها حصلت معركة بين هذا ألجيش وجيش ألمغول قتل على أثرها هذا ألخليفة قبل بلوغه بغداد . تمت مبايعة خليفة أخر هو الحاكم بأمر الله الثاني في القاهرة بالخلافة وأستمر فيها لمدة ثلاث عقود غير انه بات واضحا من الناحية العملية ان الدولة العباسية قد سقطت منذ ان اجتاح هولاكو بغداد ١٢٥٨ رغم ان الخلافة العباسية استمرت شكليا حتى العام ١٥١٧ كرمز للدولة لكنها انتهت رسميا مع انتصار السلطان سليم الأول العثماني على المماليك .

قرر ألسسلطان سليم ألول أنهاء سلطة ألمماليك في كل من الشام ومصر وبعد أن أنتصر على ألمماليك في ألشام أنحدر جنوبا قاصدا مصر لمحاربة ألمماليك فأنتصر عليهم أيضا . خرج ألسلطان من مصر بصحبة أخر خلفاء بني ألعباس محمد ألثالث ألمتوكل على أله ألذي تنازل عن ألخلافة للسلطان فسلمه رموزها وهي بردة ألنبي محمد اخر الخلفاء العباسيين محمد الثالث المتوكل على الله الذي تنازل له عن الخلافه وسلمه رموزها وهي بردة النبي وسيف عمر بن ألخطاب فأنطوت بذلك صفحة ألحكم ألقرشي ألعربي لتفتح صفحة جديدة أمام ألمنطقة ألعربية هي أشد بؤسا وشقائا (٥) .

لم تتحسن احوال مواطني الاقاليم العربية في ظل الحكم العثماني بل استمر تدهور حالتهم المعيشية فعم بينهم الفقر والجهل والمرض لدرجة انهم لم يعد بأمكانهم مواجهة اعباء مرحلة ما بعد زوال الحكم العثماني وسيطرة كل من بريطانيا وفرنسا على اراضيهم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وما حملته من نتائج كارثية من تقسيم منطقة ألشرق العربي الى قطع جغرافية سياسية حسب ما تقتضيها مصالحهما ألمتفق عليها في أتفاقية سايكس- بيكو وبهذا تمت ازاحة ألأتراك ليحل محلهم البريطانيين والفرنسيين .

٤ – الأمبراطورية الأسلامية العثمانية وبدايات ظهور الأستعماري الأوربي :

سميت هذه الأمبراطورية بالعثمانية نسبة لعائلة ال عثمان المنتمية لاحدى العشائر التركية المتنقلة والتي تمكن رئيسها عثمان الاول بن ارطغرل من تاسيسها بعد تفكك الدولة السلجوقية ولأن أرطغرل كان تابعا لتلك الدولة فقد سنحت له الفرصة من توسيع نفوذه والسيطرة على مناطق واسعة من اراضي غرب بلاد الاناضول . تنتسب هذه العشيرة الى الأصل العرقي الأصفر من مغول وصينيون وغيرهم من شعوب شرق آسيا وقد تركت هذه العشيرة منطقتها في شرق اسيا وحطت في مناطق غرب الأناضول قرب حوض نهر دجلة ثم انتقلت الى اقصى الشمال الغربي من الأناضول على حدود ألأمبراطورية البيزنطية بعد ان منح السلطان السلجوقي اقطاعية واسعة وغنية لزعيم ألعشيرة أرطغرل هناك . كانت بدايات ظهور الدولة العثمانية في هذه المنطقة عندما أخذ ارطغرل الذي يملك اطماعا سياسية بعيدة المدى في توسيع ممتلكات اراضيه شيئا فشيئا بالقوة العسكرية فأخذ بالأستحواذ والسيطرة على ما حولها والقضاء على كل منافسيه فيها فأصبح اميرا عليها . بعد وفاة أرطغرل تولى أدارة هذه ألأمارة أبنه ألبكر عثمان فواصل سياسة ابيه في التوسع والسيطرة في مناطق غرب الأناضول وخاصة تلك التابعة للدولة البيزنطية الى ان تمكن من قيام الدولة العثمانية في ٢٧ تموز من العام ١٢٩٩ م. بعد ان استقل عن الدولة السلجوقية واتخذ لنفسه لقب سلطان . أستمرت سلالة هذا السلطان بحكم هذه الدولة التي نسبت اليه حتى ٢٩ تشرين اول من العام ١٩٢٣ على أثر خسارتها في الحرب العالمية الثانية.

بعد وفاة عثمان تولى ابنه اورخان امور الدولة الناشئة فأحكم تنظيمها وادارتها وأتخذ من بورصة التي افتتحها في عهد ابيه عاصمة لها وضرب النقود بأسمه وشكل جيشا نظاميا كما لجأ ايضا الى اختيار فتيان من المسيحيين الروم والأوربين الذين جمعهم من مختلف الأنحاء ليشكلوا جيشا اضافيا عرف بجيش الأنكشارية ليكون رديفا للجيش النظامي فأولى هذا الجيش عناية خاصة وأجزل لمنتسبيه الأمتيازات . اتخذ اورخان سبيل والده وجده في توسيع الدولة فشن هجوما على عاصمة البيزنطينيين القسطنطينية لكنه فشل في احتلالها غير انه نجح في التمدد في اجزاء من اوربا الشرقية . بعد وفاة اورخان ، تولى ابنه مراد الأول السلطنة فلم يلبث ان احتل مدينة انقرة ثم وجه اهتمامه نحو شبه جزيرة البلقان ففتح مدينة ادرنة سنة ١٣٦٢ م. فجعلها عاصمة للدولة العثمانية لتكون نقطة التمركز العسكري والسياسي للقفز على اوربا .

تواصلت الحروب بين العثمانيين واعدائهم ألأوروبيين وكادت احدى المعارك ان تؤدي بدولتهم الى الزوال لولا أن سلاطين أل عثمان لم يداخلهم اليأس والكلل فواصلوا بعناد أسيوي معاركهم ألحربية الى ان تمكن أحد سلاطينهم هو محمد بن مراد الثاني بعد عدة جولات من المعارك من اقتحام القسطنطينية وفتحها فحصل على لقب " الفاتح " . كان السلطان محمد قد حشد جيشا عظيما لقتال البيزنطينيين مزودا بالمدافع الثقيلة وبأسطول حربي ضخم وحاصر القسطنطينية لمدة ٥٣ يوما ونتيجة لقصف المدافع ، تهدمت اجزاء كثيرة من اسوارها فدخلها الجيش العثماني واشتبك مع البيزنطينيين بحرب شوارع راح ضحيتها أمبراطور القسطنطينية نفسه وكثيرون من جنوده وكانت نهاية تلك الحرب هي القضاء على جيوب المقاومة البيزنطية وزوال المملكة البيزنطية . بعد سقوط القسطنطينية في ٢١ جمادي الاول سنة ٨٥٧ هجري الموافق في ٥ نيسان من العام ١٤٥٣ ميلادي فبدل اسمها الى " أسلامبول " وأتخذها عاصمة للسلطنة بدلا من ادرنة . وأهم ما قام به بعد سيطرته على هذه ألمدينة هو أعطاء مواطنيها ألمسيحيين الأمان وحرية ممارسة شعائرهم الدينية فأصبح سكان هذه المدينة مع الوقت خليطا من ديانات واعراق متنوعة .

واصل السلطان محمد الفاتح توسعه في اوربا خلال السنوات اللاحقة فأستولى على بلاد الصرب و البانيا وهزم البندقية ووحد الأناضول ثم اراد احتلال ايطاليا لكن فاجئته الوفاة في العام ١٤٨١ فكف العثمانيون عندذاك من التمدد اكثر في الجبهة الغربية بعد ان وصلت الأمبراطورية العثمانية ألى اقصى اتساع لها كما توضحه الخارطة ٨ .

بعد وفاة محمد الفاتح ، تمكن ابنه بايزيد من تولى السلطنة ومع انه كان يفضل مجالسة العلماء والأدباء الا انه واصل أيضا حروبه مع ملوك اوربا . شهد عهد بايزيد سقوط غرناطة التي كانت اخر معقل للعرب المسلمين في الأندلس فأرسل السفن لأخراجهم ونقلهم الى مدن آمنة كما شهد عهده ظهور سلالة حاكمة شيعية في ايران هي السلالة الصفوية التي اخذت بزعامة الشاه اسماعيل بن حيدر تشكل خطرا على الأمبراطورية

العثمانية في المناطق الشرقية . كان هذا الظهور بداية لصراع يحمل طابعا مذهبيا بين الدولتين لكن اصل النزاع هو سياسي توسعي للأستحواذ على المنطقة العربية لما لها من اهمية في التجارة و السياسة بين الشرق والغرب . حصل في اواخر عهد بايزيد نزاع بين ولديه احمد وسليم على ولاية العهد وكان موقف الوالد هو انحيازه لأحمد واختياره وليا للعهد مما أثارغضب سليم الذي راى ان كل من والده وأخيه متهاونان امام الخطر الصفوي التوسعي وازداد هذا الغضب عندماعلم ان الشاه الصفوي يدعم ولاية اخيه احمد للوصول الى سدة الحكم فثار على كل من والده وأخيه فاستولى على ادرنة العاصمة القديمة للعثمانيين . كان رد فعل السلطان بايزيد على ما فعله سليم هو ألقيام بحملة عسكرية ضد ولده كانت نتيجتها ألأمساك بسليم ومعاقبته بالنفي لكن جنود الأنكشارية وقفوا الى جانب سليم فضغطوا على السلطان وارغموه على التنازل عن العرش وتسليم الحكم لسليم . ما ان استلم سليم الحكم حتى سارع الى تثبيت اقدامه فيه وبعد ان تم له ذلك ، اتجه الى تهدأة حالة التوتر بين الدولة العثمانية وأعدائها التقليديين ألأوربيين لكي يتفرغ لمواجهة خطر ازمة قد تتعرض لها الدولة العثمانية من قبل الدولة الصفوية . ولقطع دابر اي تخلخل داخلي محتمل أعتادت الدولة الصفوية على تأجيجه قد يعيق مشروعه السياسي في تطوير مفاصل الدولة وألأستعداد للوقوف أمامها فقد أقدم

خارطة رقم (٧)
أقصى أتساع للامبراطورية العثمانية

على قتل أخوته و أولادهم ليقضي على اي أحتمال في حلول نزاع محتمل مع أي واحد منهم قد يؤدي ألى حدوث لحدوث ذلك التخلخل . حول السلطان سليم انتباهه الى الجبهة الشرقية لمواجهة الصفويين في بلاد فارس والمماليك الذين يحكمون بعض الأقاليم العربية وكان يهدف من هذا التوجه هو السيطرة على طرق

التجارة بين الشرق والغرب وتوحيد الأقطار الأسلامية لمواجهة تحالف البرتغاليين مع الفرس الصفويين الذين اقاموا المستعمرات على امتددا سواحل الخليج العربي لأحكام سيطرتهم على حركة التجارة العالمية . تأهب السلطان سليم وقام بأعداد ألجيش لمحاربة الشاه الصفوي فسار به الى بلاد فارس لمقاتلة جيش الفرس فدارت معركة طاحنة بينهما كانت نهايتها أنتصار العثمانيين وفرار الشاه اسماعيل محافظا على حياته في حين ولصل السلطان سليم تقدمه نحو عاصمة الدولة الصفوية تبريز فاستولى عليها ثم رجع عائدآ الى القسطنطينية . بعد ان حقق سليم هدفه الأول ، سار بجيشه لتحقيق هدفه الثاني في ازاحة السلطنات المملوكية التي تحكم الأقاليم العربية وبعد عدة معارك متواصلة بين العثمانيين و المماليك تمكن العثمانيون من القضاء على الحكم المملوكي في الشام ثم تابعوا زحفهم نحو مصر فدخلوا القاهرة فاتحين وهناك ، تنازل آخر خليفة عباسي هو محمد الثالث المتوكل على الله عن الخلافة للسلطان سليم ألأول ومنذ ذلك الحين اصبح كل سلطان عثماني لاحق يحمل لقب خليفة للمسلمين . بعد وفاة سليم ألأول ، تربع على عرش ألسلطنة أبنه سليمان ألملقب بألقانوني ولما وجد ألأوضاع مستقرة في ألشرق ، التفت الى ناحية اوربا ليكمل الفتوحات التي كان اسلافه من السلاطين قد بدأوها من قبل فعمد على احتلال بلغراد الصربية وأستولى على جزيرة رودوس وضم ألى دولته الجزء الجنوبي وألأوسط من اراضي المجر . وعندما اختلف مع فرديناند ملك النمسا قاتله بجيش عظيم لم يصمد في وجهه فهرب ألى العاصمة فينا فتعقبه الى هناك لكنه لم يتمكن من فتحها بسبب نفاذ الذخيرة والمؤن فعاد ادراجه الى القسطنطينية . عاود الكرة فحاصر فينا لكنه لم ينجح أيضا في فتحها فأضطر الى عقد صلح مع فرديناند لكي يتمكن من مواجهة المشاكل ألتي بدأت تظهر في الشرق على أثر توترالعلاقات بينه وبين طهمانسب بن اسماعيل الصفوي مؤسس ألسلالة ألصفوية ألحاكمة للفرس .

كانت مدينة بغداد ألأثيرة لدى ألعرب وألمسلمين في ذلك ألوقت تحت ألأحتلال ألصفوي منذ عهد والده أسماعيل وكان وجهاء وعلماء بغداد يرسلون ألرسائل الى سليمان ينادون بها ألخليفة سليمان لتحريرها وتخليصهم من ألأحتلال ألصفوي ألجاثم على صدور ألعراقيين . ألذي حصل هو أن عامل طهمانسب في بغداد أبدى ميلا الى ألعثمانيين **بسبب رفض الشعب في بغداد لسياسة التطرف المذهبي التي انتهجها الصفويون ازائهم** فكانت فرصة سانحة لسليمان ألقانوني للأنقضاض على بلاد فارس . سار على رأس جيش عظيم نحو بلاد فارس فاحتل تبريز عاصمة الفرس كما فعل والده من قبل ثم اتجه الى بغداد فاستولى عليها ودخلها بأبهة المحررين . واصل هذا ألسلطان عمليلته ألعسكرية فتمكن من ضم اجزاء كبيرة من أراضي المغرب العربي : ألجزائر ، تونس وطرابلس الغرب الى الدولة العثمانية . وتواصلت المعارك البحرية بين العثمانيين و الأوربيين الى ان توفى هذا السلطان ألأستثنائي في ٥ ايلول من العام ١٥٦٦ ميلادي الموافق ٢٠

صفر من العام ٩٧٤ هجري بعد أن عاشت الدولة العثمانية عصرها الذهبي ألذي بلغ ألذروة في سياسة التوسع والتطور في الثقافة والعمران التي لم يصل منه ألى ألأقاليم العربية ألا القليل .

اتخذت ألأمبراطورية العثمانية في كافة الحقب التي مرت بها اسلوب تقسيم ادارات مناطق الدولة بشكل مختلف عن ما كان عليه في الأمبراطوريات العربية الأسلامية السابقة ففي زمن الخلافة الراشدية او الأموية او العباسية كان التقسيم على اساس الأقاليم وعلى رأس كل اقليم والي يتبعه عدد من الولاة يحدده حجم الأقليم بينما اتبع العثمانيون تقسيم مناطق الدولة الى ولايات تسمى " سناجق " والسبب في ذلك لربما يعود الى تعزيز مركزية السلطة فالعراق مثلا جرى تقسيمه الى ثلاث ولايات فقط هي : بغداد ، الموصل والبصرة ولربما الى اربعة اذا اضيفت اليها ولاية شهرزور في بعض الأحيان وهي احدى مناطق كردستان العراق وقد اتبع نفس النهج في بلاد الشام وبلاد وادي النيل وفي اراضي المغرب العربي .

كانت حقبة سليمان القانوني معاصرة لما سمي بالنهضة الأوربية التي بدأت من القرن الرابع عشر وحتى القرن السابع عشر تقريبا وقد شملت هذه النهضة بدرجات متفاوتة كافة البلدان الاوربية ما عدى ألبلدان ألأسلامية . منذ سقوط المملكة البيزنطينية على يد ألعثمانيين ، حصلت موجات نزوح للمثقفين وللعلماء اليونانيين من تلك المملكة الغائبة مستصحبين معهم الى اوربا المخطوطات اليونانية القديمة وكان الكثير من علماء ألقرون ألوسطى يركزون على الأدب والنصوص التاريخية بينما اختلف هذا الاتجاه عن اتجاه علماء عصر النهضة الذين ركزوا على دراسة الجهود اليونانية والعربية في العلوم الطبيعية والفلسفة والرياضيات . لقد ابدت الكنيسة المسيحية تبنيها للأتجاه الأول فأحتضنته وشجعته في حين هي ، ان لم تتسامح مع ألأتجاه الثاني ، فهي اتخذت موقف اللامبالات منه فاستطاع ذلك ألأتجاه ان يأخذ دوره في التطور والتقدم . ان حادث موقف الكنيسة من اعمال غاليلو في ملاحقته وتقيدمه للمحاكم الدينية المماثلة لمحاكم التفتيش الأسبانية لكي يكف عن اعماله التي تؤكد كروية ألأرض وينعزل في بيته ثم ليموت كمدا في اليوم ٨ من شهر كانون الثاني من العام ١٦٤٢ ميلادي خير دليل للموقف الكنسي المعادي لأخذ تلك ألنهضة آفاقها ألبعيدة .

أن الهزة السياسية التاريخية التي احدثها العرب المسلمون في قضائهم على الأمبراطورية الرومانية وافشال المشروع الصليبي ثم اسقاط العثمانيين للملكة البيزنطية ، جعل الكنائس المسيحية المتحالفة مع الأقطاع وعلى احتلاف اتجاهاتها ، في ما بعد هذه الحقبة اكثر تسامحا مع الأفكار التنويرية التي فتحت الباب امام تقدم النهضة الأوربية . ان ألأعتذارت المتكررة والمتأخرة للسلطات ألكنسية على ما الحقته بغاليلو من اضطهاد هو شكل من اشكال هذا التسامح الذي يعكس حصول تغيرات اجتماعية واقتصادية ضاغطة ناتجة عن تقدم العلوم والثقافة في تلك المجتمعات . لم يحصل مثل هذا ألتغيير ألأجتماعي في الأمبراطورية العثمانية الشاسعة فظلت متشبثة بنهجها العسكري ألأستحواذي فقط مما أدى الى أصابة المستوى العلمي والتقني

بالجمود والتراجع . فبعد ان كانت تنتج المستلزمات العسكرية كالمدافع ، اخذت تستوردها من بعض الدول الاوربية لتواصل حروبها ولم يصل الامر عند هذا الحد بل وصل الامر بعد عهد السلطان سليمان الى تراجع واضح في مرافق التعليم والصحة . كان ألتدهور ألأقتصادي وهبوط ألمستوى ألمعيشي للمواطنين أكثر وبالا على مواطني الاقاليم البعيدة للدولة ألعثمانية خاصة أقاليم ألمنطقة العربية منها ألتي أصبحت في حالة من ألضعف بحيث انها لم تعد قادرة لوحدها على مواجهة الحقبة الاستعمارية التي اعقبت انهيار الدولة العربية في الاندلس . أخذ ما يسمى الان بالأستعمار القديم يقضم اقليم المغرب العربي شيئا فشيئا من مراكش الى تونس دون ان تتمكن الدولة العثمانية من حمايتها .

بعد ان أنقضى عهد سليمان ألقانوني ، تسلم ألخلافة أبنه سليمان ألثاني فكان هذا ألخليفة مهملا في متابعة أمور ألدولة ، ميالا للهو والشراب فشاعت في عهده حالات ألضعف وألتفسخ ولولا قوة ألصدر ألأعظم وحزم من خلال موقعه كألشخص ألثاني في ألدولة بعد ألسلطان لأنهارت ألدولة ألعثمانية منذ ذلك الوقت . مع كل هذا ألتدهور ، أستمرت الدولة العثمانية في نزاعاتها وحروبها مع الدول الغربية هجوما او دفاعا خلال منافستهم على المناطق والدول دون ان تلتفت الى تخلفها ألعلمي وألتقني عن تلك الدول وقد أستمرت هذه ألمرحلة من ألعام ١٦٨٣ الى ألعام ١٨٢٧ وهي نفس فترة صعود قوة الدول الاوربية كبريطانيا وفرنسا وأسبانيا ألتي تمكنت خلالها من أحتلال أراضي واسعة لشعوب أسيا وأفريقيا فحل ما سمي فيما بعد بألحقبة ألأستعمارية ألتقليدية .

لم تشهد أحوال سكان ألأقاليم ألعربية تحسننا في ظل الحكم العثماني حتى عندما كانت الدولة في اكثر عهودها ثراءا وقوة فكيف ستكون احوالها في عهود انحطاط تلك الدولة ؟ بسبب تلك الأوضاع السيئة تضائل عدد سكان العراق ألمشهور بثرواته ألزراعية وألطبيعية ليصل عدد سكانه في العام ١٨٧٠ الى ١٢٨٠٠٠٠ على حد ما ذكره بعض ألمؤرخين اي انه لا يعادل الا جزءا صغير جدا من عدد سكانه في عهد هارون الرشيد الذي يقدر المؤرخون تعداد سكانه بأكثر من عشرين مليون شخص . لم تتحسن احوال العراقيين مثلا الا بعد ان تراخت اليد العثمانية بفعل الضغوط الاوربية والضغوط الداخلية في الاراضي التي لا يقطنها الاتراك ولجوء الدولة الى اتخاذ بعض الأصلاحات القانونية والدستورية فازداد عدد سكان العراق في بدايات القرن العشرين ليصل الى مليوني نسمة فقط وينطبق هذا ألحال على سكان ألأقاليم ألعربية ألأخرى .

في هذه الفترة من عمر الدولة العثمانية ، شعر بعض السلاطين بالهوة التي تفصل دولتهم عن الدول الغربية كالسلطان احمد الثالث الذي حاول الأنفتاح على الغرب وألأقتباس منه بعد ان اخذت الحضارة الغربية الحديثة تتسرب الى جسم الدولة العثمانية مما ادى الى ظهور عدد متزايد من المثقفين العلمانيين في المجتمع الأسلامي . حاول سلطان عثماني اخر هو سليم ألثالث ألذي تم في عهده سقوط ألأندلس ، ألقيام بأصلاحات

أكثر جدية شملت ألأدارة وألأقتصاد وألثقافة لكن هذه ألمحاولات جائت متأخرة بعد أن أصبحت ألقوى ألدينية ألمحافظة في ألدولة تمتلك ألقوة ليس لمحاربة ألأصلاحات فحسب بل لعزل صاحبها وقتله فيما بعد .

استمر الصراع خلال هذه المراحل على المصالح بين الدول الغربية والدولة العثمانية التي ازدادت ضعفا مما جعل الاوربيون يسمونها بـ " الرجل المريض " . تهيأت القوى الغربية على رأسها الدولتان ألأستعماريتان بريطانيا وفرنسا للأنقضاض على تلك الدولة وتقاسم اراضيها وعلى راس هذه الأراضي هي ألأراضي المتبقية من الأقاليم العربية وهي اقليم بلاد ما بين النهرين ، اقليم البلاد الشامية وأقليم الجزبرة العربية التي تشكل اهمية جيوسياسية و ستراتيجة لمصالحهما بعد أن أحتلت بريطانيا الأقليم المصري وفرنسا أقليم ألمغرب ألعرب عدا ليبيا ألتي كانت من نصيب أيطاليا وبذلك سيكتمل احتلال كافة اقاليم ألمنطقة العربية غصبا عن الدولة العثمانية .

في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين وعلى ألأخص ، في السنوات بين ١٩٠٨ و ١٩٢٢ وصلت الدولة العثمانية الى نقطة ألأنحلال و التلاشي التدريجي . تصاعدت في عهد السلطان عبد الحميد مطالب القوى التنويرية المتاثرة بالقيم الغربية ألتغيير لكن السلطان حاول مجابهة تلك المطالبات بتشديد قبضته على السلطة فلجأ الى تعطيل دستور ١٨٧٦ وحل ألبرلمان وحصر السلطة بشخصه . لم تؤدي مثل هذا ألأجراءات الى نتيجة بعد أن تمكنت منظمة سياسية هي " جمعية الأتحاد والترقي " ورديفتها " حركة تركيا الفتاة " ألسريتان اللذان يلف صعود قوتهما ونفوذهما السريع الشكوك في حقيقة توجهاتهما وارتباطهما بالقوى الغربية الخارجية ، من أجبار السلطان عبد الحميد قبل أنفجار الحرب العالمية ألأولى على اتخاذ تعديلات دستورية تسمح بأجراء انتخابات نيابية وعندما جرت ألأنتخابات كانت النتائج لصالح هاتين ألمنظمتين مما سمح لهما بالسيطرة على مجلس النواب .

قبل بداية الحرب العالمية ألأولى ، اقدم ألأتحاديون في العام ١٩٠٩ على عزل السلطان عبد الحميد وتحديد أقامته في قصره وتنصيب سلطان ضعيف بديلا عنه يسيرونه وفق ما يريدون . في ظل سيطرة الأتحادين على الحكم و مع بدء ظهور سياستهم الشوفينية الطورانية ، ازدادت النزعات القومية لدى الشعوب الغير تركية ومنها الشعب العربي فعقد الوطنيون العرب مؤتمرا لهم في باريس وطالبوا بالحكم الذاتي للأقاليم العربية لكن هذا الطلب تلاشى مع ظهور بوادر الحرب العالمية الأولى . لقد قيل أن تلك ألحرب قد أندلعت بسبب أغتيال ولي عهد ألنمسا فيردناند في ألعام ١٩١٤ بينما ألسبب ألحقيقي هو ألتنافس بين ألدول ألأستعمارية ألكبرى على ألسيطرة على مناطق ألشعوب ونهب ثرواتها . أندلعت هذه ألحرب بين تحالف فريقين دوليين ، فريق مكون من تحالف عثماني ألماني وفريق مكون من تحالف بريطاني فرتسي روسي . كانت نتيجة تلك الحرب هزيمة دول المحور الألماني العثماني وتكبيد المانيا وتركيا خسلئر سياسية واقتصادية

فادحة أضافة ألى ما دفعته ألشعوب ألأخرى من ثمن باهظ فيها . كان من الممكن تقليل تلك الخسائر لو أن بريطانيا وفرنسا اتخذا نفس اوقريب من موقف الحكومة البلشفية التي تشكلت بعد انتصار ألثورة وأزاحة النظام القيصري لكن نوايا بريطانيا وفرنسا كانت شيئا أخر . على ألعكس ، تعاملت تلك ألدول خأصة بريطانيا وفرنسا مع ألوضع ألجديد في روسيا بشكل عدائي فواصلت هاتان ألدولتان ألحرب حتى أنتهت بخسارة ألمانيا وألدولة ألعثمانية فدفعتا ثمنا باهضا لخسارتهما فيها تمثلت بزوال ألدولة ألعثمانية وسلب ممتلكاتها وتكبيل أيدي ألألمان بقيود مذلة ثقيلة شكلت سببا فيما بعد لصعود هتلر ألذي كان جنديا في ألجيش ألألماني . من ألناحية ألثانية ، عمت تركيا وما تبقى من ألأراضي ألتابعة لها فوضى عارمة ظهر من ركام تلك ألفوضى ضابط تركي مغمور تكتنف حياته ألغموض وألشبهات أسمه كمال أتاتورك على سطح ألأحداث فخاض حروبا داخلية عديدة توجه بعدها الى توسيع مساحة سيطرته على أراضي تابعة لشعوب أخرى منها ألأرمن ،ألأكراد وألعرب ليتمكن في ألنهاية من أقامة دولة تركية قومية حديثة مرتبطة بألغرب ألأستعماري .

ظل جرح ألأرمن غائرا من ألذي فعله أتاتورك فيهم من مأسي فاقت كثيرا من ألمآسي ألتي مر بها ألعرب وألأكراد فقد أستقطع أتاتورك من أراضيهم ما يساوي تقريبا أرض دولة أرمينيا ألحالية التي كانت زمن ألسوفيات ترفع علما فيه صورة جبل أرارات . في كل ألأحوال ومهما كان كمال أتاتورك فهو قد أصبح في عيون الجيل ألجديد من ألأتراك بطلا قوميا ليس له منازع خاصة بعد أن تمكن أتاتورك بقوته ألذاتية أو بالتواطىء مع قوى ألتحكم ألدولي من ألتمدد خارج حدود تركيا ألطبيعية فظم أراضي واسعة تعود لكل من ألأكراد وألعرب كان أخرها لواء ألأسكندرونة ألى أن توفى في ألأعام ١٩٣٨ .

كانت نتائج هذه الحرب كارثية على الشعوب الضعيفة والفقيرة ومنها شعب المنطقة العربية فقد جرى أستكمال أحتلال ألمنطقة بأعتبارهاغنيمة من غنائم ألحرب فجرى تقسيمها الى عدة دويلات ومحميات وفقا للخطط التي تظمنتها أتفاقية سايكس – بيكو السرية التي ابرمت بين بريطانيا وفرنسا اثناء الحرب . أنفضح سر هذه ألخطط بعد نجاح ألثورة ألبلشفية ألتي قررت سلطاتها ألوفاء بتحقيق وعودها للشعوب في نشر ألوثائق ألسرية لوزارة ألخارجية ألقيصرية وكان من بين هذه ألوثائق وثيقة معاهدة سايكس بيكو ألمشؤمة . وعندماوصلت هذه ألوثيقة الى ألشريف حسين " قائد ألثورة ألعربية " قام بأستدعاء لورنس ضابط ألأرتباط بين قيادة ألثوار ألعرب ومركز ألمخابرات ألأبريطانية في ألقاهرة للأطلاع عليها . كل ما فعله لورنس بعد أن قدم ألشريف حسين ألوثيقة له هو أن وعده بألذهاب الى المكتب البريطاني في القاهرة للأستفسار عنها . ألأن ألقول عن ألذي يخص هذه ألوثيقة يعود للورنس في كتابه " اعمدة الحكمة السبع " فيقول ان مكتب الأستخبارت لم ينكر صحة الوثيقة لكن عليه أن يسلم ألشريف حسين وثيقة تقوم ألأستخبارات ألبريطانية بتزويرها تتظمن تأكيدا بأن بريطانيا على ألتزامها بوعودها مع ألشريف وبأن ألوثيقة ألتي أطلع عليها هي

مزورة قام ألبلاشفة بتزويرها (٧) . شكلت هذه ألحادثة صدمة عميقة وتعذيب ضمير للورنس لم يتخلص منها طوال حياته التي انتهت بمقتله بحادث اصطدام دراجته بسيارة دارت حوله شبهات بتورط المخابرات البريطانية فيه وهو حادث مشابه لحادث مقتل ملك العراق غازي ومقتل ألأميرة دايانا الزوجة السابقة لولي عهد المملكة المتحدة ألأمير ألبرت .

الفصل الثامن

ألحروب ألكولنيالية ألحديثة في ألقرن ألعشرين

ما أن هدأت ألنزاعات وألصراعات ألداخلية بين ألدول ألرأسملية ألأوربية نسبيا حتى ألتفتت هذه ألدول بعد مرورها بعصر ألنهضة الى تقوية قدراتها ألذاتية في ألمجالات ألصناعية ، ألعسكرية وألفكرية فهيأت بذلك ألضروف ألموضوعية للأنتقال الى مرحلة تأريخية جديدة هي ألمرحلة ألأستعمارية ألكولونيالية .

بعد أن نجحت ألمسيحية ألعنصرية ألمتشددة من أسقاط حكم ألعرب في ألأندلس وطردهم منها في ألعام ١٤٩١ وأقامة مملكة أسبانيا ، بدأت حملات أستكشاف واسعة قام بها رجل أستثنائي هو كولمبوس ألذي كان أول رجل تطأ أقدامه ألقارة ألأمريكية ثم جاء بعده كريستوفر كولومبوس ألبرتغالي ألذي أكتشف طريق رأس ألرجاء ألصالح ألبحري ألمؤدي ألى ألهند . شجعت هذه ألأستكشافت مملكة أسبانيا للقيام بأول غزو أستعماري للقارة ألأمريكية خاصة ألجنوبية منها في ألعام ١٤٩٢ ليصبح هذا ألغزو فيما بعد فاتحة دخول تنافس حاد بين ألدول ألأوربية ألقوية للسيطرة وألأستحواذ لثروات شعوب تلك المنطقة . ومنذ ألعام ١٦٠٠ بدأت عدة دول أوربية منها بريطانيا ، فرنسا ، هولندا وبلجيكا بألتنافس على غزو وأستعمار أراضي أفريقيا وأسيا ألذي أستمر أكثر من قرن من ألزمن .

كان للمملكة ألأنكليزية بوقت مبكر عدة محطات تجارية منتشرة في بقاع ألعالم ومنها تلك ألتي أقامتهاعلى سواحل جنوب فارة أفريقيا وألمنطقة ألعربية وألهندية . تمكنت هذه ألمملكة في ألعام ١٧٠٧ من ظم أسكتلاندا ، ويلز وايرلندا اليها في أتحاد فيدرالي فظهر أسم جديد للدولة هو " ألمملكة ألمتحدة " United Kingdom . أخذت هذه ألمملكة منذ ذلك ألوقت تعد ألعدة لغزو بقاع ألعالم ألى أن أصبحت بريطانيا في عهد ألملكة فكتوريا على رأس ألقوى ألعالمية ألتي " لا تغيب عنا ألشمس " . كان نصيب بريطانيا في عمليلتها ألأستعمارية كامل أراضي شرق ألقارة ألأسيوية وعلى رأسها أراضي ألهند " درة ألتاج ألبريطاني " ثم سيطرت ، بعد طرد ألبرتغاليين ، على كامل أراضي ساحل ألخليج ألعربي حتى حدود ألبصرة . وخدمة لمشاريعها ألأستعمارية ، قامت بمشاركة فرنسا في حفر قناة ألسويس لربط ألبحر ألأبيض بألبحر ألأحمر لتصبح ممرا بحريا حيويا لسفنهما ألتجارية والحربية ألمتجهة ألى ألقارتين ألأسيوية وألأفريقية بدلا من دورانها ألطويل وألمكلف حول أفريقيا متبعة طريق ألرجاء ألصالح .

منذ ما قبل فتح قناة ألسويس ومنذ عام ١٨٣٩ كان جنوب أليمن خاضعا للأحتلال ألبريطاني طمعا بساحله التي تمر سفن البريطانيين بقربه فأتخذوا من ميناء عدن مكانا لصيانة سفنهم وراحة طواقمها وأزدادت ألأهمية ألستراتيجية لهذا ألميناء بعد فتح قناة ألسويس فظلوا متشبثين فيه ألى أن تم طردهم بألقوة في حرب مقاومة شعبية مسلحة بطولية لليمنيين في ستينيات ألقرن ألعشرين . أستمر ألجشع ألأستعماري لكل من يريطانيا

وفرنسا فأقدمت ألأولى على أحتلال مصر عام ١٨٨٢ بموافقة ألخائن خديوي مصر على أثر فشل ثورة عرابي في صد ألغزاة ثم أقدمت ألثانية على غزو ألمغرب ألعربي فأحتلت أراضي شاسعة منه وصلت حدودحا ألى ليبيا تاركة أياها لأيطاليا . كل هذا حصل أمام عيون ألأتراك عندما كانت هذه ألأراضي ألعربية في ذلك ألوقت جزءا من أراضي ألدولة ألعثمانية وواقعة تحت حمايتها ، صحيح حصلت هناك بعض محاولات تركية لحماية تلك ألأراضي لكن ألهزيمة كانت وأضحة في ظل ألتدهور ألسريع وألمريع في ألأوضاع ألداخلية للدولة .

أستمر تدهور أوصاع ألدولة ألتركية لتصل ألى أضعف حالاتها في نهايات ألقرن ألتاسع عشرومطلع ألقرن ألعشرين فجرت تسميتها من قبل ألأوربيين " بألرجل ألمريض " ، تمكن خلالها ألبريطانيون من فصل قضاء ألكويت ألتابع لولاية ألبصرة وظمه ألى محمياتهم ألموزعة على طول ألساحل ألغربي للخليج ألعربي .

ألصراع بين قوى ألدول ألأوربية على ألمغانم والسيطرة على ألأسواق ، قادت تلك ألدول ألى أخضاع شعوب أوربية عديدة في أوربا خاصة في مناطق ألبلقان ألواقعة تحت نفوذ ألقوى ألأوربية مما أدى ألى ظهور حركات قومية متشددة فيها . أدى هذا ألتنافس ألى حصول وضع أوربي أكثر تعقيدا من ألسابق بعد أن أقدم شاب قومي صربي متشدد على أغتيال ولي عهد ألنمسا . أتخذ هذا ألحادث ذريعة لقيام حرب محدودة أولا ثم تطورت لتتحول ألى حرب أستعمارية عالمية طاحنة ذهبَ ضحيتها ألملاين من ألبشر وألكثير من ألدمار . تشكل في هذه ألحرب محوران أحدهما مكون من ألمانيا وتركيا وألأخر مكون من ثلاث دول على رأسها بريطانيا ، فرنسا وروسيا ألفيصرية .

بسبب هذه ألحرب وبسبب ألأوضاع ألأجتماعية ألمتردية للشعب الروسي تصاعد ألسخط ألشعبي في كل أنحاء روسيا ، تمكن ألبلاشفة وهم يستذكرون دروس أنتفاضة ١٩٠٥ من أستغلال هذا ألسخط لينجحوا في أسقاط حكومة كيرنسكي والسيطرة على ألسلطة في تشرين ثاني / اكتوبر من ألعام ١٩١٧ والحرب ما زالت قائمة . وبما أن ألشيوعيين ألبلاشفة قد أتخذوا منذ ألبداية موقف ألمعارضة ألشديدة لهذه ألحرب بأعتبارها " حرب أستعمارية " لا مصلحة للشعوب فيها فقد أعلنوا أنسحابهم منها وأتجهوا للتفاوض مع ألألمان للحفاض على أقل قدر ممكن من أراضيهم ألواقعة تحت سيطرة ألجيش ألألماني .

على أثر توقف هذه الحرب في ألعام ١٩١٨ ، دعت ألدولتان ألمنتصرتان بريطانيا وفرنسا الى عقد مؤتمر دولي لبحث تعقيدات مرحلة ما بعد ألحرب وأيجاد وسيلة لعدم تكرار مثل تلك ألحرب ألتي وصل تعداد ضحاياها ألملاين من ألبشر . أعلنت ألدول ألمنتصرة على عقد هذا ألمؤتمر في ١٨ كانون ثاني / يناير في باريس عام ١٩١٩ لبحث تفادي وقوع مثل هذه ألحرب ألمكلفة بشريا في المستقبل وحل ألنزاعات ألتي تحصل بين ألشعوب وألدول بألطرق ألسلمية تحت أسم زائف هو " مؤتر باريس للسلام " . تبين أن هذا

ألمؤتمر وهو في حقيقته مؤتمر لتقاسم أراضي ألشعوب ونهب ثرواتها فقد تقرر تقسيم أملاك ألدولة ألعثمانية ومستعمرات المانيا في ألخارج على ألأربعة ألدول ألكبرى على رأسها أمريكا ثم بريطانيا وفرنسا وأيطاليا وأخر ما توصلوا اليه للحفاض على ألسلام ألعالمي تشكيل منظمة دولية خادعة هي " عصبة ألأمم " . في نفس ألوقت ، تجاهلت ألدول ألمنتصرة في ألحرب ألجروح ألعميقة التي خلفتها عند ألدول ألمنهزمة خاصة عند ألدولة ألألمانية التي تحتل موقعا مركزيا في أوربا عندما حملتها تلك ألدول دفع تعويضات ألحرب أضافة ألى قيود أخرى مذلة فرضتها عليها . خلفت تلك ألعقوبات عند ألشعب ألألماني شعورا حادا بألأذلال مما شكل سببا رئيسيا لصعود هتلر ألى قمة ألسلطة في ألمانيا فيما بعد فأخذ يعد ألعدة لأعادة " الكرامة " للشعب ألألماني مما أدى ألى أندلاع ألحرب ألعالمية ألثانية ألأشد هولا ودمارا من ألحرب ألسابقة .

كانت نتائج كلتا ألحربين وخيمة ليس على شعوب اوربا فقط بل على شعوب ألكرة ألأرضية ، خاصة على شعب ألمنطقة ألعربية التي أخذت ألنصيب ألأكبر من ألنتائج ألكارثية لتلك ألحرب .

١- نتائج ألحرب ألعالمية ألأولى :

من ألنتائج ألمباشرة لهذه ألحرب هي ألضحايا من ألعسكريين وألمدنيين التي وصلت الى مقتل أكثر من ٩ ملاين عسكري وألى جرح أكثر من ٢٠ مليون عسكري ، اما ألمفقودين فقد وصل عددهم ألى ما يزيد عن أكثر من ٧ مليون شخص أضافة الى ما لحق من تدمير لمدن ألدول ألمتحاربة ومن ضنك وصعوبة مواطنيها في ألعيش . أما ألنتائج ألغير مباشرة وألبعيدة ألمدى فتتلخص بحصول تغيير هائل في ألخارطة ألسياسية للعالم وفقا لمصالح قوى ألهيمنة وألسيطرة ألعالمية جرى فيها تمزيق وتقسيم أراضي شغوب وتشكيل دول مختلفة ألألوان وألأتجاهات وهذا هو ما سيجري تناوله ألأن .

١,١- تغير ألخارطة ألسياسية لأوربا : ما أن وضعت ألحرب العالمية الأولى اوزارها حتى بادرت الدولتان المنتصرتان بريطانيا وفرنسا ألى تنظيم عقد سلسلة من المؤتمرات لمناقشة خطط تقسيم المغانم بينهما مما أدى ألى حصول تغير وجه اوربا من خلال رسم خارطتها السياسية ألجديدة . لقد ظهرت دول جديدةعلى تلك ألخارطة لأراضي شعوب كثيرة كانت اما تحت سيطرة ألأمبراطورية ألعثمانية أو تحت سيطرة أمبراطوريات أوربية أخرى فظهرت دول لبعض شعوب قلب أوربا وشرق أوربا ألتي تبنى أغلبها ألنظام ألملكي فتم رسم وتثبيت حدودها على ألخارطة ألأوربية . بعد تحويل أراضي ألبلقان من وسط وشرق أوربا ألى عدة دول قومية ، أستكانت هذه ألدول وأصبحت تابعة للقوى ألخارجية ألأستعمارية فساهمت في تحقيق مصالح تلك ألقوى . كما أن أهم حدث حصل في أوربا بسبب تلك ألحرب هو ظهور ألبلاشفة على سطح ألأحداث قبل سنة من أنتهاء تلك ألحرب . لقد نجح ألبلاشفة في شهر تشرين أول / اكتوبر من العام ١٩١٧ في أسقاط حكومة كيرنسكي ألمؤقتة بثورة ساهم فيها خليط جماهيري واسع من ألجنود والعمال وألفلاحين تقوده سوفيتية ألعمال

والفلاحين في ألعاصمة بطرسبورغ ألتي يرأسها تروتسكي ليتم بعدها أقامة ألأتحاد ألسوفياتي ألأشتراكي . وعلى خلاف ما كانت تفعلة ألدول ألأستعمارية ، باشر ألبلاشفة بوقت مبكر بتنفيذ شعار مهم من شعاراتهم ألتي رفعوها قبل تسلمهم ألسلطة وكان هذا الشعار هو منح ألشعوب ألتي كانت واقعة تحت سيطرة ألنظام ألقيصري "حرية تقريرألمصير " . أقدمت ألحكومة ألبلشفية على أصدار وثيقة تتضمن حق ألشعوب غير ألروسية في ألأنفصال وأقامة دولها ألوطنية وكلفت بنقل هذه ألوثيقة " مفوض شؤون ألقوميات " ستالين ألى قادة تلك ألشعوب . كان من بين تلك ألشعوب ألتي فضلت ألأستقلال هو شعبي أراضي فتلتدا وبولندا فذهب ستالين بنفسه لتسليم تلك ألوثيقة ألى قادة هذين ألشعبين ليحصل كل منهما على ألأستقلال وحقه في أقامة نظامهه ألوطني فظهرت على ألخارطة ألدولية دولتي فنلندا وبولندا ألحاليتين .

لقد لعب ألأتحاد ألسوفياتي ادوارا مهمة في ألسياسة ألدولية كانت بمجملها لصالح ألشعوب ألمظطهدة ألواقعة تحت ألأستعمار ألغربي ألأمبريالي رغم بعض ألأخطاء ألتي وقع بها ستالين ألذي أصبح بعد نهاية ألحرب ألعالمية ألزعيم ألمطلق لبلاد ألوسوفيات . أزعجت ألمواقف ألرئيسة ألثابتة للأتحاد ألسوفياتي ألقوى ألأستعمارية فناصبته ألعداء لحد ألتدخل ألفظ بأوضاعه ألداخلية فقدمت كل أنواع ألدعم وألمساعدة للجيش ألأبيض لأسقاط ألحكم ألسوفياتي وعندما أنتصر ألجيش ألأحمر وثبت حكم ألسوفيات ، لجأت تلك ألقوى ألى محاولة حصاره ومنعه من لعب أي دور في أوضاع أوربا ألا انها أضطرت في ألنهاية ألى ألأعتراف به فأخذوا يقيمون ألعلاقات ألدبلوماسية معه .

من ملامح تغيير ألخارطة ألسياسية في أوربا بعد هزيمة ألعثمانيين وألألمان في ألحرب ألعالمية ألأولى هو ظهور عدة دول في أراضي منطقة ألبلقان ألواقعة في وسط وشرق أوربا لتصبح هذه ألدول ألتي تبنت أغلبها نظام ألملكية تتلاعب بها قوى ألتحكم ألدولي كيفما تريد وقد أتضح هذا التلاعب خلال وبعد ألحرب ألعالمية ألثانية وأستمر لحد ألأن .

عندما نجحت ثورة اكتوبر في روسيا التي قادها البلاشفة ، بدأت الحكومة الثورية البلشفية بتنفيذ وعودها التي اعلنتها لشعوب روسيا وكان على رأس تلك الوعود هو ايقاف الحرب وتحقيق السلام فأعلنت رفضها لتلك ألحرب فسحبت قواتها ألعسكرية من كافة ألجبهات . لم تستمع ألقوى ألأستعمارية ألمتحاربة لندائات ألسلام ألسوفياتية فأصر دهاقنة ألأستعمار وقد أعمتهم روح ألجشع أولا وألخوف من أمتداد ألموجة ألشيوعية ثانيا على ألأستمرار في ألحرب غير عابئين بضحاياها ألبشرية ألهائلة . ومع أن روسيا السوفياتية واجهت حربا اهلية طاحنة كان فيها الطرف الموالي للنظام القيصري السابق مدعوما من قبل كافة الاطراف الدولية ألأوربية الخاسرة منها والرابحة ، تمكنت السلطة السوفيتية في النهاية من تثبيت اقدامها والقضاء على ذلك التمرد الواسع فكان ظهور دولة من نوع جديد هي من اهم مظاهر تغير وجه خارطة اوربا بعد تلك الحرب .

١,٢ – تغير الخارطة السياسية للمنطقة العربية :

كانت بوادر الهزيمة العسكرية للجيش العثماني تلوح في آخر سنة من ألحرب على كافة جبهات القتال مما شجع الملك حسين على أصدار أمر لولده فيصل كقائد لجيش الشمال العربي بالتوجه صوب دمشق لتحريرها . بدأت ألقوات ألعثمانية تنسحب أمام تقدم ألجيش ألعربي وكان فيصلا حريصا على أن تدخل قواته قلب دمشق قبل أن تصلها أية قوة أخرى فدخلها وهو على رأس ألجيش ألعربي في شهر أيلول من عام ١٩١٨ وسط ترحيب وأبتهاج شعبي كبير . أول ما قام به الأمير فيصل هو اعلان تشكيل اول حكومة عربية في سوريا وكلف الفريق علي رضا الركابي بتشكيل تلك الحكومة كما اتخذ عدة قرارات لتعيين بعض كوادر الثورة ألعربية لأدارة المناطق فعين شكري الايوبي حاكما عسكريا لبيروت ، جميل المدفعي حاكما لعمان وعلي جودت الايوبي حاكما لحلب . هناك شيء من الغرابة والغموض في تلك التعيينات لأنه من المعروف ان اقليم بلاد الشام لا يظم لبنان والاردن فقط بل فلسطين ايضا فلماذا سكت عن تعيين احدا عليها ؟ . الجواب على ألسؤال واضح هو أما سذاجة أو رضوخ مبكر كامل لما تقوم به بريطانيا التي أمرت أللمبي بدخول فلسطين من سيناء ثم أحتلال كامل ألساحل ألشامي ألممتد من غزة وحتى ألأسكندرون . المؤسف ان هذا الأندفاع قد انعكس على المزاج العام للقيادات وللجماهير العربية لتلك البلاد فاصبحت اكثر اندفاعا وثقة في تحقيق مطامح اقامة الدولة العربية الواحدة المستقلة في المشرق ألعربي دون ان ينبثق عن ذلك ألأندفاع أية بادرة من اي نوع لتحقيق تلك ألطموحات كما سيتبين فيما بعد .

سارع المؤتمر السوري العام بعقد سلسلة من المباحثات والنقاشات فأقدم في الثامن من اذار – مارس من العام ١٩٢٠ على اعلان استقلال سوريا دون فلسطين تحت اسم المملكة العربية السورية وتتويج الامير فيصل بن الحسين عليها وكان اخوه زيد بن الحسين اول من بايعه غير أن بريطانيا وفرنسا لم يعترفا بهذا الكيان . كان هذ الحدث بداية سلسلة طويلة لتنقيذ اتفاقية سايكس- بيكو الأستعمارية سيئة الصيت بحيث ان الشيخ الكبير الشريف حسين وهو الحجازي الأصل قد فقد ولايته للحجاز في العام ١٩٢٦ نهائيا فمات كمدأ بسبب ما وصلت اليه اوضاع عائلته واوضاع المنطقة .

بموجب اتفاقية سايكس – بيكو التقسيمية نزلت القوات الفرنسية الساحل اللبناني فقام قائد تلك القوات الجنرال غورو من هناك بتوجيه انذار الى الأمير فيصل في ١٤ تموز من عام ١٩٢٠ تضمن شروطا تؤدي كلها الى تصفية النظام الملكي الوطني بقيادة فيصل وانهاء استقلال سوريا كما تضمن تحذيرا بعدم مقاومة الجيوش الفرنسية الزاحفة نحو دمشق . النتيجة كما هو متوقع ان اذعن الملك وطاقمه السياسي لتهديدات

غورو ما عدا وزير الدفاع يوسف العظمة الذي اتخذ قرارا نهائيا بالمقاومة مهما كانت النتيجة فترك وصية يطالب بها رفاقه برعاية ابنته الوحيدة وذهب على رأس ما تبقى من الجيش الوطني ومن المتطوعيين الوطنيين وكان تعدادهم ثلاثين الف مقاتل لمواجهة زحف الجيوش الفرنسية المدججة بكل انواع ألأسلحة الحديثة من مدفعية ودبابات وطائرات في منطقة ليست بعيدة كثيرآ عن دمشق هي ميسلون . كان يوسف العظمة كعسكري محترف يدرك سلفا نتيجة معركة ميسلون غير انه اختار الموت مقاتلا من اجل وطنه على ان يحيا ذليلا تحت ظل ألأستعمار لبلاده فكان عظيما كأسمه فخلده التاريخ في صفحاته كما خلد " معركة ميسلون " حيث يتوسط تمثاله اليوم ساحة تقع في قلب عاصمة ألشام دمشق . بمقتل يوسف العظمة وانهزام جيشه ، دخلت الجيوش الفرنسية سوريا فأحتلت عاصمتها دمشق فاقدمت القوات الفرنسية المحتلة فورا على حل الدولة ونفت " الملك " فيصل الى الخارج بعد ثلاثة ايام من معركة ميسلون وكان ذلك في اليوم ٢٨ تموز من العام ١٩٢٠ . لم يرضخ ولم يهدأ ألشعب العربي السوري للأحتلال ألفرنسي ويسجل له القيام بعدة انتفاضات وثورات شعبية سلمية ومسلحة متتالية ضد المحتل الفرنسي .

أنطوت صفحة مؤلمة من صفحات حياة فيصل لتبدأ صفحة اكثر أيلاما من سابقتها وخير من يقدم وصفآ لأحداث تلك الصفحة هو رستم حيدر السكرتير الخاص لفيصل و القادم من لبنان ومن بعلبك تحديدا في يومياته التي حققها ونشرها الدبلوماسي والكاتب العراقي نجدة صفوت (٨) . كانت احداث تلك الصفحة كما يسردها رستم حيدر مليئة بالمهانة والأذلال لفيصل لدرجة ان رستم حيدر اقترح على الملك ان تعود قيادات الثورة العربية لمواصلة ألثورة المسلحة من جديد ضد الأستعماريين الجدد فكان رد فيصل هو رفض الاقتراح بذريعة عدم قدرة ألثورة على مواجهة ألقوة العسكرية للأنكليز والفرنسيين وفضل التحمل والأنتظار . وفي حين اقترحت بريطانيا على أعضاء مؤتمر لوزان الذي أنعقد في ١ كانون الثاني من العام ١٩١٩ دعوة فيصل كممثل لوالده الحسين لحضور المؤتمر على اعتبار انه احد المساهمين بالحرب ضد المانيا والدولة العثمانية ، صمت فرنسا اذنيها وتجاهلت الأقتراح فلم يدخل فيصل قاعة المؤتمر وبقي منتظرا الى ان تمكن من دخول قاعة ألمؤتمر في يوم ٦ شبلط ١٩١٩ ليلقي كلمة توسلية لتحقيق وعود الحلفاء للعرب . في هذا المؤتمر ، دفع فيصل ثمنا غاليا من أجل الحصول على تاج ملكي تحت ألأنتداب ألأستعماري ألبريطاني فوقع اتفاقا مع مناحيم وايزمن رئيس المنظمة الصهيونية العالمية واول رئيس للدولة ألصهيونية بعد رفض انشتاين لهذا المنصب ، ينص على موافقة فيصل على " ان تتخذ جميع الأجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين على مدى واسع والحث عليها بأقصى ما يمكن من السرعة لأستقرار المهاجرين في الأرض العربية الفلسطينية " (٩) . في نفس تلك الفترة اقدمت بريطانياعلى نفي الشريف الحسين وتنصيب ولده زيد بدلا عنه ملكا على الحجاز ليتم طرده من قبل السعوديين لاحقا . انتاب ألأنكليز مشاعر عطف نادرة حول وضع الشيخ

الكبير الحسين فسمحوا له في اواخر ايامه بالذاهاب الى " امارة شرق الأردن " عندما كان ولده عبد الله اميرا عليها ليموت هناك كمدا وهو غير راض عن الذي انتهت اليها ألأمور وعلى موقف اولاده من مجريات ألأحداث التي مرت .

قبل هذا وذاك دخلت ألجيوش البريطانية ألعراق وأحتلت بغداد في العام ١٩١٧ ليقوم الجنرال مود قائد القوات البريطانية ألغازية بألقاء خطاب مخادع وجهه للعراقيين قال فيه ان البريطانيين قدموا الى العراق " محررين وليسوا فاتحين " وهي عبارة مطابقة لما قاله رئيس الولايات المتحدة بوش الأبن في كلمته التي اعلن فيها في العام ٢٠٠٣ بدء ألعمليات العسكرية من اجل " تحرير العراق " بعد اكثر من ثمانيين عاما من " التحرير " البريطاني السابق . فكر ألبريطانيون بأقامة دولة عراقية تحت الأنتداب برئاسة شخصية عراقية فأختاروا مرشحين لذلك المنصب هم عبد الرحمن الكيلاني ، أمير عربستان الشيخ خزعل واحد وجهاء البصرة السيد النقيب وما أن تلكأ مشروع البريطانيين لأسباب غامضة حتى فاجأتهم ملحمة ثورة العشرين ألخالدة التي اندلعت في مايس من ألعام ١٩٢٠ فأربكت مشروعهم العسكري والسياسي الأستعماري في ألعراق ألذي كان يتضمن أحتلالا طويل ألأمد للعراق .

رغم ان الثورة لم تعمر طويلا ألا انها كلفت ألبريطانيين ألكثير من ألأموال وألقتلى على رأسهم أهم قواد جيشهم ألضابط لجمان . لم تسفر هذه ألثورة على أجبار ألأنكليز للأنسحاب من ألعراق لكنها فرضت نتيجة أيجابية عليهم تمثلت بتخليهم عن وضع ألعراق تحت ألأنتداب فأعادوا ألتفكير في ألعثور على حل بديل هو منح ألعراقيين أستقلال وطني شكلي . لتحيق هذا الهدف ، قرر وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل بأن هناك حاجة الى تشكيل ادارة جديدة في العراق والمستعمرات الأخرى في الشرق الأوسط ودعى لعقد مؤتمر موسع بالقاهرة لمناقشة مسألة العراق ووضع حلول لمستقبله . كان الحل حاضرا ، ففيصل ابن الحسين المتطلع بلهفة لما يقدمه له الأنكليز بعد ان ازاحته القوات الفرنسية من عرشه في سوريا وطردته الى خارجها قد اصبح جاهزا بعد أنتظار دام خمس سنوات لقبول اقتراحهم بتسلم عرش دولة اسمها العراق التي لم يجر ترسيم حدودها السياسية لحد ذلك الوقت . على أثر ذلك ، قام الأنكليز بنقله على ظهر بارجة حربية بريطانية الى البصرة ومن هناك استقل القطار الى بغداد وقد استقبله الجمهور العراقي بترحاب ظاهر في كل المناطق التي توقف فيها .

تم تتويج فيصل ملكا على العراق في٢٣ اب ١٩٢١ فأصبح للعراق نظاما ملكيا دستوريا له مجلس للنواب وحكومة " وطنية " الا ان ألعراق لم يتخلص من الأنتداب البريطاني الا في العام ١٩٣٢ فحصل على عضوية " عصبة ألأمم " بعد موافقة حكومة ألعراق على عقد اتفاقية مذلة مع الحكومة ألبريطانية فأصبح العراق القطر العربي ألأول ألذي حصل على تلك ألعضوية غير انها لم تكن لتتم بدون الزام العراق بمعاهدة

تمنعه من تحقيق سيادة وطنية كاملة . وفي حين تخلص العراق رسميا من الانتداب ، ظلت سوريا ، بعد ان تم سلخ كل من الأردن ولبنان وفلسطين عنها تحت الأنتداب الفرنسي الى ما بعد الحرب العالمية الثانية رغم الأنتفاضات والثورات المتكررة للشعب العربي السوري .

قبل ان تبدأ عملية ترسيم الحدود السياسية لدولة العراق كانت الموصل تحت احتلال القوات الفرنسية بينما كانت ديرالزور الذي اصبح لواءأ (محافظة) تابعا للعراق و كان مولود مخلص وهو أحد ضباط ألثورة ألعربية متصرفا (محافظا) عليها (١٠) . اراد الأنكليز ظم لواء الموصل الى دولة العراق لكنهم عندما طالبوا الفرنسيين بها رفضوا وطلبوا مقايضة ألموصل بديرالزور فاقنضت مصالح الانكليز بسبب الأهمية الستراتيجية للموصل ان يتنازلوا عن كامل منطقة ديرالزور لحلفائهم الفرنسيين وبهذا تم فصل جزء تأريخي أخر من اراضي العراق الحديث بعد فصل قضاء ألكويت قبل وقوع ألحرب ومنح ألأحواز لبلاد فارس بعد ألحرب . لم تنته صورة الصفحة السوداء لتقسيم بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام فظلت مفتوحة لمزيد من التقسيم وفقا لمصالح الدولتين الأستعماريتين بريطانيا وفرنسا .

لم يكن الشيخ خزعل امير امارة عربستان معاديا للأنكليز بل كان صديقا حميما لهم لدرجة انه كان احد ثلاثة أشخاص رشحهم ألمحتلين ألبريطانيين لتسلم منصب رئاسة دولة العراق تحت ألأحتلال اما ألشخصان ألأخران فهما نقيب أشراف بغداد عبد ألرحمن ألكيلاني وطالب ألنقيب من ألبصرة . أضافة لذلك ، كان ألأنكليز هم من وقعوا مع ألشيخ خزعل كأمير لأمارة للأحواز العربية على أتفافية أستخراج ألنفط من عبادان لكنهم أنقلبوا عليه فيما بعد لأسباب تتعلق بتحقيق أهدافهم ألبعيدة ألمعدة للمنطقة . حدث هذا خلال ألفوضى ألتي أعقبت ألحرب عندما عثر ألأنكليز على ضابط أيراني مغمور هو رضا بهلوي لتنفيذ مخططاتهم ألتي تم أعدادها لأيران وألمنطقة . ظهر هذا ألرجل سريعا على مسرح ألأحداث في أيران لينفذ في ألنهاية أنقلابا على حكم ألأسرة ألقاجارية ألحاكمة ليصبح في نيسان عام ١٩٢٦ ألشاه ألجديد لأيران مدعيا بأنه من سلالة ألحكام ألساسانيين . شجع ألأستعمار ألبريطاني في فترة صعود هذا ألرجل وحرضوه للقيام بأحتلال ألأحواز في العام ١٩٢٥ وألقبض على ألأمير خزعل بعملية مخابراتية معقدة ليموت في سجنه بأيران بعد عدد من السنيين ويقال انه مات مسموما . كانت النتيجة هي فصل ألأحواز عن أراضي اقليمه ألطبيعي ألتأريخي – بلاد ما بين ألنهرين وألحاقه بمملكة ألفرس أسوة بأراضي الأقليم ألأخرى كألكويت وألأحساء ألتي تم فصلهما من ألعام ١٩١٠ وضمها الى ألمحميات ألخليجية ألبريطانية .

في ذروة ألنشاط ألأستعماري لبريطانيا ألعظمى ، احتل الجيش ألبريطاي مدينة عدن في يوم ١٩ من كانون الثاني عام ١٨٣٩ رغم انف العثمانيين فاتخذوها قاعدة عسكرية وتجارية لسفنهم التجارية والعسكرية المتجه الى الهند والعائدة الى اوربا لتصبح عدن من ألناحية الستراتيجية بعد أفتتاح قناة السويس في العام

١٨٦٩ من أهم موانىء ألبريطانيين في ألمنطقة . ألأهمية ألأضافية ألتي أكتسبتها عدن بعد حفر قناة ألسويس وتحولها الى ممر بحري هي ألأختصار ألهائل للمسافة ألتي كانت تقطعها سفنهم ألذاهبة وألقادمة من الهند لتصبح قناة ألسويس وباب ألمندب طريقا بحريا بديلا عن طريق الرجاء الصالح ذو ألكلفة الأقتصادية وألعسكرية ألعالية .

بعد طرد الانكليز للمحتلين البرتغاليين من سواحل الخليج العربي اصبحت لهم السيطرة الكاملة على اهم طريقيين بحريين دوليين في التجارة العالمية هما طريق الهند - الخليج الى البصرة وبغداد وطريق الهند – عدن – قناة السويس الى اوربا . تفوقت الكويت أو تساوت مع أهمية عدن في ألستراتيجية ألسياسية وألعسكرية وألأستخباراتية في بداية القرن ألعشرين بسبب وقوعها في اقصى شمال ساحل الخليج مما يحقق للأنكليز ثلاثة اهداف هامة في تلك ألستراتيجيات التي وضعوها للمنطقة العربية هي :

١ – محمية أألكويت أقرب مكان من حقول نفط أمارة عربستان التي أكتشفها وأستخرج نفطها ألأنكليز من أبار عبادان ألواقعة على فم ألخليج وفق أتفاق عقد بينهم وبين أمير عربستان شيخ خزعل .

٢ - وجود الكويت تحت سيطرتهم الدائمة يؤدي الى أضعاف قدرات العراق في المستقبل من خلال تقليص طول ساحله على الخليج بسبب تخوفهم من قيامه في العقود التي تعقب وفاة الرجل المريض العثماني بادوار محتملة تعرض مصالحهم في المنطقة الى الخطر فكان الهدف هو حرمان العراق من أي عامل من عوامل القوة قد يشكل خطرا على مصالحهم في المستقبل .

٣- أحتلت محمية الكويت موقعا مهما للأنكليز وهم يتهيؤون للأنقضاض على " الرجل المريض " فأتخذوا منها مركزا لمكتب استخبارات مهم يوازي مكتب أستخباراتهم في مصر فعمل هذان ألمكتبان على تنسيق عملهما في ألجانبين ألعسكري وألسياسي لتهيئة متطلبات الحرب العالمية الأولى ومتطلبات تنفيذ خططهم التي اعدوها للأقاليم ألثلاثة : ألعراق ، ألشام وألجزيرة ألعربية . على هذا ألنحو تم بعد نهاية الحرب على فصل اجزاء مهمة من اقليم بلاد الرافدين التي توضحها الخارطة التاريخية رقم ٨ وهي موضحة بألألوان : ألسهول باللون الاخضر وألهضاب باللون الأصفر وهي ممتدة جنوبا في عمق الساحل الغربي للخليج مرورا بالبحرين " دلمون" حتى تصل الى مضيق هرمز لتلامس حدود عمان الحالية وتمتد في عمق الساحل الشرقي ايضا حتى تصل منطقة لم ينجح المختصون في الجغرافيا والتاريخ في تحديدها لكنها على ألأكثر الى حدود بلوشستان مع ألهند أما حدود ألشمال ألشرقي فهي محاذية لسلسلة جبال زاكروس ألأيرانية وجبال كردستان وحدود شمالها ألغربي بمحاذاة جبال طوروس ألتركية .

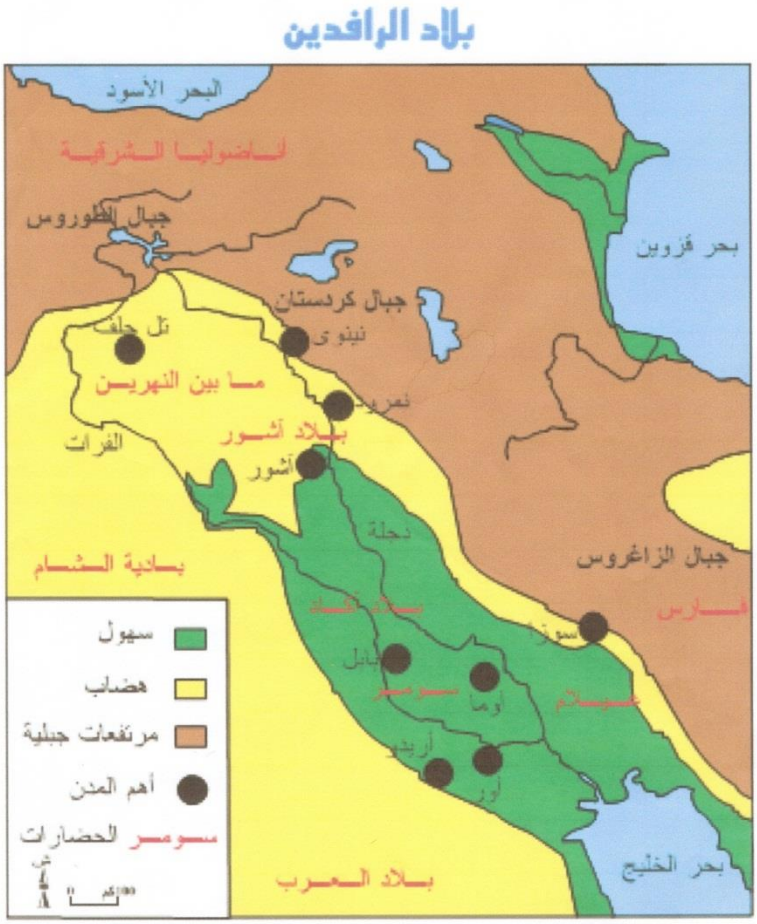

خارطة رقم (٨)
الخارطة التاريخية الطبيعية لاقليم ما بين النهرين

مع انه لم تكن هناك حدودا سياسية مرسومة بين الدول التي ظهرت في الأزمان القديمة الا ان الخارطة التأريخية لبابل رقم ٩ تبين بأن أراضي الدولة البابلية الممثلة بالخطوط المائلة تكاد تكون متطابقة كليا مع حدود اراضي بلاد ما بين النهرين التاريخية المبينة في الخارطة السابقة اضافة الى انها تبين بان هناك ثلاثة مناطق تحيط بالدولة البابلية كانت تسكنها اقوام غير سامية هم الميديون في الشرق ، الميتانيون في الشمال و الحثيون في الشمال الشرقي وقد شكلت هذه الاقوام خطرا دائما على اقليم بلاد ما بين النهرين ولعبت دورا مأساويا في تأريخه وتاريخ منطقة الهلال الخصيب على نحو مماثل لما حصل في الحقبات ألأخيرة ويحصل أليوم .

لم يكن حال أقليم ألشام أفضل من حال أقليم بلاد ما بين ألنهرين بل ألذي أصابه من ألتقسيم هو أشد وأمر مما أصاب أقليم ألعراق فقد أقدم ألفرنسيون منذ أحتلالهم لأقليم بلاد ألشام على فصل لبنان عنه رغم معارضة ألمواطنيين وأحتجاجاتهم ورفضهم لهذا ألتقسيم لكن ألأنقسامات ألدينية وألمذهبية ألتي أقدم ألمحتلون على

أثارتها وتأجيجها بمشاركة واضحة من قوى مسيحية مارونية متنفذة أرتبطت مصالحها بمصالح ألمحتل سهل على ألمحتلين مواصلة ألسعي لتحقيق هذا ألأنفصال .

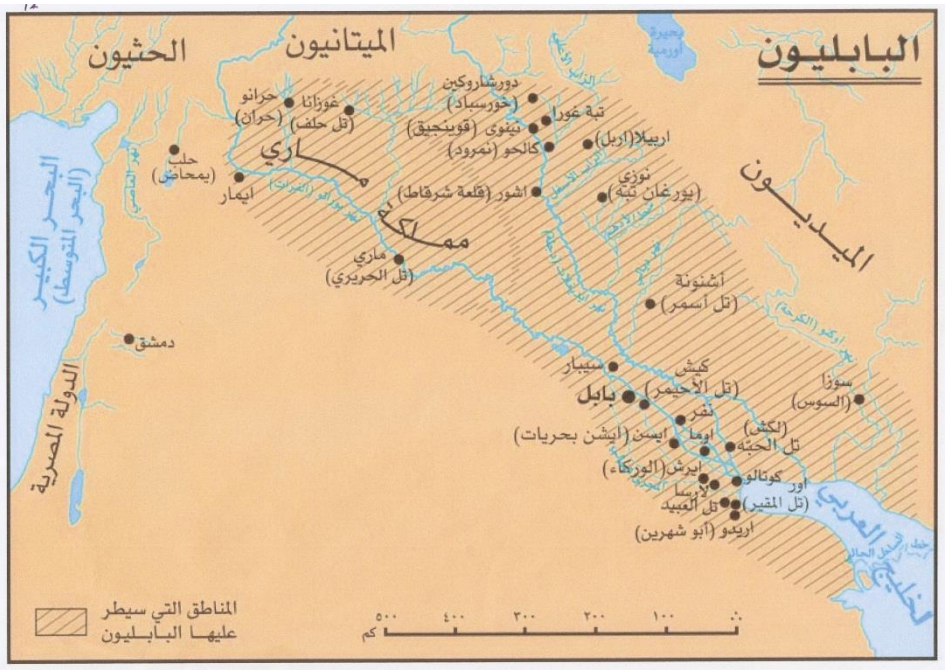

خارطة رقم (٩)
الامبراطورية البابلية

ألسر في أحتلال ألقوات ألبريطانية لفلسطين وفصلها عن ألأم سوريا يكمن في وعد بلفور ألبريطاني ألذي رسم صورة تقسيم بلاد ألشام وفقا لأتفاقية سايكس – بيكو . ولما كان ألمشروع هو مشروع بريطاني – صهيوني فقد تم ترك أمر ألبت بمصير أرض فلسطين لبريطانيا وفقا لوعد بلفور . لهذا ألسبب لم يرد ذكرها في اعلآن استقلال سوريا بعد دخول جيش الثورة العربية اليها وتحولها الى دولة ملكية يتربع على عرشها الملك فيصل بينما ظل مصير الاردن معلقا لحين المباشرة بالصفحة ألتالية من مشروع ألتقسيم . وعندما نصبت بريطانيا ألأمير فيصل ملكا على العراق ، وجدت بريطانيا ألحل جاهزا في ترضية أخيه عبد أللة ألطامع بعرش ألعراق بألقبول بتنصيبه أميرا على أمارة ألأردن وبذلك اكتمل فصل لبنان وفلسطين والأردن عن أرض بلاد ألشام ألتأريخية . لم يكتف ألبريطانيون وألفرنسيون بما فعلوه من تقسيم لأراضي بلاد ما بين ألنهرين وبلاد ألشام فخطط ألأستعمار ألفرنسي منذ بدايات أحتلاله سوريا لتفسيم أخر يشمل ألداخل ألسوري من خلال محاولة أقامة دويلة للعلويين ألا أن ألشعب ألسوري جابه هذا ألمشروع بأنتفاضة شعبية وعسكرية فتم أفشال ذلك ألمخطط . لم يستسلم هذا ألمستعمر من محاولاته في ألتقسيم فأقدم هذه ألمرة كرد فعل وأنتقام

من ألشعب ألعربي ألسوري في عشية ألحرب ألعالمية ألثانية عام ١٩٣٩ على سلخ لواء ألأسكندرونة وتقديمه هدية الى عميلهم حاكم تركيا ألماسوني كمال أتاتورك فتم بذلك حرمان سوريا وألمنطقة ألعربية من أهم ميناء من ألموانىء ألعربية ألواقعة على ألبحر ألأبيض .

هكذا كان حال بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام المكونان الرئيسيان لما جرى تسميته بالهلال الخصيب والخارطة رقم ١٠ تبين الاراضي الطبيعية التاريخية لكل من أقليم بلاد الشام وأقليم بلاد الرافدين كما تصورها أنطون سعادة مؤسس الحزب السوري القومي ألأجتماعي وهي قريبة من الواقع الجغرافي التأريخي لكلا ألأقليمين .

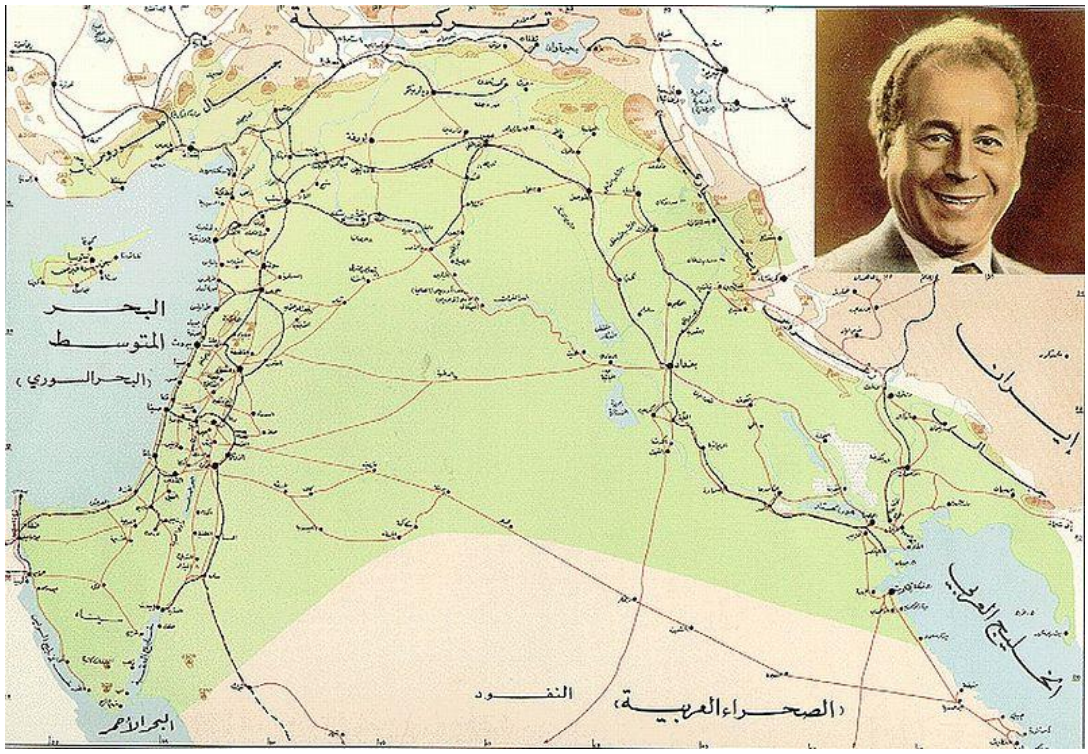

خارطة (١٠)
خارطة اقليم بلآد الشام ألطبيعية والى جانبها بلاد وادي الرافدين كما تصورها انطون سعادة

بعد ان استنفذ البريطانيون ما قدمه الملك حسين بن على واولاده من خدمات لدحر العثمانيين في المنطقة الشرقية من الوطن العربي المكونة من ثلاثة اقاليم رئيسية انقلبوا عليه وتخلوا عن وعودهم له ولأولاده بتولي عرش تلك المنطقة ولما حان وقت التقسيم ، هم لم يكتفو بتقسيم أقليمي بلاد الرافدين وبلاد الشام فقط بل اضافوا اليهما أقليم الجزيرة العربية ايضا . لقد سبق وان فصل الأنكليز جنوب اليمن قبل الحرب العالمية ألأولى بوقت طويل كما اصبحت امارات الساحل الغربي للخليج العربي والساحل الجنوبي لبحر العرب بدءا من الكويت وحتى اخر امارة في اقصى الجنوب تحت حمايتهم بعد ان قضوا على نفوذ البرتغاليين وغيرهم

فيه . كانت مكاتب المخابرات الأنكليزية في الكويت تتابع توجهات وتحركات آل سعود الذين لجأوا الى الكويت بعد ان تم طردهم من الرياض من قبل آل رشيد وخاصة تحركات الشاب سعود بن عبد العزيز الذي لم يهدأ حتى تمكن من استعادة مدينة طفولته وصباه – الرياض . ومنذ أن تملك ألرياض ، بدأ سعود بتوسيع رقعة نفوذه في وسط جنوب الجزيرة وأخذ يمطر الأنكليز بسيل من الرسائل مطالبا اياهم بألتخلي عن شريف مكة الحسين بن على في الحجاز مبينا ، بأن من الافضل لهم الأعتماد عليه وليس على الشريف حسين في تحقيق أهدافهم في ألمنطقة غير انهم لم يستنفذوا دور الحسين في معركتهم مع العثمانيين فصموا اذانهم عنه (١١) . ما ان انتهت الحرب وخرج منها ألمستعمرون ألأنكليز وألفرنسيين منتصرين حتى انقلبوا على الحسين وبدأوا بمساعدة سعود لتحقيق حلمه في أقامة دولة سعودية تمتد من ألأحساء على ألساحل ألشرقي للخليج ألعربي وحتى ألحجاز على ألساحل ألغربي للبحر ألأحمر . كانت نتيجة ما حصل هو عبارة عن كارثة أنسانية حلت بعائلة ألبيت ألهاشمي ألحجازي للشريف حسين وذريته فقد تم قلعها من موطنها وتوزيع أفرادها على ألعراق وألأردن . الصحفي البريطاني مندوب جريدة التايمس اللندنية في الجزيرة العربية الذي تابع تطور تلك الأحداث والمجريات السياسية في الجزيرة العربية هو افضل من نقل أحداث تلك ألفترة في كتابه " المملكة " " The Kingdom " (١١) .

أستمرت الخارطة الجغرافية لأقليم ألجزيرة العربية على ما كانت عليه في ذلك الحين الى ان داهمت العالم احداث الحرب العالمية الثانية ألأكثر ضراوة وبشاعة وسفكا للدماء والتي فاق ضحايها من البشر ضحايا الحرب ألسابقة بشكل مرعب بسبب ما حصل من تطور تقني في أسلحة الدول المتحاربة .

٢ - الحرب العالمية الثانية وما افرزته من نتائج :

٢,١ – نجاح الثورة البلشفية وانسحاب روسيا من الحرب ألعالميةألأولى :

ما ان تمكن البلاشفة من دحر ما سمي بالجيش الأبيض المعادي للثورة البلشفية والذي لقى التأييد والدعم من عدة اطراف دولية اوروبية في حرب اهلية داخلية طاحنة حتى توجهوا اولا الى ترميم بلادهم التي انهكتها تلك الحرب ثم الى بناء نموذجهم الأقتصادي والسياسي والأجتماعي الخاص بهم بعد ان خسروا الكثير من الأراضي التي كانت خاضعة للأمبراطورية الروسية القيصرية ألسابقة وجزء كبير من الأراضي الروسية الواقعة في جنوبها الغربي المحاذي لألمانيا على ساحل بحر البلطيق .

بعد استقرار النظام السوفياتي الذي ترأسه لينين في روسيا ، أتجه النظام بقوة لحل المشاكل الناتجة عن الحرب ألأهلية فقامت الحكومة عن طريق وضع خطة لبناء ألأقتصاد الوطني للأتحاد ألأسوفياتي الذي أصطلح على تسميته بالنيب " NEB " . كان لينين قد وضع المعادلة المعروفة : كهربة البلاد = الشيوعية فباشر السوفيت ببناء محطات توليد الكهرباء الكافية لمد الشبكات الكهربائية حتى وصلت الى كافة مناطق

البلاد كما شرعت بربط كافة المناطق المأهولة في ألأراضي السوفيتية الشاسعة بخطوط سكك الحديد للنقل والمواصلات . بنفس الوقت اهتمت السلطة ببناء الصناعة الخفيفة والثقيلة ووضع الخطط الزراعية لتحويل كل بلاد السوفيات الى ورشة عمل فأقبل مواطنوا تلك الحقبة بحماسة نادرة على العمل مما ادى الى تحسن نسبي مستمر في حياتهم المعيشية . وفي الجانب العلمي ، قامت الحكومة بفتح الكليات والجامعات والمعاهد التقنية في كافة ألأختصصات التي تتطلبها عملية التنمية ألأقتصادية و العلمية والثقافية .

تمكن ألأتحاد السوفيتي خلال سنوات ليست طويلة من فرض وجوده على الساحة الدولية بعد أنفتاح امريكا والدول الغربية عليه والأعتراف بنظامه واقامة العلاقات الدبلوماسية معه . كل هذه الخطط وضعت في زمن قيادة لينين لكن بعد مرضه ووفاته ، واجهت قيادات الحزب والدولة وضعا مربكا لم تتمكن من تجاوزه الا بعد ان تمكن ستالين من مسك زمام ألأمور بشكل مطلق مستخدما ابشع اساليب الخداع والكذب والاضطهاد . قام في العام ١٩٢٥ بنفي منافسه اللدود على قيادة الاتحاد السوفياتي تروتسكي الى " الماتا " اولا ثم طرده الى خارج حدود الاتحاد السوفياتي ، الى تركيا ومن هناك أخذ تروسكي يتنقل بين عدة بلدان بأستثناء بريطانيا وبعض الدول ألأوربية التي رفضت السماح له بدخولها الى ان استضافته المكسيك فقرر ألأستقرار فيها . لم يتركه ستالين وهو في منفاه فدس احد عملاء ألأستخبارات السرية السوفيتية (كي جي بي) للقيام بأغتياله فنجح هذا العميل في أغتيال تروتسكي قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية بأشهر قليلة من العام ١٩٣٩ . قبل ذلك اقدم ستالين في العامين ١٩٣٦ و١٩٣٨ على عملية تطهير واسعة في صفوف الحزب الشيوعي السوفياتي ودفع بمعارضيه او بمن يشك في معارضته له من أعضاء اللجنة المركزية للحزب فما دون ألى محاكمات تطهير أشتهرت في كل أنحاء ألعالم . تم في هذه ألحملات أعدام أغلبية أعضاء اللجنة المركزية اضافة الى كثيرين من " المتآمرين " من الصف الثاني في الدولة والحزب ليصبح في النهاية الزعيم الأممي المطلق للسوفيات وألشيوعين المنتشرين في كل أنحاء العالم

كان ستالين يرى في الحرب العالمية الثانية التي بدأت في اليوم الاول من الشهر التاسع من عام ١٩٣٩ أنها حرب بين الامبرياليين الاوربين وليس للاتحاد السوفياتي مصلحة في اتخاذ اي موقف من كلا الطرفين المتحاربين . بنفس ألوقت أراد ستالين أن تكون له فسحة من ألوقت لتطوير وتعزيز ألقدرات ألعسكرية للجيش ألأحمر لأن تلك ألقدرات لم تكن بمستوى قدرات ألجيوش ألأوربية وبالتالي فهي لن تكون قادرة على رد اي هجوم محتمل يهدف الى أسقاط ألسلطة ألبلشفية . لهذا ألسبب ولأن ألمانيا تحد ألجنوب الغربي للأتحاد ألسوفياتي فأنه ، لتلافي حصول مثل ذلك ألهجوم ، قدم ألى ألألمان أقتراحا بعقد معاهدة عدم اعتداء بينهما . أحد بنود تلك أألمعاهدة ينص ، في حالة أتخاذ ألمانيا قرارا بأجتياح أوربا ، فأنها ستسمح للسوفيات باحتلال الجزء الشرقي من بولندا بينما هي ستحتل الجزء الجنوبي ألغربي لتنطلق منه الى باقي اوربا وصولا ألى

فرنسا وبريطانيا اللتان اذاقا المانيا ألذل في الحرب العالمية ألأولى . أعتقد ستالين بأن هذه ألأتفاقية ستتيح له الوقت الكافي لبناء القدرات العسكرية لروسيا ولم يخطر بباله ابدا بأن ألألمان سيغدرون به لدرجة انه لم يصدق واستبعد تماما ما جاء في تقرير أهم عميل للمخابرات السوفياتية (K G B) هو زوركي . لقد أرسل هذا ألعميل تقريرا ألى ألمخابرات ألسوفيتية يتظمن معلومات دقيقة ومفصلة تحدد الساعة وأليوم وألجهة ألتي تغزو فيها ألقوات ألألمانية ألأراضي ألسوفيتية غير أن ستالين سخر من هذا ألتقرير وطلب من مسؤوليه معاقبته . أستفاق ستلين وأعضاء حكومته في يوم ٢٢ حزيران من العام ١٩٤١ على وقع غزو ألجيش ألأماني لبلادهم فكان وقعه كألصاعقةعليهم ويوما مشؤوما للسوفيات . كان ألهجوم ألألماني على ألأتحاد ألسوقياتي مفاجئا وكاسحا تم فيه اسر وقتل الألاف من الجنود السوفيات وأحتلال اراضي واسعة من الأتحاد السوفياتي ألى أن صلوا في نهاية الهجوم ابواب العاصمة موسكو والى تطويق ومحاصرة لينين غراد . لجأ الروس أولا الى تبني أسلوب حرب ألعصابات " ألبارتزان " خلف العدو لمشاغلة وأستنزاف ألجيوش ألألمانية وبعد حلول الشتاء الروسي ألقاسي ووصل ذروته ، أمر ستالين ألقائد ألعام للجيش ألسوفياتي بمباشرة ألهجوم ألمضاد على القوات ألألمانية ألمنهكة . كانت نتيجته هزيمة كاسحة للألمان أعادت ألى أذهان ألروس ذاكرة هزيمة نابليون فظهر ستالين بعد غياب طويل ليحيي من منصة ألكرملن في ألساحة ألحمراء أستعراضا عسكريا مهيبا للأحتفال بألنصر . وبعد أن تبخرت كل أحلام هتلر في أحتلال ألقوات ألألمانية لمدينة ستالين غراد بسبب ألصمود ألأسطوري لكل من ألجيش ألأحمر وعناصر ألمقاومة ، بدأت تظهر في ألأفق بوادر هزيمة ألألمان في جميع جبهات ألقتال . لقد أدى فشل ألهجوم ألألمان على روسيا ألى تغيير في ألتحالفات ألدولية فأصبح الأتحاد السوفياتي حليفا لؤلائك " الرأسماليين ألأمبرياليين " أللذين سارعوا بتقديم المساعدات ألعسكرية وألمدنية ألسخية من امريكا و بريطانيا " للملحدين ألشيوعيين " .

في العام ١٩٤٢ تم ايقاف تقدم قوات المحور النازي بعد هزيمتها في عدة معارك في اوربا وشمال افريقي وشرق اسيا وفي السنة التالية بدأت تخسر حروبها في اغلب الجبهات فأصبحت المبادرة بيد قوات الحلفاء فقامت بغزو ايطاليا وأحتلالها في العام ١٩٤٣ . وفي العام ١٩٤٤ نجحت قوات الحلفاء بتحقيق انزال بحري ضخم للقوات في شواطئ النورمندي تمهيدا لتطهير ارض فرنسا من ألألمان وتحريرها ثم ألأندفاع نحو عمق أراضي اوربا . من ألناحية ألأخرى ، نجحت ألقوات ألسوفيتية في معارك جبهات اوربا ألشرقية من استعادة كامل الاراضي ألسوفياتية التي احتلها الألمان سابقا فأنفتح الطريق أمام القوات الروسية للتوغل في الاراضي الألمانية بعد انهيار ألدفاعات ألألمانية للوصول الى العاصمة برلين . أنفتح طريق برلين أمام ألقوات ألسوفيتية فدخلتها من جهتها ألأشرقية وبعد أيام قليلة تم أعلان أستسلام ألمانيا بدون قيد او شرط في

اليوم ألثامن من شهر مايس/ مايو من العام ١٩٤٥ فانتهت بذلك صفحة أكثر قسوة وألما من صفحات التـأريخ ألأنساني .

٢,٢ – ظهور ألزعيم ألنازي هتلر :

ما أن تمكن البلاشفة السوفيت من تثبيت اقدامهم في السلطة وأزدياد شعبيتهم على الصعيدين الداخلي والخارجي حتى اجتاحت أغلب دول اوربا ألأضطرابات و حمى الثورة والتمرد على السلطات ألتي تركزت بشكل خاص في المانيا المجاورة للأتحاد السوفيتي وبعض بلدان اوربا الشرقية . كان وقع الفوضى التي أجتاحت اوربا بعد انتهاء الحرب العالمية ألأولى على المانيا اكثر من على اية دولة اوروبية اخرى لأن لا القوى السياسية ألألمانية اليمينية القديمة ولا القوى السياسية " ألأشتراكية الديموقراطية " التقليدية تمكنت من ادارة السلطة بشكل ينهي الغضب الجماهيري جراء فشلها في معالجة ألأزمات ألتي أعقبت ألحرب . أدى هذا الوضع ألى قيام تظاهرات صاخبة للجماهير ألألمانية اجتاحت اغلب مدن المانيا وغالبا ما كان على رأسها الشيوعيون مما كان ينذر بحصول تغيير رديكالي في ألمانيا اذا تعذر الوصول الى حل لأوضاعها المرتبكة . من خضم هذه الفوضى خرج رجل من مقاطعة بافاريا نمساوي ألأصل عاش معاناة الجندية في الحرب ألعالمية ألأولى وجرح فيها وكان متشبعا بالعنصرية آلألمانية بحيث انه كتب اغلب صفحات كتابه " كفاحي " خلال تلك الفترة وهذا الرجل المهووس هو ادولف هتلر .

اسس هتلر الحزب النازى مع اشخاص قليلي العدد في مقاطعة بافاريا التي شكلت بيئة مناسبة لهذا ألحزب وبما أنه كان موهوبا ومغرما بالخطابات السياسية النارية فقد أخذ يجوب مناطقها لألقاء تلك الخطابات فحاز على اعجاب مفرط من ألبسطاء ألألمان ألبافاريين . مع الوقت وبأصرار عنيد منه ، تمكن هذا ألرجل من الحصول على تأييد جماهير المانية واسعة مما سمح لهذا الحزب من الحصول على عدة مقاعد في مجلس النواب في اول مشاركة له في ألأنتخابات البرلمانية . في الدورة ألأنتخابية التالية حصل الحزب النازي على نسبة اهلته ليصبح في المكز الثاني بين ألأحزاب المشتركة في البرلمان مما أهله وبضروف غامضة من تسلم منصب المستشارية ألألمانية في ٣٠ كانون ثاني / يناير عام ١٩٣٣ . ما ان تسلم هذا المنصب حتى اخذ يعد العدة للأنتقال الى نظام حكم الحزب الواحد بعد ان حصل على دعم رجال الصناعة وألأعمال اللذين كان همهم ألتخلص من حالة ألفوضى والخروج من الكساد ألأقتصادي الذي حصل في العام ١٩٣٠ . حصل أيضا على دعم كثير من ضباط الجيش ألألماني ألسابقين أللذين ظلوا يعانون من ألم ألذل وألأهانة مما فعلته كل من بريطانيا وفرنسا بألمانيا في الحرب العالمية ألأولى . تمكن الحزب النازي وبسرعة من السيطرة على مفاصل الدولة ولتخلية الساحة السياسية من بقية القوى ألأخرى من خلال قيام القوات الخاصة النازية بحملات اعتقال

وتصفية جسدية لكافة المعارضين من شيوعيين وأشتراكيين ديموقراطيين وغيرهم فأصبح هتلر الزعيم المطلق لألمانيا التى بدأت عجلات ماكنتها الصناعية بالأنطلاق مرة اخرى لكن بزخم أشد وأقوى .

رغم ان هتلر كان يتحدث كثيرا عن ألحمل الثقيل الذي وضعته الدولتان المنتصرتان في الحرب العالمية الأولى على أكتاف المانيا لما تعرضت له من عقوبات مالية واذلال سياسي ألا أن ألدول ألأوربية وخاصة بريطانيا أبدت ترحيبا وأن كان خجولا في البداية بالنظام النازي الجديد . البسبب في هذا ألترحيب هو وسواس كولونيالي مرضي مما يمكن أن يفعله " الخطر الشيوعي " في أوربا فوجدت في هذا النظام النازي ألمصد والعدو ألمحتمل ليس السياسي فقط بل ألأيدلوجي النقيض للشيوعية . كانت بريطانيا في ذلك الوقت تحت حكم حزب العمال ولم يكن في وارد رئيس الوزراء البريطاني العمالي ان يشكل اجتياح المانيا لبولندا سببا لأن تعلن بريطانيا الحرب على المانيا الى ان جاء رئيس وزراء جديد هو المحافظ العتيق ونستون تشرشل ليعلن الحرب على المانيا وبعد ايام قليلة تضامنت فرنسا مع بريطانيا فأعلنت الحرب ايضا على هتلر لتبدا صفحة حرب عالمية ثانية هي اكثر قسوة وفداحة في نتائجها من ألحرب ألسابقة .

٢,٣- اوضاع ألأقاليم الخمسة في فترة ما قبل ألحرب ألعالمية ألثانية :

كان العراق تابعا لبريطانيا منذ نهاية الحرب الاولى وظلت الحركة الوطنية العراقية المنادية بالأستقلال الوطني الناجز تعاني من جور وخداع المستعمرين واذنابهم ممن حكموا العراق بنظام سياسي وصفه شاعر ألعراق ألعظيم معروف الرصافي ببيت شعر هو ألتالي :

علم ودستور ومجلس امة كل عن المعنى الصحيح محرف

وهو ما ينطبق تماما ، ليس على ذلك ألنظام فقط ، وانما على ألنظام السياسي الحالي في ألعراق ألذي كرسته قوات الاحتلال ألأمريكي أيضا . كان الوضع ألسياسي في ألعراق قد تردى بعد حادث مقتل الملك غازي في العام ١٩٣٩ ، الذي تداولت اوساط شعبية واسعة شكوكها حول وجود مؤامرة في حادث مقتله وتعيين ابن عمه عبد الأله وصيا على فيصل ابن الملك غازي وهو عديم الكفاءة في كل شيء تقريبا . اضافة الى ذلك ، بدأت تظهرالأنعكاسات السلبية التي حملتها الحرب العالمية الثانية بشكل حاد على الوضع الداخلي العراقي المتأزم اصلا ، ادت الى تعاظم في قوة التيار الوطني العراقي مما ادى الى صعوده وتسلمه مسؤولية الحكم تحت رئاسة ألسياسي المخضرم رشيد عالي الكيلاني في العام ١٩٤٠ . لم تسكت بريطانيا ولم ترصخ لوجود مثل هذه الحكومة فطالبت الوصي بأقالتها لكن الكيلاني تمسك بدستورية استمرار الحكومة مستندا الى التفاف شعبي كاسح حولها . مع اشتداد الصراع السياسي بين حكومة ألكيلاني ومعارضيها من عملاء الأنكليز وأنسداد اي افق للتسوية ، أضطرت حكومة الكيلاني الى اعلان الثورة ضد الأنكليز وعملائهم من امثال نوري السعيد وعلي جودت الأيوبي وغيرهم في شباط من العام ١٩٤١ مع انعدام أي فرصة من الناحية

العسكرية لمواجهة البريطانيين فأنتهت الثورة الى الفشل في الثاني من أيار من نفس العام لكن ذكراها استقرت في وجدان وقلوب العراقيين كملحمة من ملاحم نضالهم الطويل .

لم يقتصر تأثير هذه الأحاث على اقليم العراق وحده بل تفاعلت معها الجماهير العربية في اقليم بلاد الشام وأقليم بلاد النيل . ففي سوريا ، لم تهدأ الثورات وألمظاهرات الشعبية للجماهير السورية ضد الفرنسيين ومطالبتهم بألأستقلال . وفي مصر ، بالرغم من ان بريطانيا اعلنت الغاء الحماية البريطانية لتلك البلاد في ٢٢/شباط/ ١٩٢٢على أثر أنتفاضات شعبية متتالية ألا ان مصر لم تحصل على الأستقلال بسبب استمرار تواجد قواتهم ألعسكرية على أرضها . لم تعدم الجماهير في مصر فرصة القيام بانتفاضات متكررة مرددة شعار : **الأستقلال التام او الموت الزؤام** .

٢,٤- ازدياد وعي شعوب البلدان الواقعة تحت الأحتلال :

أن الفارق الثقافي و السياسي بين بعض شعوب بلدان اوربا التي كانت تحت سيطرة كل من الدولة العثمانية وروسيا القيصرية وألأمبراطورية الألمانية ، سهل لها الانعتاق من الأحتلال الخارجي والحصول على استقلالها بعد انتهاء الحرب العالمية ألأولى لكنها ظلت تحت نفوذ هذه الدولة القوية او تلك لأسباب متعددة ، في حين ظلت الكثير من شعوب بلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ترزح تحت احتلال بريطانيا وفرنسا بعد الحرب العالمية الأولى . لقد اثرت احداث الحرب وألأحداث التي حصلت في السنين التي تلتها المصحوبة بالتأثير الأعلامي القوي للاتحاد السوفياتي ألذي ركز على التنديد ألمستمر في أسلوب أستخدام القوة في استعمار البلدان والمطالبة بتصفيته وأقرارحق الشعوب بالأستقلال واعلان تأييده لحركات التحرر الوطني ، ادى الى تنمية وعي تلك الشعوب بمصالحها فالتهبت المظاهرات والعصيانات والثورات المسلحة في كثير من البلدان وخاصة في اقاليم المنطقة العربية . بعد ثلاث سنوات من دخول البريطانيين بغداد أي في العام ١٩٢٠انطلقت في كل انحاء العراق ثورة مسلحة عارمة لم يتمكن البريطانييون من تحمل تكاليف مجابهتها فلجأت الى اسلوب السيطرة الغير مباشرة على العراق . اما في اقليم بلاد الشام فلم تتوقف الأنتفاضات الشعبية ، المسلحة منها وغير المسلحة ، في كل انحاء الأقليم : سوريا ولبنان وفلسطين وهكذا هوالحال في بلاد وادي النيل حيث تصاعدت المظاهرات والأحتجاجات الجماهيرية المعادية للتواجد البريطاني العسكري والسياسي فيها كما خلد التاريخ ملحمة عمر المختار في ليبيا عندما حمل هو ورفاقه السلاح وقد بلغ سن الشيخوخة وهو يحارب الفاشيين الأيطالين . في بقية مناطق اقليم المغرب العربي : تونس والجزائر ومراكش لم تتوقف ابدا نضالات الحركات الجماهيرية ضد الفرنسيين للمطالبة بالأستقلال . وفي خارج المنطقة العربية ، مع ألأختلاف في الأساليب ، في الهند تحديدا ، اصبح غاندي ، قائد ألنضال ألسلمي ضد الأحتلال البريطاني ، قادرا وعلى وشك من نيل ألأستقلال للهند لو لم يتفجأ العالم بنشوب الحرب العالمية

الثانية وهكذا كان حال الشعوب الأخرى المتحفزة لنيل الاستقلال في آسيا كأندنوسيا من هولندا وشعوب القارة ألأفريقة وأمريكا اللاتينية

٢,٥ – اقدام امريكا على فك عزلتها ألأطلسية :

تمكنت امريكا منذ نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين من السيطرة على أغلب بلدان شعوب امريكا اللاتينية تقريبا لكن بشكل مختلف عن الشكل التقليدي الذي اتبعته بريطانيا وفرنسا بأستخدام القوة ألعسكري فقط بل بأستخدام سطوة رأس المال وألأعلام المدعوم بالقوة العسكرية التي لم تتخلى عنه لحد الأن . مع ازدياد ثروة أمريكا وتعاظم قوتها العسكرية بدأ نفوذها يتمدد تدريجيا في كل أراضي قارات ألعالم وخاصة في اوربا وقد بدا هذا واضحا منذ نهاية الحرب العالمية ألأولى عندما كانت امريكا على رأس ألحاضرين والمشاركين في " مؤتمر باريس للسلام " الذي تم فيه تقاسم ارث ألأمبراطوريتين العثمانية والألمانية بين ألأطراف ألمنتصرة في ألحرب . حافظت امريكا على هذا النهج الذي اصبح ، كما بينت أحداث الحرب العالمية الثانية وألحقبة التي تلتها ، نهجا ناجحا يصب في خانة مصالحها ألأمبريالية ألى أن أدت مجريات ألأحداث خلال وبعد ألحرب ألعالمية ألثانية بأمريكا لأن تصبح أمريكا قائدة ألعالم .

٣ : الحرب العالمية الثانية وما أفرزته من نتائج :

٣,١ – بداية الأحداث : بدأت احداث الحرب العالمية الثانية بعد ان اجتاحت الجيوش الألمانية الحزء الغربي من بولندا بشكل مباغت وتركت الجزء الشرقي لتحتله القوات الروسية في ألأول من ايلول من العام ١٩٣٩ وفقا للأتفاقية ألمبرمة بينهما . اخذت المانيا بعد ذلك بألتمدد في اوربا تدريجيا فغزت قواتها بعض الدول الاوروبية الصغيرة الأخرى تباعا فكان الرد المباشر لكل من بريطانيا وفرنسا هو أعلان الحرب على المانيا . تواصلت ألعمليات العسكرية العاصفة للجيوش ألألمانية مكتسحة أراضي أوربا لتصل الساحل الشمالي المقابل لبريطانيا ثم اتجهت قواتها ألى الجنوب والوسط نحو فرنسا . أجتازت ألقوات ألألمانية خط ماجينو الفرنسي فأحتلت ألعاصمة باريس بوقت قياسي فأجبرت فرنسا على ألأستسلام في ٢٢ تموز١٩٤٠ لتصبح تلك ألقوات على طول ألساحل ألمقابل لساحل بريطانية .

كان ستالين زعيم الأتحاد السوفياتي مبتهجا بتلك ألنتائج على أعتبار ان هذه المعارك والنزاعات هي بين القوى الرجعية وألأستعمارية المعادية للنظام السوفياتي ستؤدي الى اضعافها مما سيمنح الاتحاد السوفياتي الوقت الكافي لتطوير التة العسكرية لمواجهة اي عدوان عليه ، وكان مطمئنا على ان المانيا ستلتزم ببنود المعاهدة المبرمة بينهما ولم يصدق تقارير عملاء ال كي جي بي وعلى راسهم العميل زوركي الذي كان يعمل في سفارة الرايخ في طوكيو الى ان تمت مفاجئته في اليوم ٢٢ حزيران عام ١٩٤٠ بهجوم كاسح للجيوش ألألمانية الضخمة على طول حدود ألأتحاد ألسوفياتي فجرى تطويق لنين غراد في الشمال الغربي

واجتياح منابع البترول في الجنوب ألى أن وصلت فيما بعد لتدق ابواب موسكو وتقف ضواحيها . كان هذا الهجوم قد تعدى في ضخامته من ناحية العدة والعدد اي هجوم عسكري الماني اخر كما تم الأعداد له بعناية واتقان منذ مدة ليست قصيرة وبهذا الهجوم ، وصلت حروب ألألمان ذروتها .

دخلت امريكا الحرب الى جانب الحلفاء ضد المحور بعد أن أقدمت اليابان في ٨ كانون الأول من العام ١٩٤١ على شن هجوم مفاجيء على القاعدة ألأمريكية العسكرية في ميناء بيرل هاربر وبعد اشهر من مشاركة أمريكا في الحرب ، تمكن الحلفاء من ايقاف تقدم دول المحورفي عدة جبهات لينتقلوا بعد ذلك الى شن معارك هجومية ضد المحور ادت الى الحاق الهزائم بقواته في المحيط الهادى وشمال افريقيا واوربا الشرقية مما اجبرها على التراجع أمام هذه الهجمات في جميع تلك الجبهات . توالت هزائم قوات المحور فنجح الحلفاء بين ٣ و ١٦ ايلول من عام ١٩٤٣ من تحقيق انزال قواتهم في صقلية تمهيدا لغزو ايطاليا ثم بعد سنة من ذلك التأريخ تم انزال قوات الحلفاء في العام ١٩٤٤ في النورماندي بهدف طرد القوات ألألمانية من فرنسا وتحريرها من ألأحتلال ألألماني . في نفس العام ، تمكن الأتحاد السوفياتي أيضا من استعادة كامل الاراضي التي استولى عليها ألألمان سابقا . انتهت الحرب في اوربا بعد ان دخل الجيش الأحمر في ٦ ابريل/ نيسان من العام ١٩٤٥ برلين واستسلام المانيا ثم استسلمت بعدها اليابان في ١٥ آب من نفس العام ، بعد ان اقدمت امريكا على اثر انتهاء مؤتمر بوتسدام للسلام في ٦ و٩ من آب من العام ١٩٤٥على قصف هيروشيما وناكازاكي بالقنابل الذرية مما اثار استياء واستهجان كل محبي السلام في العالم بسبب فداحة الخسائر البشرية من المدنيين اليابانيين رغم كل ما ساقته امريكا من تبريرات لأقدامها على تلك الجريمة ولا تزال ذكرى هذه الحادثة محفورة في الذاكرة الجماعية للناس في كل انحاء العالم لحد الان .

على الصعيد العالمي ، بسبب التقدم في تكناوجيا السلاح من ناحية والعدد الكبير من الدول المشاركة في تلك الحرب من ناحية أخرى ، وصلت الخسائر البشرية للحرب رقما مخيفا وصل الى اكثر من ٦٠ مليون انسان ، كان نصيب ألأتحاد السوفياتي وحده من هذه الخسائر أكثر من ٢٥ مليون . كانت نتائج هذه الحرب تفوق كثيرا نتائج الحرب العالمية ألأولى من ناحية الخسارة بالأرواح كما كانت أكثر تأثيرا في مصائر شعوب العالم . كانت الشعوب الواقعة تحت نير ألأحتلال ألأستعماري ألأوربي في اسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية تأمل في الحصول على حقوقها في ألأستقلال وفقا لبنود ميثاق " ألأمم المتحدة " ألتي شكلتها وصاغت بنودها الدول ألأستعمارية ومعها ألأتحاد ألسوفياتي ، وجدت هذه ألشعوب نفسها بأن ألدول ألأستعمارية ألأوربية لا تزال مصرة على مواصلة سلب حريتها ونهب ثروات أراضيها وكأنها مخدرة بنشوة أنتصارها على ألنازية وخارج وعيها عن معرفة ألنتائج ألسياسية وألأقتصادية لمرحلة ما بعد ألحرب .

أهم نتائج تلك الحرب هي حصول تغييرات حادة في الخارطة السياسية للعالم اولها ظهور ألأتحاد السوفياتي كقوة عالمية كبرى الى جانب امريكا وثانيهما وصول كل من فرنسا و بريطانية ألأستعماريتان مرحلة الشيخوخة فقد خرجتا من الحرب مرهقتان مفلستان وهما يواجهان شعوبا متحفزة مصممة على طرد ألمستعمرين من اراضيها .

٣,٢ ــ صعود ألأتحاد السوفياتي كقوة عالمية كبرى :

بعد أن أصبح ألنصر على ألنازية يلوح في ألأفق ، أجتمع ألثلاثة ألكبار ألمتحالفون ، زعيم ألأتحاد ألسوفياتي ستالين ورئيس وزراء بريطانيا تشرتشل ورئيس الولايات ألمتحدة ألأمريكية روزفلت في مدينة يالتا ألسوفياتية من ٤ الى ١١ كانون أول / فبراير عام ١٩٤٥ وكما حصل في " مؤتمر باريس للسلام " حصل في هذا ألمؤتمر ألمصغر . فقد أتفق ألمجتمعون على تشكيل منظمة دولية للحفاض على ألسلام ألعالمي جرى تسميتها " بهيئة ألأمم ألنتحدة " وعلى تقسبم أراضي أوربا فيما بينهم أضافة ألى تقسيم برلين ألى أربع مقاطعات .

ما أن تم اندحار النازية ، اصبح واضحا بأن من يتربع على عرش السياسة العالمية هما ألقطبان : ألأتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ألأمريكية بعد أن افل دور كل من بريطانيا وفرنسا وخروجهما من الحرب وهما ضعيفتان مكبلتان بالديون ألأمريكية . مع ذلك أحتلت هاتان ألدولتان موقع أعضاء دائميين في مجلس ألأمن ألتابع لهيئة ألأمم ألمتحدة الى جانب ألقطبين : أمريكا وروسيا وبألتالي فهما يملكان حق ألنقض لأي قرار يتخذ لصالح ألشعوب ألتي جرى أستعمارها منذ زمن طويل فلم يكن في يد ألأتحاد ألسوفياتي فعل شيء لصالح تلك ألشعوب . منذ ما قبل ألأنتصارعلى النازية ومنذ أجتماع يالتا الذي تم فيها تقسيم مناطق النفوذ لمرحلة ما بعد الحرب ، اصبح واضحا ان ألأتحاد السوفيتي ما بعد الحرب هو ليس ما قبل الحرب وان ما بينه وبين امريكا وحلفاءها من الدول الغربية سيحمل الى العالم صراعا عالميا جديدا لم يكن بألأمكان التكهن بأبعاده . لذلك ومنذ ألأشهرألأولى لنهاية الحرب اخذت امريكا تسلك مع ألأتحاد السوفيتي ومنظومته ألأشتراكية طريق ما اصطلح عليه بالحرب الباردة . كانت امريكا أول من دعى ألى تشكيل حلف عسكري تحت قبادتها هو حلف شمال ألأطلسي (النيتو) في ٤ ابريل ١٩٤٩ للوقوف أمام "الخطر الشيوعي " الذي أصبحت كل أوربا ألشرقية جزئا من منظومته ألأستراكية . بعد اكثر من خمس سنوات ، اقدم ألأتحاد السوفياتي على عقد حلف بينه وبين دول أوربا ألشرقية مقابل حلف النيتو فسمي ذلك ألحلف بحلف وارشو في العام ١٩٥٥ فأنفتح منذ ذلك ألوقت باب سباق ألتسلح بين ألمعسكرين الى جانب دخولها ما سميت " بألحرب ألباردة " بينهما التي أستمرت طوال ألسنين ألماضية وألى حين أنهيار نظم دول أوربا ألشرقية ألأشتراكية وألأتحاد ألسوفياتي في ألعام ١٩٩١ لتتسيد أمريكا ألعالم منذ ذلك ألوقت ولحد ألأن .

منذ أن منحت ألأمم المتحدة حق النقض للأعضاء ألدائمين في مجلس ألأمن ، لم يستعمل ألأتحاد السوفياتي هذا الحق سوى مرات قليلة جدا بينما استخدمته امريكا عشرات المرات خاصة تلك التي تتعلق بألقضية ألفلسطينية منذ أنشاءها ولحد ألأن . أستمر هذا ألحال ألى أن أقدم ألعراق على غزو ألكويت في ألعام ١٩٩٠ فقام بوش ألأب بتشكيل " ألتحالف الثلاثيني " لأجبار ألعراق على ألأنسحاب من ألكويت . بعد أن بدأت أمريكا هجومها على ألعراق وأنسحاب قواته من ألكويت ألقى جورج بوش خطابا قال فيه أن هناك **" نظام عالمي جديد "** سيسود ألعالم مما يعني أنه أعلان عن تباشير ظهور قطب عالمي واحد هو أمريكا للتصرف بدول ألعالم . ما كان لبوش أن يجرأ على هذا ألقول لو لم تقم دوائر ألأستخبارات ومراكز ألأبحاث ألأمريكية بتزويده معلومات مفصلة ومؤكدة عن تعثر وفشل **" ألرفيق "** غورباشوف في تحفيق برنامج **" البريسترويكا "** – أعادة ألبناء – وبأن ألذي سيحصل هو تفكك منظومة حلف وارشو وأنهيار ألأتحاد السوفياتي خلال أألعامين ١٩٩١ و ١٩٩٢ .

بعد ان غاب ألأتحادي السوفياتي عن المشهد السياسي العالمي ومعه ما يسمى " بالخطر الشيوعي " ، لم تظهر امريكا اية بادرة لحل " حلف النيتو " بل تمسكت به وضاعفت من قدراته ألتقنية العسكرية مما يعني ان " للنظام العالمي الجديد " المتسلح بألنيتو أهدافا أخرى تتعلق بوجود أعداء اخرين مفترضين لأمريكا ولذلك عليها أن تكون متأهبة لتعزيز موقعها لتصبح في النهاية ألأمبراطورية الوحيدة التي تتصرف بأمور الكون وفقا لمصالحها الخاصة أولا ثم لمصالح حلفائها ثانيا .

٣,٤ – خيبة الشعوب وتصاعد نضالاتها الوطنية :

تبخرت آمال ألشعوب ألخاضعة للأستعمار ألغربي ، كما بينت السنين التي تلت الحرب العالمية الثانية في جدوى تشكيل " هيئة الأمم المتحدة " و "مجلس الأمن " مع أستمرار بقاء تلك ألشعوب تحت ذلك ألأستعمار وفشل هيئة ألأمم في تقديم أية مساعدة لها لنيل ألأستقلال . بألمقابل ومع مرور ألسنين ، أزداد وعي ألشعوب بقضاياها فقررت ألحصول على حقوقها عنوة بأستخدام وسائلها ألخاصة ألمتاحة وحسب ما تمليه عليها خصائصها ألذاتية فقسم منها أختار طريق ألنضال ألمسلح وقسم أخر أختار ألطريق ألسلمي بألأحتجاجات وألمظاهرات وألأضرابات فنجح قسم من هذه ألشعوب وفشل قسم آخر . حقق ألشعب ألهندي في ١٥ آب من ألعام ١٩٤٧ ألأستقلال عن ألأستعمار ألبريطاني بألوسائل ألسلمية بزعامة غاندي بينما حصل ألشعب ألأندنوسي بزعامة سوكارنو على أستقلاله من هولندا في ألعام ١٩٤٩ بأتباع ألنظال ألمسلح ألمضني . وفي كل ألأحوال عانت هذه ألشعوب كثيرا من ألأستعمار ألقديم لتتفاجأ بظهور أستعمارعلى ألساحة ألدولية ألدولية هو أشد وحشية وقسوة ، هذا ألأستعمار هو ألأستعمار ألأمبريالي ألأمريكي ألذي جمع بين يديه سطوة ألمال وسطوة ألسلاح لأخضاع ألشعوب .

خاضت بعض شعوب الشرق ألأقصى مثل شعوب ألصين وكوريا وفيتنام بعد ألحرب ألعالمية ألثانية صراعات دامية مع قوات ألمستعمرين ألبريطانيين وألفرنسيين وعندما وصلت الى عتبة ألحاق الهزيمة ألنهائية بهم ، تدخلت ألقوات ألأمريكية بعنف فرمت بكل ثقلها ألعسكري لتأخذ مكان أولئك ألمستعمرين مما أدى ألى أطالة مدة حصول تلك ألشوب على حقها في ألأستقلال . وفي حين وقفت أمريكا عاجزة عن فعل شيء امام أنتصار قوات ما تسي تونغ على قوات تشانج كاي شيك ودخولها بكين في ألعام ١٩٤٩ لتقيم النظام الشيوعي ، واصلت قواتها الحرب ضد شعب كوريا وشعب فيتنام ألى أن تم تقسيمهما . أستمرت حالة تقسيم كوريا الى دولتين لحد ألوقت ألحاضر ، بينما واصل شعب فيتنام ألشمالية معاركهه ألملحمية مع القوات ألأمريكية بأصرار نادر لتوحيد بلدهم ألى أن تمت هزيمتهم بشكل نهائي دراماتيكي فوقتت قوات ألفيت كونك دخول سايغون ليتوافق مع يوم ١ أيار وهو يوم عيد ألعمال ألعالمي . كانت هذه ألأحداث وغيرها ألتي حصلت في ألمناطق ألأهرى من ألعالم فد أسدلت ألستار على ألأستعمار ألقديم وبروز نوع جديد من ألأستعمار ألعالمي .

كان نصيب شعب ألمنطقة العربية من ألأحباط و الخيبة من الذي حملته نهاية الحرب العالمية ألثانية من نتائج سياسية ، أعمق من أحباط و خيبة اي شعب اخر في العالم غير ان ما يجعل المرء متفائلاً هو ان شعب هذه المنطقة ، رغم كل هذه المرارة ، لم يفقد وعيه ولم تنطل عليه لعبة منح الأستقلال الشكلي لبعض اقطاره فلم يستكن ولم يهن فكانت التظاهرات وألأنتفاضات تتواصل في كل قطر من اقطاره سواء المستقلة منها شكليا او الواقعة تحت ألأحتلال ألأجنبي المباشر . كل هذه النضالات الشعبية لم تردع ألأستعمار الأوربي عن ألأستمرار في جرائمه بحق شعب المنطقة وكانت الجريمة الكبرى التي ارتكبتها بريطانيا هي تسليم فلسطين التي كان تحت حمايتها الى الصهاينة من خلال سماحها لها بالأستيطان المكثف وحمل السلاح للمهاجرين اليهود في فلسطين كجزء من مخطط كامل لتنفيذ وعد بلفور في اقامة دولة لهم فيها . لم يكن ما قامت به بريطانيا بتأييد كامل من امريكا والغرب يتعلق بعواطف انسانية طيبة نحو اليهود بل لأن وجود تلك الدولة التي دعت أليها الصهيونية في هذه المنطقة الحساسة من العالم ، كان ينطوي على اهداف ستراتيجية بعيدة المدى صبت جميعها بألنهاية لصالح أمريكا . من المؤسف ان " الرفيق " ستالين ألسكرتير ألعام للحزب ألشيوعي ألسوفياتي قد بلع طعم أدعاءات أليهود ألصهاينة التي روج لها ألغرب وامريكا بكثافة في ذلك الوقت وأنحاز الى مواقفها لدرجة أن ساعد ألعصابات ألصهايونية بمدهم بألسلاح عن طريق تشيكوسلفاكيا أضافة ألى أنه أول من أعترف بدولة ألصهاينة . لربما فكر ستالين بأن ألدولة ألسوفياتية سيكون لها دورا في لعبة الستراتيجييات في ألمنطقة مستندا على فرضية باهتة هي قوة الشيوعين في الشارع العربي واليهودي وقوة حزب ألعمال ألأسرائيلي " ألأشتراكي " . حصل هذا دون ان يبالي بالحرج الذي أوقع فيه رفاقه الشيوعين

العرب امام شعبهم الغاضب وألأكثر غرابة هو أنه من أصول جورجية مسيحية متشددة فكان موقفة على تعارض تام مع موقف تروتسكي ألمنحدر من عائلة يهودية محافظة . لقد أرسل ألكثير من أليهود رسائل ألى تروتسكي قبل أغتياله على يد ستالين في ألعام ١٩٣٩ يسألونه عن رأيه في مشرع أقامة دولة لليهود في فلسطين فكانت ردوده تجمع على أن حل ألمسألة أليهودية لا يتم عبر تأسيس دولة لهم هناك لأنه سيؤدي ألى سفك مستمر لدماء كل من أليهود وألعرب وأن أفضل ما يفعله أليهود هو ألأندماج بألحركات ألعمالية ألثورية في مناطق تواجدهم لحين أيجاد حل أممي ليس للقوى ألأستعمارية وألأمبريالية علاقة به (١٢) . ولذلك فأن مشروع أقامة دولة لليهود في فلسطين لم يكن مشروعا انسانيا خالصا ليهود "مضطهدين " كما جرى ألترويج له بل هو مشروع أمبريالي تقف على رأسه امريكا والصهيونية ألعنصرية والدول الأستعمارية الغربية لدفع المنطقة العربية وسكانها الى مزيد من الضعف والأنقسام والتدهور .

عندما ساءت الأوضاع في فلسطين الواقعة تحت الحماية البريطانية واشتعل الصراع المسلح بين الفلسطينيين الذين لم يتلق اي دعم حقيقي من اي نظام عربي بينما انهالت على الصهاينة كل انواع الدعم من كافة ألأطراف ، لجأت ألأمم المتحدة لحل مشكلة ما سمي بالنزاع العربي اليهودي الى اتخاذ قرار بتقسيم فلسطين بين الصهاينة والفسطينيين فأنفردت الدول العربية شكليا بالتصويت ضد القرار مهددة باللجوء الى ألحرب ضد الصهاينة كذبا ورياءا وتآمرا لتحسن صورتها أمام الجماهير العربية . نتيجة لقرارالدول العربية " المستقلة " بأعلان الحرب ضد الصهاينة دخلت الجيوش العربية فلسطين بروح فدائية نادرة غير ان التآمر الذي اشتركت به القوى الدولية والأنظمة العربية عرضتها لهزيمة مذلة ، كانت نتيجتها فرض هدنة بين المتقاتلين ادت في النهاية الى قيام الدولة الصهيونية وظم الضفة الغربية الى امارة شرق الأردن بدلا من ان تكون دولة للفلسطينيين وفقا لقرار مجلس ألأمن . استشاط الشارع العربي غضبا وهياجا فساد المنطقة العربية التوتر ألشعبي الذي استمر طيلة السنيين القليلة التي تلت مأ سمته ألأنظمة العربية " بالنكبة " مما أدى ألى أغتيال ألملك عبد الله بن ألحسين وهو في طريقه للصلاة في ألجامع .

٣,٥ - تشكيل الجامعة العربية :

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وبأيحاء من ألأنكليز ، بدأ ألسياسي العراقي نوري السعيد بالترويج لفكرة أقامة مؤسسة تجمع ألعرب بأسم **" الجامعة العربية "** فذهب ألى ألقاهرة لطرح الفكرة على الحكومة المصرية . رحبت الحكزمة ألمصرية بحماس بالغ بهذه ألفكرة ثم أستجابت دول عربية اخرى لها فتقرر تأسيسها في ٢٢ مايس من العام ١٩٤٥ لتتشكل من : العراق ، مصر ، سوريا ، لبنان ، السعودية ، اليمن الشمالي وألأردن فتقرر ان يكون مقر هذه الجامعة في القاهرة . وبعد أن كان عدد ألدول عند تأسيس ألجامعة سبع دول ، بدأ هذا ألعدد يتكاثر مع ألتخلص ألشكلي للأقطار ألعربية من ألأستعمار ألقديم كما يتكاثر الفطر

ليصل عددها الآن الى ٢١ دولة بينما رفضت ارتيريا التي حصلت على أستقلالها حديثا من اثيوبيا بأحتقار الأنضمام الى تلك الجامعة ألمشلولة لقناعتها وهي محقة في عبثية وجود مثل هذه ألمنظمة .

لم تكن فكرة تأسيس مثل هذه المؤسسة نابعة عن نوايا صادقة لتطويرعلاقات الدول العربية لتصل الى نوع من انواع الوحدة : أندماجية ، كونفدرالية أو فدرالية ، كما جاء في بروتكولاتها ، لأنه ببساطة كان ينقص ألقائمين على هذه الدول الأرادة التي هي لاتزال لحد ألأن بيد ألقوى ألدولية ألخارجية . كانت هذه ألفكرة بألأساس فكرة تسويقية واستباقية لتخدير أحاسيس ألجماهير العربية وأبعادها على ألأقل للفترة المنظورة ريثما يتم فيها تنفيذ ألأهداف ألستراتيجية ألعاجلة البعيدة المدى ألتي أعدتها تلك ألقوى للمنطقة ألعربية . على رأس هذه ألأهداف هو تحقيق مشروع اقامة الدولة الصهيونية في فلسطين الذي سيشكل نقطة ألأرتكاز الرئيسية لتنفيذ ألأهداف ألمستقبلية الأخرى التي تضمنتها تلك ألستراتيجية .

على اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وضع ألأستعمار البريطاني خرائط لتقسيم منطقة الشرق العربي وفقا لمصالحه فوضع خريطة سياسية لدولة العراق خالية من الكويت ، ألأهواز ، ألأحساء وحدودا غير عادلة مع أيران . كما وضع خريطة للجزيرة ألعربية تحتوي على أمارات تقع على أمتداد ساحل ألخليج ألعربي تبدأ من ألكويت حتى مضيق هرمز سميت بألمحميات وخارطة أخرى لمملكة عائلية سميت بألمملكة ألعربية ألسعودية لها شريط بحري هو بألأصل تابع لجغرافية أقليم بلاد ما بين ألنهرين ألطبيعية . أما أقليم بلاد ألشام فقد تقاسمه ألفرنسيون والبريطانيون على حصتين ، حصة ألفرنسيين هي لبنان وسوريا وحصة ألبريطانيين فلسطين وشرق ألأردن ليتم فيما بعد فصل أراضي هذه ألمناطق عن ألأراضي ألطبيعية ألتأريخية لبلاد ألشام ووضع خرائط سياسية منفصلة عنها . الهدف هنا واضح ، هو عدم منح فرص هذين ألأقليمين ألمهمين من ألحصول على أي عامل من عوامل القوة الجيوسياسية التي قد تشكل في المستقبل خطرا محتملا على الخطط ألستراتيجية العامة لقوى الهيمنة الدولية مما قد يؤدي الى افشال تلك الخطط أو ، في أحسن ألأحوال ، على تعثرها على امل افشالها في المستقبل . لقد مرت المنطقة العربية بأزمات وأحداث الحقت اضرارا فادحة ، ليس في حياة السكان العرب فقط بل بكيانات دولها دون ان تتمكن " جامعة ألدول العربية " منذ تشكيلها ولحد اليوم من وضع اية حلول لأي من هذه ألأزمات وألأحداث بل انها كثيرا ما كانت تساهم في انجاح الخطط ألستراتيجية ألتي أعدتها قوى ألهيمنة ألدولية من أمريكان وصهاينة للمنطقة .

أحد أهم نتائج الحرب العالمية الثانية هو انتقال مركز قوة التحكم الدولي من الدول ألأوربية ألأستعمارية القديمة التي اطلق عليها بوش ألأبن " بالقارة العجوز " الى ما يسمى ألأن بألأستعمار ألأمبريالي الجديد الذي تقوده امريكا ومعها ألصهيونية ألعالمية . لقد وضع هذا ألأستعمار ألمتسلح بألقوة ألعسكرية وألمالية وألأعلامية ألفائقة خططآ للمنطقة العربية فيها من ألخبث وألدهاء وألعنف اكثر بكثير مما وضعها ألأستعمار

ألقديم وفقا لما نراه أليوم بدءا من أحتلال ألعراق ومرورا بما يحصل في تونس وسوريا وأليمن وليبيا . أن سبب نجاح هذه الخطط ، كما كان الحال في السايق ، يقع على عاتق القوي الحاكمة في المنطقة ثم وبشكل اساسي على عاتق حركات التحرر الوطني والقومي التي حصلت على فرص تاريخية للنجاح لو انها تمكنت من وضع برامج عملية تحاكي الواقع الوطني والقومي .

أن انتقال الصراع المحلي وألأقليمي والدولي من ساحات المناطق الأخرى في العالم في شرق اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية الى المنطقة العربية له اسباب مباشرة منها القديمة ومنها الجديدة . من الناحية الجيوسياسية تشكل ألمنطقة ألعربية أهمية أستثنائية في مصالح دول ألعالم فهي تتوسط العالم ألمأهول وبالتالي فهي تربط اسيا بأفريقيا و تربط اقصى الغرب بأقصى الشرق وألشمال بألجنوب ولها اربعة ممرات ومضايق بحرية حيوية بالنسبة للملاحة والتجارة الدولية هي : مضيق جبل طارق ، قناة السويس ، باب المندب و اخيرا مضيق هرمز . وهي من ألناحية ألجوغرافية تحتل ألموقع ألثاني في ألعالم من ناحية ألمساحة بعد روسيا ومن ألناحية ألسكانية تحتل ألموقع ألثالث بعد ألصين وألهند . فوق كل هذا، تحتوي أرض هذه ألمنطقة على موارد وثروات طبيعية هائلة لا تحتويها اية منطقة اخرى في ألعالم من اهمها النفط وألغاز . لقد شكل ألأنتاج ألنفطي للمنطقة العربية في أعوام ألسيعينيات وألثمانينيات من ألقرن ألماضي أكثر من ثلث ألأنتاج ألعالمي وتوقع ألخبراء أن تتزايد هذه ألنسبة مع نضوب أنتاج ألنفط للكثير من ألدول . لكل تلك ألأسباب يمكن ألقول بأن ألصراع ألعالمي ألذي يدور حاليا في ألمنطقة العربية هو سباق للسيطرة على المنطقة وهو لا يختلف كثيرا عن ذلك ألصراع الذي عانت منه هذه المنطقة في العصور السحيقة جراء أطماع ألأقوام ألبربرية في ألسيطرة عليها ونهب ثرواتها .

٣,٦ - الثورات والأنقلابات العسكرية في الدول العربية " المستقلة " :

كانت جميع الدول العربية المشاركة في حرب فلسطين وهي العراق المرتبط بمعاهدة استعمارية مع بريطانيا وسوريا التي خرجت لتوها من ألأحتلال الفرنسي والأردن التي كانت " قوات جيشها " تحت قيادة الجنرال البريطاني كلوب باشا ومصر الخاضعة للهيمنة البريطانية أي ان كل هذه الدول غير مؤهلة لا سياسيا و لاعسكريا لخوض مثل تلك الحرب . لهذا السبب بدأت مظاهر تذمر وهياج الشارع العربي ، كان من نتائجها اغتيال ملك الأردن عبدالله بن الحسين في العشرين من تموز من العام ١٩٥١ وهو ذاهب للصلاة في الجامع ونجاح منظمة الضباط الأحرار المصرية في الثالث والعشرين من تموز من العام ١٩٥٢ في أزاحة النظام الملكي في مصر . كانت هناك عدة محاولات من بعض ضباط الجيش العراقي لتغيير النظام لم يتحقق لها النجاح الى أن تمكن بعضهم من أسقاط النظام الملكي في الرابع عشر من تموز من العام ١٩٥٨ وأستأصال رموزه . اما سوريا فقد شهدت منذ نهاية الأربعينيات الى بداية الخمسينيات سلسلة من الأنقلابات

العسكرية كان اخرها انقلاب أديب الشيشكلي الذي شهد في السنوات الأخيرة من حكمه الديكتاتوري انتفاضات شعبية وعسكرية ادت الى هروبه ثم قتله في البرازيل لتعود سوريا الى ارساء نظام برلماني ديموقراطي وطني ، كان لحزب البعث العربي الأشتراكي فيه ثقلا واضحا بسبب ما حصل عليه من شعبية كاسحة اهلته للمشاركتة في الساطة فأصبح صلاح البيطار ، احد ابرز مؤسسي حزب البعث ، اشهر وزير خارجية للجمهورية السورية في ذلك الوقت والذي جرى أغتيالة في فرنسا على يد نظام حافظ ألأسد في ٢١ تموز / يوليو من العام ١٩٨٠ قبل بدأ الحرب العراقية ألأيرانية بشهرين تقريبا .

ما ان ظهر جمال عبد الناصر كقائد فعلي للضباط ألأحرار وأزاحت محمد نجيب ذو ألأتجاهات السياسية الدينية القريبة من " ألأخوان المسلمين " من رئاسة ألجمهورية حتى بادر ألأخوان المسلمون الذين ارتضوا لأنفسهم ان يتحولوا الى "حصان طروادة " للقوى الخارجية ، كما هو حاصل أليوم ، بهدف وأد مسيرة الثورة المصرية من خلال محاولة اغتيال عبد ألناصر مما شكل سببا للنظام الثوري في مصر للتنكيل بألأخوان ألمسلمين وأعدام مرشدهم .

بعد تسلمه منصب رئاسة جمهورية مصر ، قام جمال عبد الناصر في العام ١٩٥٤ بنشر كراس تحت عنوان " فلسفة الثورة " حدد فية ثلاثة دوائر تشكل المجالات الحيوية لتحقيق لسياسة الثورة المصرية وهي : الدائرة العربية ، الدائرة ألأسلامية و الدائرة ألأفريقية . صاحب ذلك ، اقدام مصر على انشاء اول محطة اذاعية اعلامية تنطق بأسم العرب وهي " صوت العرب " التي حصلت على شعبية واسعة بين المواطنين الذين داخلتهم الشكوك في السنين الأولى للثورة حول طبيعة وتوجهات النظام الجديد غير ان تلك الشكوك تلاشت بعد ان اقدم النظام المصري على تنفيذ عدة قرارات وطنية تمثلت بأزالة ألأقطاع وتوزيع ألأراضي على الفلاحين وتوسيع التعليم المجاني وأقامة المصانع وبناء السد العالي . أقدم عبد الناصر على الصعيد القومي على تقديم كل انواع المساعدات المطلوبة لحركات التحرر ألعربية في ألأقطار التي لاتزال ترزح تحت ألأستعمار الغربي كالجزائر والجنوب اليمني . كانت اذاعة " صوت العرب " تكرس اغلب برامجها اليومية للدفاع عن حقوق العرب في ألحرية بتمتعهم بثرواتهم وتحقيق وحدتهم فأرتفعت مكانة جمال عبد الناصر في قلوب وضمائر الجماهير من البسطاء العرب . لقد اثبتت هذه الجماهير كم هي كانت مخلصة في مشاعرها وفي استعدادها للتضحية عندما اقدمت بريطانيا وفرنسا بالتحالف المكشوف مع اسرائيل على شن الحرب ضد مصر في العام ١٩٥٦ في أعقاب تأميم قناة ألسويس ,

في يوم ٢٦ تموز من العام ١٩٥٦ ، أعلن جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس لأستخدام عوائدها في بناء السد العالي بعد ان عجزت الحكومة المصرية من الحصول على تمويل من البنك الدولي وألحكومة ألأمريكة لبناء ذلك ألسد مما أدى ألى نقمة كل من بريطانيا و فرنسا على عبد ألناصر فأخذ أعلامهما بتشبيهه

بهتلر وألدعوة الى اسقاطه . كانت مؤامرة اعادة احتلال مصر بغزوها واسقاط النظام السياسي فيها من قبل بريطانيا وفرنسا وأسرلئيل عملية حمقاء بكل المقاييس السياسية والعسكرية وهو ما اثبتته النتائج المباشرة والبعيدة لذلك الغزو . كانت أحدى هذه النتائج هي فشل الغزو في اخضاع مصر وتعرض رئيس الوزراء البريطاني ايدن الى انهيار عصبي حاد وهو يشاهد افول نجم الأمبراطورية البريطانية مما تطلب علاجه وسفره الى منتجع بعيد عن تلك الأمبراطورية في احدى الجزرالكاريبية كما سقطت حكومة غي موليه الفرنسية " ألأشتراكية ". اما أهم النتائج الغير مباشرة فكانت مزيدا من ألألتفاف و الدعم الشعبي العربي ألجماهيري لمصر ولرئيسها جمال عبد الناصر مما مهد الى قيام اهم حدث في التأريخ الحديث للأمة العربية وهو قيام الوحدة بين مصر وسوريا في ٢٢ شباط من العام ١٩٥٨ . كانت هناك آمال شعبية عريضة في أن يلتحق العراق بقطب الوحدة بعد نجاح حركة الضباط ألأحرار من اسقاط النظام الملكي ألعراقي غير أن ألذي حصل هو انقسام عمودي في السلطة وفي الشارع السياسي حول الوحدة أدى الى تلاشي تلك ألأمال بعد أن أحتكر عبد الكريم قاسم ألسلطة لنفسه مستعينا بكافة المعارضين للوحدة وعلى رأسهم الشيويوعيين . أستمرت حالة التوتر الشديد بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقبة حتى بعد ان تمت عملية أنفصال سوريا عن مصر في ٢٨ ايلول من العام ١٩٦١ بعد نجاح انقلاب عسكري قاده النحلاوي . نجحت عملية ألأنفصال بسبب ألأخطاء التي رافقت تلك الوحدة من ناحية و بفعل شدة التآمر عليها من ناحية أخرى . مع ان ألأنفصال ولد مرارة ظاهرة عند القيادة المصرية وخيبة في صفوف الجماهير الا ان حركة التحرر الوطني والقومي في المنطقة والعالم لم تتوقف ولم تصل بعد الى حالة الفتور او ألأنكفاء كما هو حالها اليوم في عصر ألهيمنة ألأمريكية ألمطلقة على ألعالم .

لم يمض وقت طويل على أنفصال ألوحدة بين سوريا ومصر وبعد أيام قليلة من وفاة ألأمام يحيى وتنصيب ولده ألبدر اماما لليمن حتى حملت ألأنباء قيام الجيش اليمني بقيادة عبد الله السلال في ٢٦ ايلول / سبتمبر من ألعام ١٩٦٢ بثورة عسكرية انقلابية على نظام ألأمامة الذي ترك اليمن غارقا في ظلام القرون السحيقة من جهل وفقر مما أثلج صدر عبد ألناصر ومعه الجماهير ألعربية . تمكن ألأمام البدر من الهرب وألذهاب ألى السعودية ألتي ساندته وساعدته في أشعال حرب أهلية داخلية طويلة ومريرة أستمرت الى العام ١٩٦٧ بين انصار الأمامة مدعومين من السعودية وألأردن والغرب وبين انصار ألنظام ألجمهموري ألمدعوم من مصر . أنتهت ألحرب ألأهلية في أليمن بعد تصالح ملك السعودية مع جمال عبد الناصر في مؤتمر الخرطوم لبحث تداعيات حرب ألأيام ألستة مع الصهاينة ألتي شكلت اسوء كارثة مرت بها ألأمة العربية بعد كارثة احتلال فلسطين .

مع حصول مثل هذه ألأخفاقات ، واصلت قوى حركات التحرر ألوطني والقومي نجاحاتها في أكثر من مكان فحصلت ألجزائر على ألأستقلال عن فرنسا في يوم ١٩ مارت ١٩٦٢ فكان ذلك اليوم يوم عرس للجماهير العربية من ألخليج الى المحيط . لم تذهب مساعدة مصر لجبهة التحرير الجزائرية ولا ألألتفاف ألعربي ألجماهيري وألعالمي حول ألثورة هباءآ لكن ألثمن ألذي دفعته ألجماهير الجزائرية كان باهضا بعد أن دفعت ألجزائر خلال حربها ألشعبية مع ألأستعمار ألفرنسي عددا من ألشهداء وصل ألى ألمليون شهيد . وبعد خمس سنوات على ألثورة ألجزائرية ، نجح ألجيش ألليبي من أزاحة نظام ألسنوسي وأقامة نظام وطني مستقل وكأن أستقلال ألجزائر وألثورة ألليبية كانا ردا على نتائج حرب حزيران ١٩٦٧ ألكارثية ولم تمض سوى ثلاث سنوات حتى نجحت ألثورة أليمنية ألجنوبية من أنتزاع ألأستقلال من ألأستعمار ألبريطاني لتقوم في العام ١٩٧٠ جمهورية أليمن ألأديموقراطية ألشعبية .

كانت سنوات الخمسينيات والستينيات سنوات أنتصار لحركات التحرر الوطني والقومي ، وصلت الذروة في نضالاتها ليس في المنطقة العربية وحدها وأنما في مناطق كثيرة من العالم ، في اسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية المبتلية بكل من ألأستعمار ألقديم وألأستعمار ألأمبريالي ألحديث . من نتائج تلك المرحلة هي نجاح الثورة المسلحة ألكوبية بقيادة كاسترو في ألعام ١٩٥٩من أزاحة حكم باتستا ألكدتاتوري ألخاضع للأمبريالية ألأمريكية وأقامة نظام سياسي تقدمي معادي للأستعمار ألعالمي ألأمبريالي . وبعد أستقرار وضع كوبا تنازل أحد قادتها ألثوريين من كافة مواقعه في ألدولة ألكوبية وأختفى ، هذا ألرجل هو أرنستو دي جيفار ألأرجنتيني ألأصل وألأهتمام بذكر هذا ألرجل هو للدلالة على مدى وحشية وهمجية ألأستعمار ألأمبريالي ألحديث الذي مارسه ضد ألأفراد وألشعوب . أهتمت ألأستخبارات ألأمريكية بشكل غير عادي في معرفة مكان هذا ألرجل بعد مغادرته كوبا الى أن تأكدت من وجوده في بوليفيا وهو يقود مجموعة مسلحة ضد ألنظام ألعميل فطاردته الى أن تم ألقبض عليه جريحا في مواجهة مسلحة ليقوم ضابط ألمخبارات ألأمريكية بقتله وهو حي ليصبح قبره ألأن مزارا لكثير من مواطني بوليفيا وألعالم . وبعيدا عن سرد تفاصيل ألأحتلال ألأمريكي ألبريطاني للعراق ، أعلنت ألقيادة ألعسكرية ألأمريكية بعد ألقبض على صدام حسين بأنه " اسير حرب " لكنها لكي تتخالص من عملية أغتياله ، أقدمت على تسليمه لعملائها العراقيين ألذين سلمتهم مقاليد حكم ألعراق ليقوموا بأعدامه في أول يوم من أيام عيد ألأضحى فكان ألهدف من أعدامه هو نفس الهدف من قتل جيفارا مع ألأختلاف في شخصية وتجربة كل منهما . أختلفت طريقة ألقتل لكن ألهدف هو واحد : أيقاف عملية تحرير ألشعوب وتقدمها لتظل فقيرة وجائعة تنتظر ألرحمة من قوى ألهيمنة ألدولية فأقل مايقال عن ممارساتها ألأجرامية هو أنها غاية في ألخسة وألحقد يخجل حتى ألشيطان من ألأخذ بها . مثل هذه ألممارسات لم توقف حركات تحرير ألشعوب وتفاعلها مع هذه ألأحداث وخير مثال عما يمكن أن تفعله ألشعوب هو ما حصل في

ألأردن بعد ألعدوان ألثلاثي على مصر في ألعام ١٩٥٦ . هذا ألبلد ألصغير الذي تم فصله عن أرض بلاد ألشام واللذي لا يتعدى عدد سكانه في تلك ألسنة أكثر من مليون ونصف ، ظهرت في مدينة ألسلط مظاهرة للتنديد بذلك ألعدوان ولما لجأت ألقوات ألحكومية على استخدام ألعنف ألمفرط لتفريقها ألذي وقتل أعداد منهم على رأسهم أحدى ألفتيات ، أجتاحت ألمظاهرات كل مدن ألأردن ولم تهدأ ألا بعد سقوط ألحكومة وأعفاء قائد الجيش ألأردني الجنرال ألبريطاني كلوب باشا . في أجواء هذا ألأنتصار تشكلت حكومة وطنية شارك فيها عضو القيادة القطرية لحزب البعث عبد الله الريماوي وأحد قادة ألحزب الشيوعي الا انها لم تدم طويلا بعد انباء عن حدوث محاولة انقلاب عسكري فاشلة قام بها الجيش ألوطني ألأردني ضد النظام الملكي . ما حصل في ألأردن يشبه ما حصل في ألعراق عندما لجأت حكومة نوري السعيد بعد ألعدوان ألغربي ألصهيوني على مصر الى تعطيل المدارس والجامعات لأنهاء ألمظاهرات ألتي أجتاحت مدن ألعراق فأطل رئيس ألوزراء نوري ألسعيد بألقاء خطاب مسجل من محطة ألأذاعة ألعراقية تلاه بشكل متقطع بسبب شيخوخته متوعدا فيه الجماهير المنتفضة بأن **" دار السيد مأمونة "** . غير ان دار السيد لم تكن مأمونة كما كان يتوهم وكما تبين فيما بعد في فجر يوم ١٤ تموز من ألعام ١٩٥٨ فقامت جماهير ألشعب ألعراقي في أليوم ألتالي على قتله وهو متخفي في زي أمراة وألتمثيل بجثته وسحبها في شوارع بغداد بحقد وحشي ضاري لم يره أحد في كل ألثورات التي حصلت في ألعالم .

رغم الكثير من الملاحظات عن الوضع السياسي الداخلي ورغم الم الأنفصال ، واصلت جمهورية مصر العربية عملية البناء الداخلي الوطني في التعليم و الثقافة والصناعة والزراعة فتم أنجاز بناء السد العالي بعد أن رفضت القوى الدولية ألأستعمارية تقديم المساعدة في بناءه بدون شروط مذلة . واصلت جمهورية مصر ألعربية رغم ألم ألأنفصال ألى أستكمال عملية ألتنمية وألتقدم لكن كارثة حرب ٥ حزيران من عام ١٩٦٧ أرجعت مصر وشعبها ألى ألوراء .

كانت هناك امال جماهيرية واسعة في كافة اقاليم المنطقة العربية في ان يلتحق العراق بعد نجاح ثورة الرابع عشر من تموز بالحركة الوطنية الرسمية التي تقودها مصر حينذاك والتي قدمت كل أنواع التأييد للثورة ألعراقية ، لكن لا احد كان يعلم بالضبط ما ألذي يدور في خلد عبد الكريم قاسم وما هي حقيقة نواياه أتجاه " الجمهورية العربية المتحدة " . بعد مدة ليست طويلة ، أتضحت ألنوايا ألسلبية لعبد الكريم قاسم أتجاه ألجمهورية ألعربية ألمنتحدة عندما ساق صديقه منفذ ألثورة عبد ألسلام عارف ألى ألمحاكمة ليحكم عليه بألأعدام بتهمة محاولة أغتيال " الزعيم " . بنفس الوقت ترك عبد الكريم مؤيدي ألحزب ألشيوعي ألعراقي يجوبون شوارع بغداد وهم يهتفون " البلح في جيب وألنفط في جيب " وغيرها من ألشعارات وألأهازيج ألغرائزية ألمقززة التي تفتقر ألى ألذوق وألأخلاقية . أستمرت ألأزمات ألداخلية وحالات ألتوتر ألسياسي ألحاد

طيلة أيام حكم عبد ألكريم قاسم ألى أن نجح ألبعثيون في ألقضاء على حكمه وأعدامه بأنقلاب عسكري – مدني في ٨ شباط من ١٩٦٣ لتفتح مرحلة مأساوية أخرى في تأريخ ألعراق جرى فيها ألتنكيل ألشديد ألغير مبرر بقادة وأعضاء ألحزب ألشيوعي . لم تمض ألسنة حتى أنقلب رئيس ألجمهورية عبد ألسلام عارف على من نصبوه رئيسا للدولة فدبر أنقلابا ضدهم وأزاحهم من ألسلطة .

لم تنته ألخلافات بين أطراف ألحركات ألوطنية في ألعراق وفي ألأقاليم ألعربية ألأخرى من شيوعيين وبعثيين وديموقراطيين ومستقلين وطنيين فتتابعت ألأحداث ألتي تجرع مرارتها ألجميع حكاما ومواطنين . أول هذه ألأحداث هو حادث فصل سوريا عن مصر عام ١٩٦١ ألذي جرى ذكر تفاصيله سابقا ، أما ألحادث ألأكثر أهمية فهو قيام ألدولة ألصهيونية بشن هجوم عسكري جوي وبري مباغت على جمهورية مصر ألعربية في ٥ حزيران ١٩٦٧ . كان هذا ألهجوم صفحة من صفحات مؤامرة أقليمية ودولية ضد المنطقة العربية تم رسم خيوطها بعناية فائقة في دهاليز مراكز ألأستخبارات ألأمريكية لقصم ظهر مصر وشل قوى حركات ألتحرير ألوطنية وألقومية لمنعها من تحقيق أهدافها بدفعها نحو مستقبل مجهول لم تتخلص منه لحد ألأن .

٣,٧ : العدوان ألصهيوني على مصر في ٥ جزيران ١٩٦٧ :

كان واضحا منذ البداية ان الدور الذي رسمته قوى التحكم الدولي وألصهيونية العالمية لا يهدف ألى أقامة دولة لليهود ألصهاينة في فلسطين **" تعيش بسلام حنبا ألى جنب مع دولة للفلسطينين "** كما نص قرار مجلس ألأمن وأنما ، كما سيتمين فيما بعد ، لهدف أكبر من ذلك . منذ أن تم أعلان قيام الدولة الصهيونة ، مارست هذه الدولة سياسة التطهير العرقي وتهجير ألفلسطينيين واحتلال مدنهم وقراهم والدفع بهم الى خارج اراضيهم فحرموهم من العيش بالسلام الذي وعدهم به مجلس ألأمن وهم لا يزالون لحد ألأن في ظل تجاهل اتخاذ اي اجراء لرفع الحيف عنهم . لم تكتف الدولة الصهيونية بما فعلته بالفلسطينيين فأخذت تختلق الأسباب لأيجاد حالة التوتر في المنطقة خاصة بعد قيام الثورة المصرية ليصل هذا التوتر في بعض ألأحيان الى اشتباكات مسلحة بين الجيش المصري والعصابات الصهيونية على حدود رفح لأرباك اوضاع مصر والمنطقة العربية . كانت حالات هذا التوتر تتصاعد كلما تصاعد الدور التحرري الذي انتهجته مصر في المنطقة العربية وفي المناطق ألأخرى من العالم لخلق اجواء مناسبة لمراكز استخبارات كافة قوى الهيمنة الدولية لرسم خطط تهدف الى انهاء هذا الدور.

في ألعام ١٩٦٧ تصاعد التوتر بين اسرائيل من جه وسوريا ومصر من جهة اخرى على نحو خطير بسبب الاشتباكات بين الجيش السوري والجيش الصهيوني على جبهة الجولان فأعلن ألرئيس جمال عبد الناصر اغلاق مضايق تيران امام الملاحة الدولية للتضيق والضغط على اسرائيل مما اعتبرته اسرائيل بمثابة

اعلان الحرب عليها . بعض من السياسين الليبراليين سواء من العرب او من غير العرب ، الذين يسخرون من ذكر **" نظرية المؤامرة "** حول الذي حصل من احداث في المنطقة العربية مصابون بلا شك بالعمى السياسي هذا اذا لم يكونوا متورطين ومشاركين بالتأمرعلى المنطقة والا كيف يفسرون ما حدث لهذه المنطقة خلال سنوات ما بعد الحرب العالمية الأولى من تنفيذ لمعاهدة سايكس – بيكو السرية بين الدولتين الأستعماريتين بريطانيا وفرنسا في تقسيم المنطقة على نحو يخدم مصالحهما المشتركة و ماحدث لها منذ الحرب العالمية الثانية لغاية اليوم .

بعيدا عن الجوانب العسكرية لحرب ٥ تموز من العام ١٩٦٧ بين اسرائيل وجمهورية مصر العربية وعن نتائجها الكارثية ، اصبح من المعروف بأن اسرائيل قد تلقت كل انواع الدعم ألأمريكي والغربي في تلك الحرب وبأن التخطيط لهذه الحرب قد تم بين اسرائيل وامريكا . قام أحد ألكتاب ألأمريكان بتأليف كتاب عن هذه ألحرب تحت عنوان " أسرار ووثائق حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ " أهم ما جاء فيه هو أن ألرئيس ألأمريكي في ذلك ألوقت جونسن هو من وضع كلمة ألسر للبدء فيها وهي : " Leash The Dogs . كان الهدف من هذه الحرب واضحا وهو ليس قصم ظهر مصر فقط بل ظهر المنطقة العربية لتضعها في حالة ترنح وضياع تجعلها غير قادرة على التخلص من الفوضى وألأرتباك في اوضاعها التي ستخلفها تلك الحرب لفترة طويلة من الزمن .

كثير من الحركات التحررية اخفقت في تحقيق اهدافها وقليل منها نجحت وفقا للضروف التي عاشتها تلك الحركات فلو ان وفاة عبد الناصر تأخرت عقدا او اقل من السنين لربما كان بأمكانه ألتخلص نهائيا من نتائج تك ألحرب وألنهوض مجددا . يمكن أن يقال نفس ألشيىء ايضا ، لو ان وفاة لينيين قد تأخرت في روسيا بضع سنين من الزمن لربما لن يحصل للذي حصل للأتحاد السوفياتي من تفكك وانهيار على يد غرباتشوف مؤلف كتاب " الشفافية وأعادة ألبناء " ليترأس ألدولة ألروسية فيما بعد شخص اخر بائس ، احمق ، سكير ، ولعوب أسمه يلتسن . بألمقابل ، أستطاع ألحزب ألشيوعي ألصيني بقيادة ماتسي تونغ من تجاوز كل ألعثرات ألتي وضعت في طريقه منذ زوال ألأمبراطورية ألصينية مرورا بألحرب ألعالمية ألثانية وحتى دخول قواته ألعاصمة بكين في العام ١٩٤٨ لما تمكنت ألصين من ألنهوض تحت قيادة ماتسي تونغ ثم بعد أللذين جاؤوا من بعده . تمكن ألقادة ألصينيون بحنكة وبدهاء من تلافي مشاكلهم ألداخلية ألسياسية وألأقتصادية بعد غياب قائدهم ألتأريخي ليواصلوا مسيرتهم ألظافرة في ألبناء وألتصنيع ألى أن تصبح ألصين ألى ما هي عليه الان من مكانة أقليمية و دولية مرموقة .

ليس المهم هنا وضع اللوم على النظام ألمصري وألنظم ألعربية ، المهم هو ما حصل للمنطقة العربية في مرحلة ما بعد ٥ حزيران ١٩٦٥ من ارتباك شديد ليس في الأوساط الحكومية المهزوزة فقط بل في ألأوساط

الشعبية العربية على امتداد ساحة ألمنطقة . كل هذا شكل بداية مرحلة جديدة لم تكن موفقة ايضا للأسف لأسباب كثيرة منها ذاتية ومنها ألموضوعية . التغيير المباشر الذي حصل في المنطقة نتيجة للعدوان ألصهيوني هو تبوأ قائد " فتح " حركة التحرير الفلسطيني ياسر عرفات منصب الشقيري كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وانتحار المشير عبد الحكيم عامر وتقديم مسؤلين كبار من النظام المصري الى المحاكمة . كل هذه ألأجراءات لم تؤدي الى تهدأة الجماهير الشعبية المصرية التي طالبت بعدم الموافقة على وقف اطلاق النار والبدء بتنظيم حرب شعبية مسلحة طويلة النفس ضد الصهاينة حتى يتم دحر العدو الصهيوني غير ان السلطات المصرية لم تستجب لهذه المطالب متكأة على وعود السوفيات بتقديم كافة انواع الدعم و العون اللازم " لمحو اثار العدوان " وهو خطأ فادح أرتكبته حكومة عبد ألناصر .

في بغداد وفي اغلب العواصم العربية ، تواصلت ، المظاهرات الصاخبة ليلا ونهارا وهي تحمل نفس مطالب الجماهير المصرية تقريبا غير ان النظم السياسية العربية ظلت عاجزة عن سماع اصوات تلك الجماهيير . ولما لم تكن هناك حلول واضحة للأنظمة العربية وجامعتها المشلولة لتلافي مثل هذا الأرتباك ، اخذ المئات ان لم يكن الألاف من الشباب العربي الثائر من شيوعيين وبعثيين وحتى من الذبن لم يكن لهم أي أهتمام سابق بألأوضاع السياسية ، بالأندفاع وألأنخراط في صفوف منظمات المقاومة الفلسطينية المسلحة وبشكل رئيسي فى فتح في قواعدها العسكرية في ألأردن ثم في لبنان . بما ان فتح هي من اقدم المنظمات منذ أن جرى تشكيلها في بداية ١٩٦٥ فأن من ألمفترض أن تكون لقادتها الخبرة السياسية والعسكرية لتحقيق ألأهداف التي يتطلع اليها الشعب الفلسطيني ، لكنها بدلا من ان توظف هاذين العاملين بشكل مباشر وفعال لصالح استراتيجيتها الخاصة ، دخلت حلبة لعبة الأنظمة العربية التي خلقت في العام ١٩٦٨ مناخات لسلسلة من حالات ألأحتكاك والتوتر بينها وبين الجيش ألأردني . وبعد تصاعد هذه ألحالات ، شرع النظام الملكي ألأردني بشن حرب عسكرية شعواء ضد المقاومة انتهت في شهر ايلول ألى طردها من ألأردن ولم تنفع تهديدات نظامي البعث في ألعراق وسوريا بالتدخل لصالح ألمقاتلين ألفسطينيين لأنه عندما وقعت الواقعة لم يقم اي منهما بأي عمل فعلي لمساعدة المقاومة فترددت اقاويل عندها بأن السبب هو تلقيهما تهديدات امريكية بعدم ألتحرك . على أثر ذلك ، أقدمت بعض الفصائل الفلسطينة في العام ١٩٧٠ على تشكيل منظمة تتبنى العنف في عمليات خاصة مثيرة ، هي منظمة " أيلول ألأسود " للضغط على أألأنظمة العربية وعلى مراكز النفوذ العالمي محاولة دفعها لتغيير مواقفها من قضيتهم العادلة ألا ان هذا لم يحصل .

لم يكن امام الفصائل الفلسطينية بعد ان فقدت قواعدها في ألأردن سوى التطلع الى لبنان لمواصلة عملها هناك فأخذت عناصرها بالتسلل اليه خاصة وان لها وجود محدود سابق في الجنوب المحاذي لحدود الدولة الصهيونية . وجدت فصائل المقاومة الفلسطينية في لبنان ترحيبا حارا من قبل القوى الوطنية اللبنانية

فأحتضنتها بينما اتخذت القوى المحافظة وخاصة القوى ألسياسية الطائفية المسيحية وكلعادة موقف التوجس والرفض لها مما ادى الى ظهور بدايات استقطاب طائفي حاد في الوضع اللبناني أججته قوى الهيمنة والتحكم الدولي ليكون بداية لتنفيذ مخططاتها الكونية في لبنان وفي المنطقة العربية .

توفى عبد الناصر فجأة في ٢٨ من ايلول من العام ١٩٧٠ بعد عودته من المطار لتوديع اخر من حضر اجتماعات لتلافي تداعيات حرب " ايلول ألأسود " على المقاومة الفلسطينية فترك امة مفجوعة تعاني ألبلاء ألشديد . أدت هذه ألحادثة ألى أصابة الجماهير العربية من خليجها الى محيطها بألخوف وألهلع من ألمصير ألمجهول الذي سيتعين عليها مواجهته بعد رحيل عبد الناصر . تسلم محمد انور السادت رئاسة مصر وفقا للدستور المصري فأخذ يردد بأنه سيسير على نهج عبد الناصر وكان لا يترك فرصة عندما ياتي ذكره الا ويقول " الله يرحمو " عند كل أطلالة اعلامية . لم يدم هذا ألوضع طويلا فما عاد ألسادات يقول هذه ألعبارة عن عبد ألناصر بعد أن نجح في تصفية **" مراكز ألقوى "** ألتي تظم مجموعة قيادات هي ألأقرب وألأكثر أخلاصا لنهج عبد ألناصر . من وقتها أحتل ألسادات موقع قياد مصر فحكم مصر على طريقة حكم ألفراعنة لها فأخذ يقرب ألى ألسلطة من يريد تقريبه ويبعد من يريد أبعاده عنها فكان اول من قربه ووضعه في تشكيلة ألوزارة وأول من أبعده عنها هو حسنين هيكل . ولما بدأت جماهير مصر ألتململ من ألنظام ألذي ألذي أقامه ألسادات لم يتردد من أبداء أحتقاره لها وعندما تطور هذا ألتململ ألى أحتجاجات صاخبة ، هدد تلك ألجماهير قبل أغتياله بأشهر قليلة " بثرم " كل من يعارضه في نهجه السياسي " ألأنفتاحي الجديد " .

كان معروفا عن السادات انه يتمسكن امام سطوة القوة لدرجة انه مستعد ليصبح عبدا لها وعندما يمسك بعامل من عوامل تلك القوة يصبح فرعونا . كتب ألكثيرون ممن عرفوا هذا ألرجل عن تركيبته ألشخصية لكن افضل من عرفه وكتب عنه هو حسنين هيكل في كتابه " خريف الغضب " (١٣) . لكن ألسؤال هو أذا كان هيكل يعرف عن السادات كل تلك الحقائق التي ذكرها في كتابه والتي تعود لفترة امتدت لعقود من السنين فلم وافق على تسلم منصب وزارة ألثقافة في عهده ؟ . هل لأنه كان يشارك أللذين يسخرون من وجود " نظرية المؤامرة " في تلك المرحلة الخطيرة من تأريخ مصر وكيف اتته الصحوة فجأة ليقدم استقالته من الوزارة ليتحدث في وقت متأخر من عمر نظام ألسادات على نحو يبدو وكأنه من ألمعارضين له ليقوم ألسادات بزجه في ألسجن فظل فيه الى أن تم أغتياله ليطلق سراحه ألرئيس ألجديد حسني مبارك ألذي لم تعرف جماهير مصر في عهده ألعافية .

ألغرابة أن حسنين هيكل أورد في كتابه عن ألسادات معلومة تقول بأن أحد معارفه من قادة ألدوائر ألأمنية ألمصرية قال له " أننا أكتشفنا وجود اشارات اتصال مع مقر ألأستخبارات المركزية ألأمريكية صادرة من مسكن السادات " (١٣) . أذا كانت هذه الواقعة صحيحة فهي تعزز ما تداولته القوى الوطنية والقومية

والشعبية بأن حرب ١٩٧٣ التي خاضتها كل من مصر وسوريا ضد الدولة الصهيونية لم تكن **" حرب تحرير "** حقا كما ادعى كذبا ورياءا كل من انور السادات و حافظ ألأسد ، وأنما هي كما وصفتها ألجماهير ألعربية **" حرب تحريك "** ستؤدي الى حلول سياسية يخرج منها النظامان السادتي و ألأسدي وكأنهما فعلا خاضا حربا تم فيها كسر شوكة اسرائيل وبأنهما القائدان " ألمنتصران " في تلك الحرب .

كتب الكثيرون عن هذه الحرب وابرز من كتب عنها هو ألفريق سعد ألدين الشاذلي رئيس اركان الجيش المصري في وقتها حيث فضح واقعة " الدفر سوار " أضافة الى وقائع ومجريات الحرب منذ بدايتها وحتى نهايتها وما تلاها (١٤) . بينت مذكرات هذا ألفريق بما لا يقبل الشك بأن هذه ألحرب كانت فعلا **" حرب تحريك "** وليس حرب تحرير تم ألتخطيط لها بدقة متناهية ليس على يد العقول العسكرية والسياسية العربية الرسمية بل على يد دهاقنة ألقابعين في دوائر المخابراتية الدولية على رأسها المخابرات المركزية ألأمريكية . كانت ألنتائج ألنهائية لهذه ألحرب على أقاليم ألمنطقة ألعربية وعلى شعبها أمر وأقسى بكثير من نتائج حرب أكتوبر من ألعام ١٩٦٧ كما بينت نتائجها ألعسكرية وألسياسية .

بعد ان تمكنت قطعات الجيش المصري الشجاعة في الساعات الاولى للحرب من عبور القناة وازالة خط بارليف واحتلال ألأرض الممتدة على طول غرب القناة بعمق يتراوح من ٥ الى ١٠ كم ، توقفت فجأة عند ذلك الخط ولم تتجاوزه ، بينما الخطة الأصلية التي وضعتها القيادة العامة المصرية والتي أقرها عبد الناصر قبل وفاته ، هي وصول ألقوات ألمصرية الى ممرات الجدي ومتلا و التمركز فيها لحين ألبحث عن أيجاد حل سلمي للصراع . أندفعت القوات السورية عند بدأ ألمعركة وفي ألأيام ألأولى منها ، فأجتازت دفاعات ألقوات ألصهيونية وتغلغلت في عمق أرض الجولان وكادت أن تصل ألحدود ألدولية لكن توقف المعارك شرق قناة ألسويس اتاح للقيادة الصهيونية سحب قواتها من هناك و ضمها الى الحشد العسكري الذي تم اعداده لصد التغلغل السوري . تمكن الصهاينة من جمع قوة عسكرية هائلة على جبهة الجولان فصدر ألأمر للقيام بهجوم صاعق في يوم ١١ اكتوبر/ تشرين أول فتم صد القوات ألسورية وسحق هجومها والتوغل داخل سوريا حتى وصلت قصبة سعسع ألتي لا تبعد عن دمشق سوى ٥ كم فقط مهددة بأحتلالها .

هب العراق الرسمي وقرر دخول تلك الحرب الى جانب سوريا فأصطفت جماهير الشعب العراقي على جانبي الطريق تودع المقاتلين العراقيين وهي تحيي ألقطعات وتنشر الزهور والنساء تزغرد وبعد ان اكتمل وصول القوات العراقية الى الجبهة في ١٠ و ١١ و ١٢ من تشرين اول ، باشرت عملياتها العسكرية ضد القطعات العسكرية الصهيونية بدون ان تنال حتى قسطا من الراحة وظلت في مواقعها لغاية ٢٠ من تشرين اول . اتفقت قيادة الجيش العراقي وقيادة الجيش السوري على ألقيام بهجوم مباغت ضد ألقوات ألصهيونية في فجر ذلك أليوم ألذي سيجتمع فيه مجلس ألأمن لكن القيادة السورية أيلغت قيادة ألجيش ألعراقي قبل ساعات

قليلة من توقيت ألهجوم بموافقتها على قرار لمجلس ألأمن بوقف أطلاق ألنار ألذي صدر في ٢٢ من تشرين اول . شكل موافقة ألقيادة ألسورية على هذا ألقرار ألمشبوه صدمة للقيادة ألسياسية ألعراقية مما أدى ألى أصدار أمر عاجل ألى قطعات ألجيش ألعراقي بألتحرك فورا للعودة ألى ثكناتها في ألعراق .

بعد وقف اطلاق النار استمرت سلسلة طويلة من الأجتماعات العسكرية لما سميت " بفك ألأشتباك " بين القوات الصهيونية والقوات العربية في كل الجبهات وهي مسألة تقنية ليس لها اية علاقة بالسياسة لكن بما ان الكفة هي لصالح أسرائيل ، لم يجد السادت مخرجا لتعزيز " انتصار حرب أكتوبر" ، الذي تغنى ومعه ألكثيرون به طويلا سوى الأستسلام الكامل أمام الصهيونية العالمية وامريكا . أدى هذا ألأستسلام في ألنهلية ألى ألتوجه ألخياني ألخانع للسادات نحو تل أبيب عندما ركب طائرة تحط في مطار بن غوريون في يوم أسود وكئيب مر على ألأمة ألعربية . كان ذلك أليوم هو يوم ١٩ من تشرين ثاني ١٩٧٧ . لعل ألعرب أللذين تابعوا مشهد نزوله من ألطائرة كيف كان يبدو وكأنه ديك تم نتف ريشه بسبب ما كان يشعر به من مذلة ومهانة فأراد أن يحصل ولو على جزء قليل من كرامته فذهب ألى ألقدس لكنه لم يحصل من ألجماهير ألمقدسية سوى رفضها ألقاطع لما هو قادم على فعلة فترك ألقدس مسرعا بأتجاه تل أبيب ليلقي خطابا في ألكنيست ألصهيوني . يكذب من يقول ان لا احد يعرف بقرار زيارة ألسادات لأسرائيل ورغم انه معروف بألخداع والمراوغة والتهور الا انه لم يعد بحاجة لهذه الصفات فألصهاينة والأمريكان يتفوقون عليه في هذه ألصفات بحيث أن ألمخابرات ألمركزية ألأمريكية قد تمكنت منه فسجلته عميلا رسميا لها على حد ما ذكره حسنين هيكل وأخرين كثر (١٣) .

كان رد فعل زيارت ألسادات لأسرائيل وعقده صلحا منفردا للسلام معها من بعض أفراد الشعب العربي المصري هو الأبتهاج ألهستيري بعد عودته ألى ألقاهرة ، ربما لأعتقادهم بأن سماء أمريكا ستمطر عليهم دولارات فأخذو يهللون ويرقصون في الشوارع بينما عم الوجوم والحيرة على وجوه المواطنين العرب في ألأقطار ألعربية ألأخرى . وفي حين أسبغت امريكا والدول الغربية على السادات صفات الشجاعة والذكاء ، كان الرد الرسمي العربي لما اقدم عليه السادات عاصفا في قمة بغداد المنعقدة في ٢ تشرين الثاني ١٩٧٨ ألتي اتخذت قرارت عدة منها عدم ألأعتراف بمعاهدة السلام وقرارا بنقل مقر الجامعة العربية من القاهرة الى تونس وعزل ألنظام ألمصري بشكل كامل . كان رد فعل السادت على هذه القرارات ردا سوقيا وقحا فأخذ يوزع ألشتائم والنكات ألسمجة على كل من حضر هذه القمة في خطاباته . أن ما قام به السادات منذ وفاة عبد الناصر وحتى اغتياله في ٦ تشرين الثاني عام ١٩٨١ شكل السبب الرئيسي ، الى جانب اسباب اخرى متعددة في ألذي مرت به ألمنطقة ألعربية سابقا وألذي تمر به حاليا بدءا من ألأحتلال ألأمريكي للعراق وأنتهاءا بما يحصل أليوم من حروب طائفية ونزاعات أقليمية تم فيها تدمير ليبيا وسوريا وأليمن وقتل وتهجير سكانها .

الفصل التاسع

الحروب المحلية والأقليمية والدولية في المنطقة ألعربية :

١ – مقدمة : بينت الفصول ألأول ، الثاني والثالث في سردها التاريخي للأقوام التي سكنت ما تسمى ألأن بالمنطقة العربية وبشكل خاص ما اصطلح على تسميته بمنطقة " الهلال الخصيب " كم هي شعوب ألكرة ألأرضية ألأن مدينة للحضارة الأولى في وادي ألرافدين . بينت ايضا ان تلك ألحضارة لم تولد نتيجة محض صدفة وانما نتيجة نشاط عقلي وجسدي لسكان تلك ألأرض ألتي وفرت لهم بيئية فيها كل العوامل الجغرافية وألمناخية للقيام بنشاط مترع بالحيوية والعمل المنظم المبدع . هذا الغنى المادي والثقافي لسكان ارض ما بين النهرين ، اضافة لأسباب اخرى ، جعلت الأقوام البربرية ألأخرى المحيطة بالمنطقة من ميديين وهيتيتيين وغيرهم ، طامعين و متربصين بها ، ينتظرون الفرص للأنقضاض عليها وأحتلالها ونهب خيراتها وقد حصل هذا عدة مرات على امتداد التاريخ ألأنساني . تمر هذه المنطقة ألأن بضروف شبيهة بتلك ألضروف ألقديمة حيث تسعى بعض ألقوى ألأقليمية وألدولية للهيمنة وألأستحواذ عليها وكأن سكان ألمنطقة سيتعرضون ألى نفس ويلات أجدادهم ألسابقين . مصادر ألطاقة ألتي تحتويها ألأرض ألعربية شكلت عاملا جديدا أضافة للعوامل ألجيوسياسية ألمهمة لكي يتفاقم تكالب ألقوى ألأقليمية وألدولية للسيطرة عليها . نسغ ألحياة لأمريكا وأوربا هو أستمرار تدفق طاقة ألنفط وألغاز ألموجود في باطن ألأرض ألعربية ألضرورية لتطور حضارتهم ألحالية وألا فأن هذه ألحضارة بدون تلك ألطاقة ستتوقف . لهذا ألسبب ، تملك تلك ألدول هوس جنوني مرضي في ألسيطرة على تلك ألطاقة وحرمان شعب سكان ألمنطقة من أية فرصة للنهوض وألتقدم .

مع ان مصادر الثروة شكلت على الدوام سببا رئيسيا للنزاعات والحروب بين الدول والشعوب الا أن اساليب السيطرة وألأستحواذ في زمن الرأسمالية الكولونيالية الحديثة اختلفت عن السابق . ان التطور الهائل الذي حصل في التقنيات الحديثة التي احتكرتها تلك الرأسمالية جعلتها تملك عوامل القوة والسطوة ليس في ضمان الحصول على تلك الثروة النفطية فقط بل السيطرة على كافة ألتفاصيل المتعلقة بها فهي التي تحدد سعرها وهي التي تحدد اسواقها و طرق نقلها و...ألخ من التفاصيل المتعلقة بها وهذا كله يتم على حساب مصالح الشعوب المالكة لهذه الثروات . أن من كلاسيكيات الراسمالية ألأولى هي وجود دائم لفقراء وأغنياء في أي مجتمع من المجتمعات البشرية لكن من كلاسيكياتها ألتالية هي حرية البيع والشراء بدون اية قيود قد تعطل التقدم ألأقتصادي ألعالمي . اخذت الرأسمالية الكولونيانية الحديثة الكلاسيكية ألأولى واهملت الثانية مستخدمة العنف والهيمنة في تطبيقها على شعوب الأرض فكانت النتيجة حروب لآ تزال مستمرة لحد ألأن تفوقت ببشاعتها على الحروف القديمة وازداد رقم ضحاياها ليصل الملايين من البشر بسبب تطور التقنيات الحربية الحديثة . ليست هناك قوة لردع امريكا ألكولونيالية وألصهيونية ألعالمية من أرتكاب ألجرائم بحق

ألشعوب وهي لا تبالي بعدد ضحاياها فظلت تواصل نفس ألنهج لتقوم بألنهاية على شن حربين على ألعراق كأنت ألحرب ألأخيرة عملية غزو وتدمير لكامل ما هو على أرض وأدي ألرافدين في ٩ نيسان من العام ٢٠٠٣ كجزء من مخطط ستراتيجي ليس للسيطرة على العراق وحده بل على ألمنطقة وألعالم .

لو ان الثروة العالمية تم توزيعها بشكل عادل بين الشعوب من خلال ايجاد الوسائل لزج الشعوب الفقيرة والمتخلفة في دورة ألأنتاج ألصناعي وألزراعي العالمي لما حصل ما يحصل اليوم من توتر و نزاعات وحروب . ألأمبريالية الحديثة التي تقف على رأسها امريكا وألصهيونية ودول ألغرب ترفض وجود عالم ليس فيه عبيد لتمتص بنوكها وبيوتها المالية وشركاتها العملاقة العالمية دمائهم ثم تتركهم لمواجهة مصير مجهول لا يعرف أحد نتائجه . لقد أخذت هذه ألأمبريالية تجربتها الخاصة في بناء نفسها عن طريق استغلال جهود ملايين الفقراء من بيض وسود وصفر وشقر على حد سواء لتطبقها على شعوب العالم . وكما كان ألأستعمار القديم يقوم بفتح اسواق منتجاته بالقوة ، واصلت امريكا أتباع نفس النهج لكن في ظروف سيلسية عالمية مختلفة هذه المرة ولم يكن آدم سمث الذي وضع اسس ألأقتصاد الرأسمالي يتوقع ان ما قاله سيؤدي الى حروب ونزاعات دموية مستمرة يذهب ضحيتها ملاين البشر . ان الثورة العلمية الحديثة في ألأتصالات ماعادت تسمح لأستمرار الكذب والخداع من اجل أستغلال الشعوب وأذا لم تعدل امريكا من نهجها فأن باب النزاعات والحروب والفوضى التي ستخلفها على مستوى العالم سيظل مفتوحا وأن النتائج هذه المرة ، لن تتحملها الشعوب وحدها مثلما يحصل حاليا وانما أمريكا ومن معها ايضا وأن بشكل أخف وطأة مما تعانيه الشعوب .

٢ – الحرب العراقية – ألأيرانية هي البداية :

بعد نجاح ألخميني ومعه ملالي قم وطهران من تسلم السلطة في أيران ، أرسل رئيس ألجمهورية ألعراقية الى ألخميني برقية تهنئة بأقامة " الجمهورية ألأيرانية ألأسلامية " غير ان رد الخميني اتسم بألفضاضة وبالعبارات الخالية من اي قدر من ألمجاملة والدبلوماسية . الحقيقة هي انه منذ بداية سيطرة الملالي على السلطة في ايران في منتصف عام ١٩٧٩ ، ظهرت بوادر النزاع بين ايران والعراق متمثلة اولا بتصريحات نارية متتالية لبعض رؤوس نظام الملالي ضد الجمهورية العراقية فأخذ احدهم يقول بأن النطام السياسي في العراق " كافر " واخر يقول " ان طريق تحرير القدس يمر من خلال كربلاء " و ...الخ من تصريحات وعبارات ألأستفزاز وألأثارة المحركة للطائفية . نتيجة لهذه التصريحات والتهديدات ، أقدمت الدولة العراقية على تغيير الوثيقة السرية ألأمنية الستراتيجية للدولة العراقية التي تحتوي على قائمة ألدول التي تشكل خطرا محتملا على الأمن الوطني العراقي فغيرت الموقع ألأول الذي كانت تحتله أسرائيل منذ وقت طويل في تلك القائمة لتضع مكانها ايران بعد ان تبين ان ايران بدأت تشكل التهديد المباشر للعراق

فاخذت الدولة تعد العدة لهذا الخطر الوشيك . لم تكتف ايران بالتحرشات والأستفزازات السياسية بل رافقتها تحرشات عسكرية مستمرة على الحدود أستهدفت المخافر ومقرات الحرس رافقتها حرب اعلامية طائفية ضد النظام العراقي . أصبح واضحاً ان ما يهدف اليه ملالي طهران ، وهم على رأس دولة هي الوحيدة بين الدول ألأسلامية التي ينص دستورها على انها **" دولة اسلامية على مذهب الأمامية الشيعي "** ، هو ارباك الوضع الداخلي للعراق وانهاكه لخلق ظروف داخلية قد تكون مناسبة لتغيير نظامه السياسي لصالح مشروعهم الطائفي التوسعي دون اللجوء الى صدام عسكري شامل . قد يعود ألسبب في ذلك هو وجود شكوك في أنهم لا يستطيعن ألأنتصار على ألجيش ألعراقي وهم مشغولون بحرب شوارع في ألعاصمة طهران أضافة ألى أنهم لم يتمكنوا بعد من تأسيس جيش نظامي قوي بعد أن تفكك ألجيش ألأيراني ألسابق . في ٢٢ من أيلول العام ١٩٨٠ شنت القوات المسلحة العراقية هجوما واسع النطاق لم يكن ملالي طهران يتوقعونه فاجتازت قطعاته الحدود دون ان تواجهها اية مقاومة جدية وخلال ايام قليلة ، احتلت القوات العراقية اجزاء من ألأراضي ألأير

خارطة رقم (١١)
الحدود العراقية الايرانية والمناطق التي تناوب احتلالها الطرفان خلال السنوات الثمانية للحرب

ألأيرانية ألموضحة في ألخريطة ١١ وألمؤشرة حدودها بألخط ألأحمر فأصبحت جبال زاكروس والجبال الشمالية الشرقية الكردستانية الحدود الطبيعية التي تفصل بين العراق وايران أما ألأراضي المؤشرة بالخط ألأصفر فهي التي احتلتها أيران بعد أكثر من ست سنوات .

من ألواضح أن الحرب التي خاضها العراق مع ايران هي حرب دفاعية وليس الغرض منها الغزو والأستيلاء على اراضي أيران وأنما لأنهاء حالة التحرش الفارسي الحدودي العسكري الذي ذهب ضحيته الكثير من العراقيين وللوصول الى حالة تفاهم مع ايران يؤدي الى علاقات طبيعية معها . لذلك عقد وزير ألدفاع العراقي مؤتمرا صحفيا بعد أسبوع من بداية ألحرب دعى فيه ألأيرانين ألى ألتفاوض لحل كل ألمسائل ألعالقة بين ألبلدين ألا ان ملالي طهران رفضوا رفضا قاطعا اي تفاوض وأصروا على تعنتهم وتهديدهم بأستمرار ألقتال لتأخذ تلك ألحرب ثمان سنوات . بعد تحرير ألجيش ألعراقي لمدينة ألفاو في ١٧ نيسان ١٩٨٨ وهروب ألقوات ألأيرانية منها بأتجاه أيران ، أطل ألخميني في مساء يوم ٢٠ آب من نفس ألعام ليعلن بخطاب متلفز قراره بألموافقته على وقف أطلاق ألنار بين ألبلدين وليقول بنفس ألوقت بنه كان يفضل تجرع ألسم ولا ألموافقة على أنهاء ألحرب .

٢,١ – حقائق وصول ملالي طهران الى السلطة :

هناك حقائق ثابتة تتعلق بظروف وصول الملالي الى السلطة في ايران سيجري تناولها حسب موقعها من ألأحداث ليعرف من لا يصدق ان وصولهم اليها ، هي بداية لمرحلة أقليمية وعالمية جديدة ربما تمتد لعدة عقود من الزمن . يجري في هذه ألمرلحة تنفيذ ستراتيجية كونية للتحكم بالعالم من خلال استخدام وسائل اتبعها ألأستعمار ألنمطي ألقديم بعد أن قام الاستعمار ألأنبريالي الحديث بتطويرها وتحديثها ليستخدمها من جديد ، لكن تحت اظروف مختلفة ووضع دولي سياسي واقتصادي مختلف . بداية ظهورألأستعمار ألأمبريالي ألحديث في أوربا وألأقاليم ألخمسة بشكل ملموس هي بعد أنتهاء ألحرب ألعالمية ألأولى ألتي كانت من أهم نتائجها خسارة ألمانيا وألدولة ألعثمانية مما أدى ألى زوال حكم ألعائلة ألعثمانية والى تغيير ألخارطة ألسياسة لأوربا لتظهر دول لم تكن موجودة في ألسابق .

أيران هو أسم جديد لهضبة واسعة سكنتها أقوام هندواوربية سميت منذ أكثر من ألفي سنة قبل ألميلاد ألفرس لبلاد ألفرس ايران كغيرها من دول العالم التي سادت فيها الفوضى التي خلفتها الحرب العالمية الأولى ، كادت هذه الفوضى ان تؤدي بأيران الى المجهول لو لم تتدخل بريطانيا التي كانت تدير شؤون هذه المنطقة في ذلك الوقت ، فعملت على وضع تدابير لضبط امورها بسرعة . في خضم تلك الفوضى ، ساعدت بريطانيا على ظهور ضابط ايراني مغمور على الظهور فوق سطح ألأحداث الداخلية لأيران . هذا الضابط هو رضا بهلوي الذي بدأ يتقلد بسرعة مناصب عليا في الدولة القاجارية بعد الحرب من وزيرا للحربية في ١٩٢١ ليصبح رئيسا للوزراء في العام ١٩٢٣ وليقوم في ١٥ كانون اول من العام ١٩٢٥ بأنقلاب للقضاء على اخر شاه قاجاري ألى أن نصب نفسه شاها لأيران مدعيا انه ينحدر من السلالة الساسانية الفارسية القديمة . بعد وقت قصير من تسلم رضا بهلوي السلطة المطلقة في ايران ، اقدمت بريطانيا على مساعدته فى القبض

على ألشيخ خزعل امير الأهواز ونقله الى ايران وأدخاله السجن ليموت فيه ثم شجعته فيما بعد على غزو أمارة ألأهواز العربية وضمها الى أملاكه .

كان الشيخ خزعل من أقرب أصدقاء بريطانيا لدرجة انها ضمته الى قائمة المرشحين لتولي رأسة الدولة العراقية الواقعة تحت ألأنتداب البريطاني . ظل الشاه رضا بهلوي تحت الرعاية البريطانية الى ان حدثت الحرب العالمية ألثانية . قام ألأنكليز بأحتلال مناطق جنوب شمال ايران لحماية حقول نفط عربستان وأحتل حلفائهم الروس مناطق جنوب شرق أيران المتاخم للسليمانية في السنة ألأولى من الحرب . شعر البريطانيون بأن رضا بهلوي بدأ يميل بشكل واضح الى المحور، فاقدموا في ٢٤ نيسان / ابريل من العام ١٩٤١ على أعتقاله ونفيه الى الهند ونصبوا بدل عنه ولده الحدث محمد رضا شاها على ايران .

تصاعدت نضالات حركات الأستقلال والتحرر الوطني بعد الحرب العالمية الثانية للتخلص من ألأستعمار والهيمنة ألأجنبية و ايران واحدة من الدول التي شهدت مثل هذه الحركات فكان حزب تودة - الحزب الشيوعي الأيراني من اقوى الاحزاب الشيوعية في المنطقة و كذلك كان حزب الجبهة الوطنية الذي اسسه و ترأسة محامي وسياسي ونائب برلماني مخضرم هو محمد مصدق في العام ١٩٤٤ . ترأس محمد مصدق رئاسة الوزارة في العام ١٩٥٠ فأقدم على تنفيذ اصلاحات جمة لصالح الشعوب الايرانية مما اكسبه شعبية كاسحة فأجتاحت شوارع طهران وغيرها من المدن مظاهرات جماهيرية حاشدة تطالب ألحكومة بتأميم النفط فأصدرت حكومة مصدق قرارا بتأميم شركة النفط البريطانية في شباط من العام ١٩٥١ . كانت نتيجة هذا القرار حصول توتر بين الحكومة والشاه أدى الى ظهور أول ازمة حادة يواجهها النظام الايراني منذ تسلم محمد رضا الشاهنشاهية كادت ان تؤدي الى زوال نظامه في العام ١٩٥٣ مما ادى الى هرب الشاه على اثر تلك ألأزمة الى بغداد ثم الى ايطاليا بعد ان تعذر عليه أزاحة مصدق .

ظل ألشاه في الخارج الى ان رتبت المخابرات البريطانية بالأشتراك مع المخابرات ألمركزية ألأمريكية انقلابا عسكريا على حكومة مصدق في يوم ١٩ آب ١٩٥٣ والذي اشرف على تنفيذ خطة ألأنقلاب هو رئيس فرع الشرق ألأدنى للأستخبارات الأمريكية ، كيرمت روزفلت وهو على ألأغلب حفيد تيودور روزفلت . بعد نجاح ألأنقلاب ، عاد الشاه الى طهران وجرى تسيلم رئاسة الحكومة الى ضابط ايراني تم استخدمه كواجهة للأنقلاب هو الجنرال زاهدي وتم وضع محمد مصدق في السجن ثم تحت الأقامة الجبرية ألى أن جائته الوفاة في ألعام ١٩٧٦.

خرجت كل من بريطانيا وفرنسا من ألحرب ألعالمية ألثانية وهما منهكتان ومثقلتان بألديون ألأمريكية فكانت حرب ألسويس ألتي شنتهما بمشاركة ألدولة أألصهيونية على مصر في ألعام ١٩٥٦ لأعادة أحتلال قناة ألسويس وأسقاط النظام الوطني المصر اخر مغامرة استعمارية تقليدية للحفاض على مجدهما ألأمبراطوري

المتهالك . لم يتوقف فشل تلك المغامرة عند الفشل العسكري فقط بل وصل الأمر بهما الى انهما حاولا أن يحتفظاعلى مجدهما ألأمبراطوري وتدارك أفلاسها السياسي وتدهورهما الأقتصادي أمام قوة عالمية فتية عملت طويلا لتزعم ألعالم هذه ألقوة هي ألولايات ألمتحدة ألأمريكية . تحت ضغط ضروفهما الداخلية اضافة الى تنامي قوة ضغط حركات التحرر الوطني للشعوب المطالبة بالحرية وألأستقلال ، بدأت هاتان الدولتان منذ نهاية ألأربعينيات من ألقرن ألماضي تخسران مستعمراتهما واحدة بعد ألأخرى . كانت الجزائر التي ضمتها فرنسا قانونيا كمقاطعة فرنسية وليست بلدا مستعمرا أخر ، دولة من دول أقليم ألمغرب ألعربي ألتي حصلت على ألستقلال بعد أن خاضت جبهة التحرير الوطنية الجزائرية معركة ضارية للحصول عليه في ألعام ١٩٦٢ . لم يكن حال بريطانيا افضل من حال فرنسا ، فهي أضطرت ايضا الى التسليم بأستقلال السودان في اواسط الخمسينيات ثم الخضوع لمنح ألأستقلال للجزء الجنوبي من اليمن الذي كانت تشتعل مدنه بالأضرابات والمظاهرات دعما للعمل العسكري المسلح التي كانت تقوده في ذلك الوقت حركة القوميين العرب ضد جنود ألأحتلال البريطاني فحصل على استقلاله في العام ١٩٦٧ . هكذاهو الحال ايضا مع هولندا ، بلجيكا والبرتغال وغيرها من الدول التي بدأت تتخلى عن مستعمراتها المتشرة في القارتين ألأفريقية وألأسيوية الواحدة بعد الأخرى فاسحة ألمجال للأستعمار ألأمبريالي ألحديث لتولي مهمة أخضاع ألشعوب . وما أن حل عام ١٩٦٨ حتى بدأت بريطانيا تلمح الى انها بدأت تستعد للأنسحاب من كامل المحميات الواقعة على طول ساحل الخليج العربي فساد امراء تلك المحميات ألهلع بسبب اعتمادهم على المعونات ألأقتصادية التي تقدمها لهم بريطانيا التي كانت تدفع لكل امير مبلغا سنويا من المال لتصريف امور أماراتهم ومنهم امير الكويت قبل اكتشاف النفط في تلك ألأمارات . رغم حالة الفقر الظاهر التي كان يعيشها المواطنون في تلك المحميات حينذاك ، على عكس موقف أمراؤهم ، استقبلوا الأعلان البريطاني بالأبتهاج وألأحتفالات معبرين بذلك عن مشاعرهم الوطنية والقومية . ولم يكن أمام بريطانيا ألا تنفيذ ما اعلنت عنه في العام ١٩٦٨ فانسحبت قواتها من المحميات يوم ٢ تشرين الثاني من العام ١٩٧١ ليصبح يوم عيد استقلال ألأمارات ثم استقلت كل من أمارة البحرين (هي مملكة البحرين الأن) وأمارة قطر . بنفس الوقت الذي نفضت فيه بريطانيا يديها من هذه المنطقة منحت امريكا وكالة لشاه ايران على ضبط امور منطقة ألخليج ألعربي فلم تعترض على ما اقدم عليه في ٣٠ تشرين اول من العام ١٩٧١ بأرسال قواته لأحتلال الجزيرتين طمب الكبرى وطمب الصغرى التابعتين لدولة ألأمارات وهي ما تزال تحت الحماية البريطانية رسميا وليوجه تهديداته من وقت لآخر بأحتلال البحرين وظمها الى" امبراطوريته ألأيرانية " . كل هذا حدث وسط صمت دولي ومعارضة عربية خجولة لم تدعمها اية اجراءات عملية ملموسة مما أدى ، منذ ذلك الوقت ، ألى اطلاق لقب " شرطي الخليج " على شاه ايران من قبل وسائل ألأعلام ألعربية وألعالمية .

انطوت حقبة الشاه بعد قيام الثورة الأيرانية لتدخل " منطقة الشرق ألأوسط " حقبة جديدة اكثر تعقيدا و صعوبة من الحقبة السابقة التي شهدها تاريخ المنطقة العربية وعموم منطقة ألشرق ألأوسط . كانت بدايات الثورة ضد نظام الشاه لرفع الظلم عن الشعوب الأيرانية تعود الى ما قبل العام ١٩٧٩ بسنين عدة عندما برز تنظيمان يتبنيان طريق ألكفاح ألمسلح ضده هما منظمة مجاهدي خلق ومنظمة فدائيي شعب . حصل هذان ألتنظيمان على دعم شعبي واسع وعلى تأييد حزب تودة – الحزب ألشيوعي ألأيراني وألقوى ألوطنية ألأخرى في وقت لم يكن أحد يسمع عن وجود معارضة لمعممين شيعة ضد ألنظام . ومن ألمعروف أن آيات ألله من ألمعممين ألشيعة يتمتعون بحماية قانونية بعدم أعتقالهم أو مسائلتهم فكان خميني ألذي برز أسمه أثناء ألمظاهرات ألتي أستمرت ما يقارب ألسنة أحد ألمستفيدين من هذه ألحماية . ومع أن ألمنظمات ألوطنية ألمذكورة قدمت ألكثير من ألتضحيات في نظالها ضد ألنظام ألشاهنشاهي ، يحرص ألكثير ممن يتناولون تأريخ ألثورة ألأيرانية ذكر تضحيات هذه ألتنظيمات في ظل ألصعود الطاغي للتيار الديني الطائفي المشبوه الذي قاده خميني .

بدون سابق انذار وفي وقت كان فيه الشاه يعتقد بأن نظامه امتن من اي وقت آخر ، أنفجرت فجأة في منتص عام ١٩٧٧ تقريبا في ألعاصمة طهران مظاهرات جماهيرية كان على رأسها مناضلي مجاهدي خلق ومناضلي فدائيي شعب تندد بحكم ألشاه . أمتدت شرارة هذه ألتظاهرات ألى بقية ألمدن ألأيرانة وأشتركت فيها جماهير من كافة الطوائف والأديان والقوميات ومن كافة الاتجاهات السياسية راح ضحيتها الكثير من المواطنين بسبب العنف الني واجهتهم بها القوى ألأمنية من الشرطة والسافاك . لم ترفع تلك ألتظاهرات في بداياتها شعارات دينية طائفية وانما شعارات وطنية أصلاحية لكن مع أستمرارها ألذي أخذ مدة سنة ، بدأ بعض ألمعممين ألدينيين ألشيعة بألمشاركة فيها بألتدريج . في ألأشهر ألأخيرة من ألعام ١٩٧٨، تعاضم تأثير دور ألتيار ألديني ألسياسي ألشيعي في تل ألمظاخرات بشكل مفجىء وعجيب خاصة بعد وصول خميني ألى ألعاصمة ألفرنسية وأستقراره فيها . صاحبت ألتصريحات ألنارية ألتحريضية لخمبني في باريس ضد ألنظام ألأيراني ضجة أعلامية دولية وأقليمية مما ساهم في تأجيج ألمظاهرات في ألمدن ألأيرانية . كل هذه ألأجواء ساعدت على بروز ظاهرة مشاركة ألمعممين ألشيعة لينتهي أمر قيادة ألمظاهرات ألمصاحبة للعنف الى أولئك ألمعممين بعد أن أصبح واضحا بأنها قد حصلت على دعم أعلامي دولي وأقليمي مكثف . للمعممين في صفوف ألمتظاهرين ألأيرانيين مشاركة ألمعممين في تلك ألمظاهرات ليصبحوا قادة لتلك ألمظاهرات بعد أن أصبح واضحا بأنها قد حصلت على دعم أعلامي دولي وعلى دعم داخلي . أهم شريحتين من شرائح ألمجتمع ألأيراني هما :

١ - ألشريحة ألمكونة من سكان ألريف ألبسطاء ألأميون أللذين يشكلون غالبية سكانية في أيران ألمتشبعون بألأساطير وألخرافات ألدينية ألطائفية ألصفوية ألتي ساقها لهم ألمعممين منذ زمن بعيد لتخديرهم وألسيطرة عليهم وأبتزازهم بأخذ أموال ألخمس ليكدسوها في خزائنهم تماما كما كان بفعله أجدادهم ألطائفيون ألأسماعيليين بأتباعهم .

٢ - شريحة تجار ألبازار ألذين يمسكون بعصب ألمال ألتجاري ألأيراني وألمرتبطين بوشائج روحية قديمة مع ألملالي ألشيعة فوجدوا في سيطرتهم على ألتظاهرات فرصة لتحقيق مكاسب مالية من خلال تحالفهم مع جماعة ألخميني وأسقاط ألنظام ألشاهنشاهي .

في خضم تلك ألأضطرابات ألمصاحبة للعنف حصل حادث مأساوي في مدينة عبادان ، أثيرت حوله الشكوك والشبهات حول ألمسؤول عنه . يتلخص الحادث في نشوب حريق هائل داخل احدى السينمات في عبادان وهي مكتظة بالرواد ، ظلت تتحدث عنه وسائل الأعلام كثيرا ألى أن تم تسريب معلومات تقول بأن المواطنين الذين اصابهم الخوف و الهلع من اشتعال النار ، حاولوا فتح أبواب السينما للهرب فوجدوا تلك ألأبواب مقفلة من الخارج . كانت نتيجة ما حدث هو تعرض رواد ألسينما للحرق وصل عددهم الى أكثر من مائتي شخص أحترقوا حتى ألموت . أن تدبير حادث من هذا النوع و بهذه الطريقة يدل على انه كان مدبرا من قبل جهة معينة لأغراض سياسية وألأستنتاج المباشر لمثل هذه الفرضية هو ان هناك اصابع اما داخلية تابعة لطرف خارجي او خارجية مخابراتية غير معروفة وراء هذا العمل ألأجرامي تهدف الى احداث اكثر ما يمكن من ألأثارة وألأضطراب والتأجيج ضد نظام الشاه .

دللت ألأحداث اللاحقة الى ان دوائر المخابرات ألأمريكية والبريطانية قد أتخذت قرارا بضرورة أزاحة الشاه محمد رضا عن ألسلطة بعد ان تبين لها أنه بدأ بألأبتعادعن دوره في تنفيذ ألمخطط ألستراتيجي ألأمبريالي الذي أعدوه للمنطقة ألعربية . التفسير ألأوضح لأحد أسباب أنقلاب البريطانيين وألأمريكيين على الشاه منذ منتصف السبعينات ، هو ما اقدم عليه الشاه من عقد اتفاق الجزائر مع صدام حسين في العام ١٩٧٥ وتخليه عن ألدعم ألمباشر **" للثورة الكردية "** . ان ما يعزز صحة هذا التفسير هو ما نشرته جريدة الصنداي تايمز البريطانية الصادرة في صفحتها ألأولى من يوم ألأحد الذي تلا الأنهيار الكردي لمقابلة جرت بين مراسلها في ايران وألملا البرزاني وكان هذا اللقاء مقتضبا جدا . في هذا ألقاء ، **وجه مراسل ألجريدة سؤالا ألي مصطفى ألبرزاني : ما الذي حدث ؟ اجاب الملا : والله لا اعرف ما الذي حدث لكن لدينا ضمانات من اعلى المستويات في امريكا على استمرار دعم ومساعدة ألأكراد** . ألأكثر من ذلك ، هو ما ذكره شاه أسران محمد رضا بهلوي في مذكراته التي نشرت بالأنكليزية قبل وفاته بمد قصيرة بوجود شكوك قوية على تدخل أمريكا في ألأحداث التي حصلت في أيران والتي أدت ألى أنهيار حكمه . يقول هذا ألشاه في مذكراته : **دخل**

ضابط امريكي رفيع ألمستوى ايران في ذروة تلك الأحداث والتقى بأشخاص وقوى سياسية عديدة ثم عاد الى امريكا دون ان أراه وعلى خلاف ما كانت عليها العادة في أن اول ما يقوم به زائر أمريكي من هذا ألنوع هو أللقاء بألشاه أولا (١٥) . على ألأرجح ان هذا الضابط هو ابن ضابط المخابرات المتخصص بتنظيم ألأنقلابات كوميت روزفلت الذي نظم ورتب الأنقلاب على حكومة مصدق .

كل هذه الحقائق والوقائع المذكورة ألأن والتي سيأتي ذكرغيرها فيما بعد ، **تبين بانه اما كان لملالي قم تنسيق وتفاهم مسبق مع الدوائر المخابراتية ألأمريكية والأوربية او ان هؤلاء ألملالي أرتضوا المساعدة ألمعلنة والغير معلنة من تلك ألدوائر لهم بهدف تغيير النظام في ايران وتسليمها لخميني وجماعته من ملالي قم .** يبدو أن قوى التحكم والهيمنة ألدولية قد وضعت منذ ذلك ألوقت **أهم ستراتيجية لحكم ألعالم بأستخدام ألأقليات ألأثنية وألطائفية** (١٦) . أستمر ألعمل بهذه ألستراتيجية فتم أثارة ألنزعات ألدينية ألطائفية لدى مجموعات ملالي طهران لتشتعل حرب ألخليج ألأولى بين أيران وألعراق التي عملت قوى ألهيمنة ألدولية على تأجيجها وأطالتها لمدة ثمان سنوات . تلت تلك ألحرب ألمنهكة حرب ألخليج ألثانية على أثر غزو ألعراق للكويت ألأشد قسوة ودمارا من ألحرب ألسابقة وألتي صاحبها فرض حصار شامل على ألعراق أدى الى وفاة أكثر من مليون شخص من ألأطفال وألشيوخ وألى صعوبة وضنك في ألعيش لأغلب ألمواطنين ألعراقيين . أتضح فيما بعد بأن ألهدف مما تقوم به ألأمبريالية ألأمريكية هو تركيع ألمنطقة ألعربية وألسيطرة عليها بشكل كامل بعد أن أصرت ومعها بريطانيا على أحتلال ألعراق رغم معارضة ألأمم ألمتحدة ومعارضة ألقوى ألشعبية ألجماهيرية في كل بلدان ألعالم من ضمنها أمريكا وبريطانيا . أما ما حصل بعد ذلك للمنطقة ألعربية فمعروف : تدمير أسس ألدولة ألعراقية وتسليم تلك ألدولة لشلة طائفية ليس لها مثيل في نهب ألمال ألعام وتدمير ألبنى ألتحتية وأفقار ألمواطنين . بعد ما يقارب ألعشر سنوات ، تكالبت ألدوائر ألغربية على ليبيا فأسقطت نظام ألحكم فيها وحولتها ألى ساحة مفتوحة لميليشيات متنوعة ألأشكال وألأنواع منها ألأسلامية ألمتطرفة ومنها ألقبائلية أضافة لمجموعات خائنة لكل منها ميليشيا خاصة . ثم أنتقلت ألفوضى بسبب قيام حرب طائفية طاحنة في كل من سوريا وأليمن ولا أحد يعرف ما ألذي يحمله ألمستقبل لهذ ألمنطقة . من ألمهم هنا ألتذكير مرة أخرى بما قاله بيتر غران في كتابه **" ما بعد المركزية ألأوربية "** : **" من أهم وسائل قوى الهيمنة الدولية للسيطرة على حكم العالم هي استخدام ألأقليات اذا لم يكن بالأقناع ، فأنه على عكس ما هو شائع ، بالقوة "** على نحو ما حصل في يوغوسلافيا وفي ألمنطقة ألعربية وغيرها من مناطق ألعالم (١٦) .

قبل ذلك ، منذ نهاية ألحرب ألعالمية ألثانية وحتى سنوات ألقرن الماضي ، كان لبنان ساحة نموذجية للمباشرة بأختبار صحة تلك الستراتيجية " كبروفة " في حالة نجاحها سيتم تعميمها في كل دولة وأقليم من المنطقة العربية مستقبلا . فعلا ، كان لبنان منذ أن تم سلخه عن اقليم بلاد الشام ومنحه كيانا خاصا به ، لعبة

يتقاذفها اصحاب القوة والنفوذ محليا وأقلينيا ودوليا ، ولهذا من الضروري اجراء سرد موجز لقصته الطويلة والمحزنة لدعم ما قاله بيتر غران عن أستخدام قوى ألتحكم ألدولي ألأقليات لحكم ألعالم .

٣– لبنان ألنموذج :

تم فصل لبنان عن أقليمه ألطبيعي بلاد ألشام وفقا لأتفاقية سايكس – بيكو ألسيئة ألصيت وألقاضية بتقسيم أراضي بلاد ألشام على ألنحو ألتالي : أراضي سوريا ألحالية ولبنان من حصة فرنسا وأراضي فلسطين ووادي ألأردن من حصة بريطانيا . لم يكن هذا ألتقسيم أعتباطيا وعبثيا وخاليا من ألأهداف ألستراتيجية ألمرسمة جيدا لكلتا ألدولتين لأنه لو لم يتم هذا ألتقسيم لما كان ألأستعمار ألقديم ولا ألأستعمار ألأمبريالي ألجديد لينجح في تحقيق أهدافه ألحالية . رحب غالبية ألمسيحيين ألمارونبن بفصل لبنان عن سوريا ألتأريخية وألسبب ألواضح لهذا ألترحيب هو أنهم سيشكلون أغلبية سكانية في هذا ألجزء ألصغير من بلاد ألشام ففظلوا مصلحتهم ألدينية ألطائفية على حساب مصلحة ألمنطقة . مرة ثالثة فظل ألمسيحيون ألمارونيون ألمتشددون ألتمسك بأرثهم التأريخي الديني الطائفي ألأنعزالي منذ أن تحالفوا مع ألمحتلين ألرومان في أضطهاد الطوائف ألمسيحية ألأخرى . بهذا الصدد ، يذكر التأريخ هنا أن مار مارون ومن يتبعه كانوا من المتعاونين مع السلطات ألرومانية ضد أبناء جلدتهم المسيحيين العرب ألأخرين الذين لا ينتمون الى ألكنيسة الرومانية الرسمية . لكل ذلك أتكأ ألأستعمار الفرنسي على تلك الطائفة وعلى مجموعة من السياسين المحافظين السنة من أقطاعين وتجار وباحثين عن ألأمتيازات لتنفيذ مشروع انفصال لبنان عن سوريا . كان هؤلاء ألمارونيين يتمتعون منذ نهاية الحرب العالمية الأولى برعاية فرنسية تمييزية فسلمتهم الوظائف العليا في أدارة لبنان . منذ ذلك ألوقت وحتى بعد أنسحاب ألقوات ألفرنسية ألمحتلة ، تم حكم لبنان على أساس ألمحاصصة ألدينية وألطائفية ولهذا ألسبب ، لم يعرف لبنان ألأستقرار ألحقيقي فأصبح البطن الرخوة لكل من تقتضي مصالحه التدخل في شؤونه الدخلية . على هذا النحو ، جرى تشكيل دولة لبنان ليصبح نموذج لدولة يكون فيها المجتمع منقسما ومتناحرا مع نفسه لأسباب انهتها المجتمعات الأوربية الحديثة منذ عدة قرون لكي يتم أخذه مثالا لفرض واقع يقال عنه ، مثلا ، " لبننة العراق " اي تبني المحاصصة الدينية والطائفية والعرقية في السلطة على شاكلة ذلك النموذج و ليس على الأسس الوطنية والقومية .

أفضل مثال على عدم أستقرار لبنان منذ ذلك ألحين ولحد ألأن هو تعرض نظامه ألسياسي لأول هزة بعد " ألأستقلال " عندما حاول انطوان سعادة مؤسس الحزب السوري القومي ألأجتماعي ألقيام بمحاولة عسكرية لأسقاط ذلك ألنظام ولما فشلت تلك ألمحاولة تم ألقبض عليه وحكم بالأعدام ونفذ فيه هذا ألحكم في تموز من عام ١٩٤٩ . حصلت ألهزة ألثانية بعد ما يقارب ألسنتين من أعدام سعادة عندما تم أغتيال أول رئيس وزراء للبنان بعد ألستقلال وهو رياض الصلح في يوم ١٦ تموزعام ١٩٥١ بعد عودته من زيارة لعمان على يد

اعضاء من الحزب القومي ألأجتماعي السوري . وفي ألسنوات ألقليلة ألتالية ما بين ١٩٥١ ومطلع عام ١٩٥٤ ، شهد لبنان نوعا من ألأستقرار السياسي ألنسبي لكن منذ ان تبنى كميل شمعون رئيس ألجمهورية الموقف المؤيد لحلف بغداد ألأستعماري بدأ ألأحتقان ألسياسي ألداخلي أللبناني بألظهور . كان موقف كل من ألنظام المصري والسوري وألجماهير ألشعبية ألعربية بألمقام ألأول مناهضا بشدة لذلك ألحلف مما أدخل لبنان في ازمة سياسية مع محيطه ألعربي أدت ألى قيام ألحرب ألأهلية ألأولى في ألعام ١٩٥٨ . بعد تفجر ثورة ١٤ تموز في ألعراق سارعت بريطانية ألى أنزال قواتها ألعسكرية في ألأردن وفرنسا الى أنزال قواتها ألعسكرية في لبنان ويقال أن شمعون هو ألذي طلب من فرنسا أنزال تلك ألقوات ألوقوف أمام خطر " ألشيوعية " . كل هذا أدى حصول توتر سياسي لبناني حاد أدى في ألنهاية ألى أزاحة كميل شمعون عن رئاسة الجمهورية ليتولاها قائد الجيش أللبناني فؤاد شهاب في ألعام ١٩٥٨ فعاد لبنان تدريجيا ألى أستقراره ألنسبي لمدة لم تتجاوز ألتسع سنوات .

أدت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ الى تهجير واسع للفلسطينيين جرى فيه نزوح ألألاف منهم ألى ألأقطار ألعربية ألمجاورة ومنها لبنان ليستقروا في مخيمات اقامتها لهم ألأمم المتحدة ثم جاءت حرب ٥ حزيران من عام ١٩٦٧ وتداعياتها التي ادت ألى طرد فصائل ألمقاومة ألفلسطينية من ألأردن ليتجهوا ألى لبنان فتضاعف عدد الفلسطينيين فيه ليشكلوا في ألسنين القليلة التالية رقما صعبا في المعادلة السياسية الداخلية أللبنانية . ارتعدت اطراف متعددة من قوى اليمين اللبناني المتطرف الموالي للغرب و أسرائيل من هذا النتيجة فأخذت تعد العدة لأستأصال ألوجود ألفلسطيني ألمسلح في لبنان وحاضنته ألقوى أللبنانية ألوطنية لمنعه من مقاتلة ألعدو ألصهيوني . حصل في البداية أحتكاك بين عناصر من ألمقاومة ألفلسطينية وألجيش أللبناني لكن تدخل ألجامعة ألعربية في مساعدة الطرفين على ألتوصل لأتفاق يفضي ألى تقنين ألعلاقة بينهما بأتفاقية تضمن عدم حصول مثل ذلك ألأحتكاك وسميت هذه ألأتفاقية " بأتفاق القاهرة " .

في ألفترة ألواقعة ما بين أستكمال تواجد ألفصائل ألمسلحة ألفلسطينية في لبنان وتمركزها قرب حدوده الجنوبية مع العدو الصهيوني وبدايات انفجار الموقف في لبنان في ١٣ نيسان / ابريل من عام ١٩٧٥ ، ظهر اصطفاف سياسي داخلي لبناني واضح بين قوى سياسية حاضنة للمقاومة لا تتلقى ألدعم من احد غير ألدعم ألجماهيري ألشعبي غير المحدود وربما دعما خجولا من النظام العراقي ، وقوى يمينية رافضة لها تتلقى ألدعم من أطراف دولية وأقليمية وعربية وحتى اسرائيلة . يتكون الفريق الحاضن للمقاومة من الجبهة الوطنية اللبنانية التي يرأسها ألشهيد كمال جنبلاط المكونة من : الحزب الأشتراكي اللبناني الذي يتزعمه كمال جنبلاط ، الحزب الشيوعي اللبناني ، الحزب القومي ألأجتماعي السوري ، حزب البعث العربي الأشتراكي ، القوميون العرب بقيادة محسن ابراهيم وكافة القوى الوطنية اللبنانية المستقلة الأخرى ، اما الفريق الثاني

فيتكون من : جماعة حزب الكتائب ، جماعة كميل شمعون وجماعة سليمان فرنجية وأطراف مسيحية مارونية متشددة اخرى اضافة الى التيارت ألأسلامية المحافظة .

كانت شرارة أشتعال ألصراع ألداخلي أللبناني ، هو قيام مسلحين مجهولين بمحاولة أغتيال مشبوهة وغامضة لبيار جميل راح ضحيتها أربعة من حراسه وبعد ايام قامت ميليشيا الكتائب على ايقاف باص في منطقة عين ألرمانة يقل فلسطينيين ولبنانيين عائدين من مهراجان شعبي مؤيد للمقاومة الفلسطينية ثم قاموا بأطلاق الرصاص عليهم فراح ضحية هذه المجزرة اكثر من ٢٧ شخص . أعقب تلك الحادثة ، حادثة اخرى هي قيام القوى اليمينية المتطرفة بأغتيال معروف سعد الذي كان على رأس مظاهرة للصيادين في صيدا . كل هذه ألأحداث أضافة لنشاطات أجهزة مخابرات اجنبية متعددة ادى الى انتشار العنف وألأقتتال في كل انحاء لبنان كان نصيب بيروت من هذا العنف المستمر انها انقسمت الى بيروت غربية حاضنة للمقاومة وبيروت شرقية حاضنة لليمين المسيحي المتطرف يفصلهما حاجز عرف بالخط الأخضر .

تداولت وسائل ألأعلام العربية وألأجنبية خلال تلك ألمرحلة المرتبكة أخبار عن وجود عمليات خطف وقتل وأطلاق نار بشكل غامض مما يدلل على ان هناك اطراف مخابراتية أجنبية منها ألأسرائيلية لتأجيج ذلك الصراع لآسباب تتعلق بمصالح تلك ألأطراف في المنطقة العربية . أدى كل ذلك الى احتدام المعارك بين الطرفين الرئيسين في الصراع لتصل تلك ألمعارك ألى حدود القصر الجمهوري مما حدى رئيس الجمهورية سليمان فرنجية ألى تركه وألأتجاه الى جونية . ألمعرك ألتي أستمرت دائرة بين ألجبهة ألوطنية وألقوات ألمسيحية ألأنعزالية أنتهت في أغلب ألجبهات لصالح مقاتلي ألجبهة ألوطنية . كانت اخر جبهة هي جبهة ألجبل التي جرى حسم ألمعركة فيها لصالح مقاتلي ألجبهة الوطنية اللبنانية أيضا التي انهت ذلك الصراع الدامي الطويل ولم يتبق سوى تسلم الجبهة الحكم وتنفيذ برنامجها ألأصلاحي الوطني .

في فجر ذلك اليوم من ايام كانون الثاني من العام ١٩٧٦ وبضوء اخصر امريكي وأسرائيلي ، أقدم حافظ الأسد على اصدار أمرا لقواته بدخول لبنان وأجتياحه لمنع اي تغيير يمكن ان يحصل فيه فكان هذا ألحدث مفاجئة للجميع ومنهم حلفاءه الروس . تصدت فصائل من المقاومة الوطنية اللبنانية لتلك القوات وخاضت معها عدة معارك لم تتمكن فيها من صد قوات ألأسد بسبب الفارق في نوعية السلاح والحجم الكبير للقوات السورية مما ادى في النهاية الى بسط القوات السورية سيطرتها على بيروت ومناطق واسعة من لبنان عدا الجنوب التي وضعت له اسرائيل خطا أحمرا يمنع القوات السورية تخطيه . كان من نتائج ألأجتياح السوري هو تشظي الجيش اللبناني مما ادى الى تعاظم في مسؤليات القوات السورية فكان هذا بداية غوص نظام ألأسد في المستنقع اللبناني الذي استمر طويلا .

الهدف الرئيسي لتدخل ألأسد في لبنان هو منع الجبهة الوطنية اللبنانية لتغيير نمط الحكم في لبنان وتنفيذ برنامجها ألأصلاحي الوطني في اقامة نظام ديموقراطي على الأسس الوطنية الشعبية والقومية بعيدا عن المحاصصة الطائفية . هناك أحتمالان لأقدام ألأسد على غزو لبنان ، ألأحتمال ألأول هو انه اعتبر أن مثل ذلك النظام سيشكل خطرا مباشرا على نظامه السياسي القمعي وبقية نظم ألمنطقة وألأحتمال ألثاني هو انه حصل على ألضوء ألأخضر من عدة دول خارجية منها أقليمية ودولية . جصل ألأسد أولا على ترحيب محلي من قبل قوى أليمين أللبناني ألمتمثل بألمسيحيين ألمارونيين ومعهم بعض ألمنتفعين من ألسنة وألشيعة ألمنتفعين من نظام ألمحاصصة على ذلك ألتدخل أعقبه دعم عربي رسمي عندما قررت ألجامعة بأرسال قوات ألردع لمساعدة ألقوات ألسورية لضبط ألوضع ألمتردي في لبنان .

شاهد ألجميع محطات ألتلفاز ألعربية وألأجنبية وهي تنقل ما قامت به ألميلشيات ألمسيحية ألمورونية بمساعد جيش نظام ألأسد بدك بيوت مخيم تل ألزعتر ألواقع في بيروت ألشرقية على رؤوس ساكنيها من أللاجئين ألفلسطينيين وأزالته من ألوجود . تبين فيما بعد أن تنظيف ألتواجد ألفلسطيني في تلك ألمنطقة هو مخطط لئيم لتقسيم ألعاصمة بيروت ألى بيروت شرقية واقعة تحت سيطرة ألميلشيات وبيروت غربية واقعة تحت سيطرة فوات ألجبهة ألوطنية وكان هذا بداية لتقسيم أرض لبنان الى كانتونات دينية وطائفية متناحرة .

لم تكن نتيجة ألتدخل ألعسكري ألسوري مرضية للأطراف ألتي دعمت هذا ألتدخل بعد أن أزداد تدهور وتعفيد ألأوضاع ألداخلية أللبنانية أكثر من ألسابق فبعد ان رحب أليمين ألمسيحي أللبناني بقوات ألأسد بدأ هذا أليمين يبتعد عنه خاصة بعد تسلم ألشاب أليافع بشير جميل قيادة ألقوات أللبنانية . أستمر تعاون ألقوات ألسورية مع ألمبلشيات ألمارونية ألمتطرفة لمدة ليست قصيرة لكن مع تطور ألأحداث وتسلم ذالك ألشاب أليافع بشير ألجميل قيادة أكبر وأقوى ميليشيا مارونية مسلحة هي ميليشيا ألقوات أللبنانية ، تدهورت ألعلاقة بين قوات ألأسد وهذه ألميليشيا . تحولت هذه ألعلاقة فيما بعد ألى قطيعة ثم ألى عداء بعد أن أنحاز ألجميل الى جانب ألصهاينة لتصل ألعلاقة معهم ألى درجة ألتحالف فأنهالت على هذه ألميلشيا كل أنواع ألدعم وألمساعدة ألعسكرية وأللوجستية فأزدات حدة ألصراع وتنوعت أطرافه .

دخلت ألصراع ألدائر في لبنان أطراف عدة من أهما أمريكا فكانت ألبارجة "ميزوري " تطلق قذائها من ألبحر بمدافع قيل أن قطر فوهة ألواحد منها متر نحو مراكز قوات ألجبهة ألوطنية أللبنانية . في مثل هذا الوضع المعقد ازداد غوص النظام السوري في ألمستنقع أللبناني أكثر من ألسابق فأخذت تنتشر في الشارع العربي ألسخوية من حافظ ألأسد لتقول أنه " أسد في لبنان وجرذي في الجولان ". وجدت قوات ألأسد نفسها عاجزة عن فرض سيطرتها على نشاط الفصائل المسلحة الفلسطينية التي واصلت عملياتها ضد اسرائيل في

الجنوب مما ادى الى نفاذ صبر قوى الهيمنة الدولية واسرائيل من فشل نظام ألأسد في مهمة ضبط ألأوضاع في لبنان فقررت تلك ألقوى بتكليف ألدولة ألصهيونية للقيام بتلك ألمهمة .

أقدمت أسرائيل على أول أجتياح لها لأراضي ألدولة أللبنانية عندما باشرت قواتها في ١٤ آذار من العام ١٩٧٨ بشن هجوم قوي وسريع للجنوب اللبناني لتتوقف عند حدود نهر الليطاني فأتخذته خطا فاصلا بينها وبين بقية لبنان مما أدى الى أنسحاب عناصر المقاومة الى ما بعد هذا الخط . كان ألهدف ألمعلن من هذه العملية هو منع قوات المقاومة ألفلسطينية من ألقيام بعمليات ضد أسرائيل غير أن هذا لم يمنع من استمرار المقاومة في مواصلة عملياتها ضدها . مع استمرار تلك ألعمليات ألتي صاحبتها ضغوط بعض ألأطراف ألأقليمية وألدولية ، بدأت اسرائيل بالأنسحاب تدريجا من الجنوب أللبناني . في هذا ألوقت بدأت تظهر على سطح ألأحداث ميليشيا من نوع جديد تحمل طابعا دينيا طائفيا متشددا هذه ألميليشيا هي ميليشبا "حركة أمل " تحت قيادة نبيه بري ومع تفاقم تعقيد ألأوضاع ألداخلية للبنان وأنسداد ألأفق لحلها ، قررت قوى الهيمنة والتحكم ألدولي بأعطاء الضوء ألأخضر لأسرائيل لأجتياح شامل لأرض للبنان .

أقدم ألكيان ألصهيوني في يوم ٦ حزيران من العام ١٩٨٢ بقيادة شارون على غزو ألقوات ألصهيونية للبنان فدفعت أسرائيل بقواتها ألبرية لأجتياح جنوب لبنان أولا وتكتمت على خطوتها ألتالية لأيام ليتضح بعد ذلك أن هناك قوات أخرى سلكت طريق البحر لتحتل كل من صور وصيدا . صاحب تلك ألعمليات ألعسكرية هجوم جوي كثيف على بيروت الغربية مستهدفة قوات ألجبهة ألوطنية ومنازل ألقادة ألفلسطينيين في حين حركت قواتها في ألجنوب بأتجاه ألشمال لتلتقي بقواتها ألموجودة في صور وصيدا . بعد أن أجتمعت هذه ألقوات ، زحفت بأتجاه ألعاصمة فدخلت بيروت ألشرقية اولا وقد شاهد ألعالم كيف أن مواطنيها قابلوا ألجنود ألصهاية بألزهور بل قيام بعض ألفتيات يأحتظانهم وتقبيلهم .

لجأت ألقوات ألصهيونية ألى تطويق بيروت ألغربية من كل ألجهات فأخضعتها لحصار خانق وهي وأقعة تحت قصف مستمر لطائراتهاحتى كاددت أن تتحول ألى خراب . وعندما وصلت أوضاع لبنان حدا لم يعد يطاق تحركت ألأمم ألمتحدة فأرسلت مندوبها فيليب حبيب للتوصل ألى حل سياسي ينهي هذا ألوضع ألمتفاقم وقد أفضى هذا ألحل ألى ما كانت تهدف أليه ألصهيونية ألعالمية وألأمبريالية ألأمريكيية وهو خروج ألمقاتلين ألفلسطيينيين من بيروت . هناك حادث بهذا ألخصوص لا يمكن ألتغاضي عنه ملخصه هو على ألوجه ألتالي : كانت هناك مجموعة من ألمقاتلين ألفلسطينيين في طرابلس ، أراد أبو عمار وخليل ألوزير بعد مدة من وجودهم في تونس ألتوجه ألى طرابلس لتفقد أحوالهم وعندما وصلوا ألى هناك بدأت تنهارعليهما قذائف ألقوات ألصهيونية من ألجنوب وقذائف ألقوات ألسورية من ألشمال مستهدفين قتلهما .

أصبح ألهدف مما يحصل في لبنان وأضحا هو ألتخلص من ألوجود ألعسكري ألفلسطيني ومن ألجبهة ألوطنية أللبنانية ألذي أصبح سهلا بعدد أغتيال ألشهيد كمال جنبلاط . بعد أن حقق ألأجتياح ألأسرائيلي للبنان ألهداف ألرئيسي بأخراج ألمقاتلين ألفلسطينيين ، أنسحبت ألقوات ألصهيونية الى صيدا لتقوم على وضع خط لشريط حدودي بعمق من ١٠ الى ١٥ كم داخل أراضي لبنان . جعلت أسرائيل من هذه ألأرض مقرا لما سمي بجيش لبنان ألجنوبي أغلب عناصره من شيعة جنوب لبنان تحت قيادة ضابط لبناني ماروني عميل اسمه أنطوان لحد . من ألمؤسف أن أقامة هذا ألشريط كان مطابقا لما ذكره موشي دايان فيي مذكراته من تفاصيل عن هذا ألشريط (١٧) . لم يمنع ذلك الحاجز من تنفيذعمليات محدودة للمقاومة ألوطنية ضد أسرائيل ، لكن هذه ألمقاومة بدأت تتراجع لصالح " مقاومة " جديدة بألشكل وألمضمون خاصة بعد نجاح ملالي طهران من تولي ألسلطة في أيران فأخذت هذه " ألمقاومة " شكل ميليشيا حزب أله بعد ألأنشقاق من " حركة أمل " . عرفت هذه ألمليشيا بتشددها ألعقائدي وألسياسي وموالاتها ألعلنية لولاية ألفقيه في جمهورية أيران ألأسلامية حسب ما صرح به ولعدة مرات ألأمين ألعام لهذا ألحزب ألشيخ حسن نصر أله .

بعد توقف ألحرب ألأهلية في لبنان في بدايات ألعام ١٩٩٠ على أثر أتفاق ألطائف ألذي تضمن أحد بنوده تسليم سلاح كافة ألميلشيات ألى ألجيش أللبناني وتحول تلك ألميلشيات ألى أحزاب سياسية تمهيدا للعودة ألى ما كان عليه ألنظام ألسياسي ألمحاصصاتي ألقديم . وفي ألوقت ألذي أستجابت لهذا ألبند كافة ألميلشيات وسلمت سلاحها للدولة ، رفضت ميليشيا نصر أله بعد تحولها ألى حزب سياسي بأسم " حزب أله " تسليم سلاحها للدولة بحجة وجود خطر صهيوني على لبنان لا يستطيع ألجيش وحده على مواحهته . ألسؤال هنا لماذا جرى أستثناء حزب أله من هذا ألبند وأعطائه ألحق بأحتفاضه بألسلاح دون غيره من ألأحزاب أذا لم تكن هناك قوى خفية أقليمية ودولية لها مصلحة في بقاء هذا ألسلاح بيد مثل هذه ألمنظمة . ألأمر يخفي أسرارا كثيرة لها علاقة بتلك ألقوى ألخفية لتنفييذ خطط ستراتيجية أتجاه أقاليم ألمنطقة ألعربية كما تبين في ألسنين أللاحقة .

بعد خروج المقاتلين الفلسطينيين وتضعضع الوضع الداخلي للجبهة الوطنية اللبنانية وتفككها بعد أغتيال رئيسها كمال جنبلاط ، تصورت قوى اليمين اللبناني ألمسيحي وغير ألمسيحي بأن الساحة قد خلت لها لتقوم بترشيح قائد القوات اللبنانية المتطرفة بشير جميل لرئاسة الجمهورية . وقبل عدة أيام من تنصيب بشير للرئاسة وهو في أجتماع له مع بعض أفراد ميليشيا ألقوات ، تم تفجير ألبناية ألتي كانوا بها فقتل فيها في يوم ١٤ ايلول/ سبتمبر من العام ١٩٨٢ . كان هذا ألبشير الجميل ، الشقيق ألأصغر لأمين جميل ، متشبعآ بروح التطرف المسيحي الماروني ألطائفي مفتخرا ومجاهرا ، وبدون ادنى شعور بالحرج ، بعلاقته وصداقته مع بعض ألقادة الصهاينة . في مقابلة له وهو في زيه العسكري مع مراسل القناة الفضائية البريطانية ال BBC قبل مقتله بمدة أعترف بكل صفاقة وهو يشير الى ملابسه العسكرية بأن هذه الملابس هي هدية من اسرائيل .

يظهر ان لدى آل جميل التزام سري مع الصهاينة بعقد معاهدة سلام منفرد مع اسرائيل لأن هذا ما حاول امين جميل تحقيقه بعد ان تم التوافق عليه من قبل ممثلي الطائفة المسيحية وممثلي التيار ألأسلامي اليميني المحافظ والتيار ألدرزي الذي يرأسه ألصبي أبن ألشهيد كمال جنبلاط ليتسلم رئاسة الجمهورية في ٢٢ ايلول / سبتمبر ١٩٨٢ وألشعب أللبناني لا يزال يعاني من ألحرب ألأهلية ألمدمرة .

لم تمض سوى ما يقارب الستة اشهر على رئاسة أمين الجميل حتى اقدم فعلا على عقد معاهدة سلام مع الصهاينة في ١٧ مايس / اذار ١٩٨٣ التي جوبهت برفض شعبي لبناني وعربي واسع وسميت "بأتفاق الذل والعار " وكانت نتيجة اقدام امين على عقد تلك المعاهدة أن اشتعلت كافة جبهات القتال في لبنان وحصول تغيرات في قيادات القوات اللبنانية الجناح الضارب لليمين اللبناني ولا احد يعرف كيف ولماذا وبأي ظرف تم دفع أيلي حبيقة لتسلم قيادة القوات اللبنانية في العام ١٩٨٥ لتغيير وجهة القوات من التحالف المتين مع الصهاينة الى ألتحالف مع نظام حافظ الأسد مما دفع سمير جعجع وهو احد قادة تلك القوات بألأنقلاب على حبيقة ليصبح رئيسا لها وظل في هذا الموقع الى ما بعد تحولها الى حزب سياسي بعد اتفاق الطائف .

في مثل هذه الضروف المرتيكة وبعد أن أبتعد نظام ألأسد لحد ألقطيعة مع ألمقاومة ألفلسطينية ومنظمة ألتتحرير ألوطني ألفلسطيني ، اتجه بقوة نحو دعم ومساعدة الميلشيات ألأسلامية الشيعية . حصل هذا من قبل خروج ألفلسطينيين وتراجع وتفكك ألمقاومة ألوطنية أللبناية بعد تعرضها الى ما لم تتعرض له مقاومة اخرى في العالم من عداء وتآمر من قبل اطراف عدة ، بداية من نظام ألأسد والنظام العربي الرسمي وانتهاءا بأسرائيل وأمريكا . أصبح تشكيل مثل هذه المليشيا القائمة على اساس ديني طائفي متشدد ، نهاية ما اقدم علية نظام ألأسد فى تحويل أرض لبنان ألى كانتونات دينية طائفية متناحرة على كامل المساحة الصغيرة للبنان بهدف احكام ألنفوذ والسيطرة على لبنان والتلاعب بمقدراته . منذ بداية تلك ألأحداث ألتي تزامنت مع المعارك الملتهبة للحرب العراقية - الأيرانية التي راح ضحيتها ألألاف من القتلى والجرحى ، أتخذ نظام ألأسد علنا الوقوف ألى جانب النظام ألأيراني الذي عقد معه **" حلفا ستراتيجيا "** وساعد نظام ملالي طهران على ألحصول لصواريخ سكود الروسية التي كانت تضرب بغداد عشوائيا ليصيب احدها مدرسة للأطفال في منطقة الدورة ببغداد ويستشهد العشرات من تلاميذها الصغار فسميت ألمدرسة بمدرسة " بلاط ألشهداء " تيمننا بمعركة ألعرب ألمسلمين مع ألأسبان على ألحدود ألفرنسية .

لم تكن القوى السياسية اللبنانية بشقيها القديم التقليدي كحزب بيت جميل وحزب بيت شمعون وحزب ببيت جنبلاط وألحديث كحزب جعجع وتيار المستقبل و تيار المردة و ...الخ من ألأحزاب والكتل السياسية التي امتلأت بها الساحة السياسية اللبنانية ، وحدها هي المسؤولة عن تلك ألأوضاع لأن كل هذه القوى هي وريثة

فكر وسياسة الفرنسيين التقسيمية عندما احتلوا اقليم الشام بعد الحرب العالمية ألأولى وبالتالي فهي مسؤولية القوى الخارجية أيضا التي تحرك هذا وذاك الطرف وفقا لمصالحها الخاصة .

النتيجة هي أن قوى الهيمنة والتحكم الدولي قد تأكدت من أن تجربتها فيما فعلته بلبنان كانت ناجحة وأصبح في مقدورها ألان أن تعممها وتطبقها على أية دولة أخرى في العالم تتوفر فيها نفس ألشروط كمفتاح للسيطرة عليها وألتصرف بمقدراتها حسب ما تقتضيها ظروفها ومصالحها كما حصل في يوغسلافيا والعراق ، اليمن وليبيا و ... ألخ من أراضي ألأقاليم ألعربية .

عمدت امريكا وبريطانيا على أحتلال ألعراق لتقيم فيه نظاما سياسيا ليس قائما على المحاصصة فقط بل على فرض ساسة لهذا النظام ليس لهم مثيل في النهب والسرقة ودناءة النفس . وكان من نتائج نجاح هذه ألستراتيجية هو نقلها لتطبق في ليبيا ، سوريا واليمن وفي اقاليم منطقتنا العربية وحتى في بعض ألدول ألأوربية كيوغسلافيا واوكرانيا وجيكوسلفاكيا وهي مستعدة للمضي في هذه ألستراتجية ألناجحة في أي مكان من ألعالم عندما تتوفر ضروفها وتقتضي مصالحها .

٤ - الدور ألأقليمي والدولي لملالي طهران :

من الصعب التكهن فيما اذا كان حكام طهران من الملالي ألخمينيين بهذه السذاجة التي يمارسون فيها حكم الشعوب ألأيرانية منذ توليهم السلطة ولحد الآن . الأحداث والوقائع المعروفة والمسجلة خلال ألفترة ما بين بداية حرب ايران مع العراق ونهايتها و الى أحتلال العراق من قبل قوات ألتحالف الدولي الذي اعلنه كل من بوش و تابعه بلير في ٢٠٠٣/٥/٩ ولحد ألأن ، تدلل على ان هؤلاء الملالي بعيدين عن تلك السذاجة وأنهم أتخذوا طريقا مرسوما بعناية للمساهمة بمشروع سياسي ستراتيجي أممي يخص المنطقة العربية والسبب في ذلك يعود الى وقوعهم تحت تأثير عميق لأرث عقلي ونفسي مركب تعود جذوره ليس الى القرون الخمسة عشر الماضية ، عندما اختفت و تلاشت امبراطوريتهم الساسانية من التاريخ على يد العرب المسلمين فحسب ، بل الى عمق تاريخي ابعد له علاقة بالروحية العنصرية الساسانية وليس بالدين الذي تبنى المذهبية الشيعية كغطاء للمضي في ذلك المشروع . الوقائع والأدلة التي تؤكد ضلوع ملالي ايران في هذا المشروع ألأممي المرسوم لأقاليم المنطقة العربية ، كأنما عاد ألتأريخ لألاف ألسنين ألى الوراء ، عندما كانت هناك أمبراطوريتان تتنازعان العالم : ألأمبراطورية ألساسانية وألأمبراطورية ألرومانية . هذه ألوقائع وألأدلة وفق ترتيبها الزمني هي على ألنحو ألتالي :

أولا : فضيحة الطائرة المحملة بألأسلحة وألذخائر : في السنة ألأولى للحرب وتحديدا في يوم ١٨ من تموز من العام ١٩٨١ تم اسقاط طائرة مجهولة بصاروخ روسي عندما دخلت المجال الجوي للأتحاد السوفياتي لعدة امتار وبعد تفتيش حطامها ، تبين انها كانت متجهة الى ايران وهي محملة بكمية كبيرة من الذخائر وألأسلحة

ألأمريكية . اثار هذا الخبر الصحافة العالمية وخاصة البريطانية منها بسبب ان قائد هذه الطائرة هو بريطاني اسكتلندي فاستمرت الصحف تتناول هذا الحادث لعدة ايام خاصة الصحافة المحلية ألأسكتلندية التي افاضت في نقل تفاصيله . ألتحقيقات الرسمية والصحفية كشفت ان تفاصيال هذا الحادث أختصار شديد هي : ان هذه ألطائرة تابعة لشركة طيران ارجنتينة اقلعت من مطارات أسرائيل وهي محملة بأسلحة وأعتدة حربية وقطع غيار أمريكية ألصنع لتحط في مطار لارنكا في قبرص وهناك جرى تبديل مستمسكات الحمولة او ما يسمى " المنفست " من حمولة بمعدات عسكرية الى حمولة مدنية . تؤكد الوثائق أيضا ان هذه الطائرة غادرت مطار لآرنكا بأتجاه طهران وبأن هذه هي الرحلة هي الثالثة لها الى طهران فكانت هذه اول فضيحة تداولتها وسائل ألأعلام عن تعاون نظام الملالي مع الكيان الصهيوني في حربها على العراق . ألمهم هنا أن بني صدر أول رئيس للجمهورية ألأيرانية ألأسلامية " الشيعية " أكد هذه الواقعة في مقابلة له مع احدي القنوات الفضائية . قال بني صدر أيضا بأن بعض ألأطراف ألأقليمية والدولية حدثته كرئيس جمهورية عن وجود مبادرة لأنهاء الحرب مع ألعراق فقرر ان يطلب مقابلة **" ألخميني ألولي ألفقيه "** ليبحث معه واقعة الطائرة وأقتراح بوجود مبادرة لوقف اطلاق ألنار مع العراق . يقول بني صدر بأنه عندما تحدث مع خميني حول هاذين الموضوعين تجهم وجهه وظل صامتا ولم ينطق بكلمة واحدة مما يعني أن ألمقابلة قد أنتهت . بعد هذا أللقاء جرت محاولة لأعتقال او قتل بني صدر لو لم يتمكن من الهرب ومعه وزير ألدفاع في ألوقت ألمناسب حاملين معهم ما تمكنوا من وثائق عن ألنظام .

ثانيا : فضيحة أيران غيت - ألكونترا : هي صفقة سرية بين امريكا وأيران تم أبرامها في العام ١٩٨٥ في عهد ولاية ريغان الثانية . ملخص هذه ألفضيحة هو ان امريكا تعهدت للمرتزقة والمتمردين الذين اعدتهم لمحاربة نظام الساندنستا في نيكاراغوا بمساعدتهم بألأموال لشراء الأسلحة في وقت كانت فيه امريكا في ذلك الحين تواجه الكثير من المصاعب السياسية وألأقتصادية . في هذا الوقت ، جرت اتصالات بينها وبين ايران عن طريق وسطاء بيع وشراء ألأسلحة ، تركزت على حاجة ايران لشراء أسلحة امريكية متنوعة لمواجهة متطلبات الحرب مع العراق اضافة الى انها مستعدة لعقد صفقة مع ألأدارة ألأمريكية ، يتم بموجبها تحرير بعض رهائن السفارة ألأمريكة في طهران . كان العرض الذي قدمته ايران مغريا للأدارة ألأمريكية التي ستستخدم ألأموال ألأيرانية لتمويل مجموعة الكاونترا أضافة الى تحرير بعض من المحتجزين في السفارة ألأمريكية وهكذا تم التوقيع على ألأتفاق بين الطرفين فبدأت شحنات ألأسلحة تتدفق لتصل تباعا عن طريق اسرائيل الى أيران . تسربت اخبار هذه الصفقة الى ألأعلام ألأمريكي وألأسرائيلي والعالمي فأخذت تتكشف تفاصيلها بالتدريج وكان من نتائجها ان جرت محاكمة احد الضباط ألأمريكان المشتركين بعقد تلك الصفقة

امام المحاكم ألأمريكية ونشوب توتر بين اسرائيل وأمريكا عكستها مقالات صحف كلا الدولتين دارت حول من هو المتورط ألأول في هذه الفضيحة أمريكا أم أسرائيل .

ثالثا : كان برنامج " بانوراما " في .B.B.C ألبريطانية يعرض من حين لأخر ، حلقات حول تطورات ألحرب ألعراقية ألأيرانية خاصة عندما تشتعل المعارك في جبهات القتال وفي حلقة من حلقات ذلك ألبرنامج من العام ١٩٨٢ ، تم اجراء مقابلة مع احد رؤساء ألأستخبارات ألأمريكية السابقين فوجه مقدم ألبرنامج أليه سؤألا عن ألتطرف اللفضي لأيران في عدائها لأمريكا فكان رده : **مهما علا صراخ بعض من رجال هذا النظام ضدنا فأن لدينا دائما قنوات للتفاهم معه** . ترى من هم هؤلاء أصحاب قنوات ألتفاهم مع ألأمريكان ومن هو ألذي على رأسهم ، أهو**" الولي الفقيه"** أم أعضاء **" مجلس تشخيص النظام "** ام الزعماء الدينيين ألطائفيين اللذين يتكون منهم **" مجلس الخبراء "** الذي له سلطات دستورية واسعة ؟ ومهما **كان** طرف ألتفاهم ألأيراني فأنه غير مهم وألمهم هنا هو صحة ألواقعة .

رابعا : خطاب خميني وموافقته على ايقاف الحرب : بينما كان النظام العراقي تواقا لأنهاء تلك الحرب داعيا ايران الى التفاوض معه منذ ألأسبوع ألأول على نشوبها للوصول الى حل لأسباب النزاع بين البلدين الجارين لكن النظام في ايران رفض بشدة هذه ألدعوة وواصل فيما بعد رفضه لكل ألمبادرات وألدعوات لوقف الحرب وتمسك بشكل غير طبيعي بأستمرارها . بعد سنة من بداية تلك ألحرب أقدم ألعراق ، كبادرة حسن نية عن أستعداده للأنسحاب من الأراضي ألأيرانية التي احتلها في ألأسبوع ألأول من الحرب ، كبادرة حسن نية ، لعل قد يؤدي هذا ألأنسحاب الى موافقة ايران على التفاوض . سحب ألعراق قواته فعلا من أغلب ألأراضي التي أحتلها ولم يتبق سوى بعض ألمرتفعات ألمطلة على ألحدود ألعراقية لسبب يتعلق بحماية سكان المدن العراقية من قصف ايراني محتمل لتلك المدن . لم يعر نظام الملالي أية أهمية لما أقدم عليه ألعراق بل على العكس ازداد تعنتا وعنادا فأخذت ايران بعد ذلك تشن الهجوم تلو الهجوم على طول خطوط الجبهة الى ان تمكن الأيرانيون من أحتلال الفاو بطريقة ثارت حولها الشكوك بوجود مساعدة استخبارية اجنبية خفية لأحتلاله بهدف تشجيع نظام الملالي على أطالة أمد الحرب وقد تحدث وزير الدفاع العراقي آنذاك فأتهم صراحة " أبو ناجي " وهي كنية يستخدمها العراقيون للأشارة الى أن ألأنكليز هم من قدموا تلك ألمساعدة للملالي لأحتلال الفاو .

بعيدا عن تفاصيل المجريات العسكرية للحرب ، من الذي دفع الى اطالة امد هذه الحرب لمدة ثمان سنوات ذهب ضحيتها الكثير من القتلى والمعوقين والمدن المدمرة من كلا الجانبين ، هل هو الخميني فقط ام ان هناك اطراف خارجية كانت لها مصلحة في اطالتها لغرض " في نفس يعقوب " ! . في أخر سنة من تلك ألحرب ، تمكن العراق من تحرير الفاو وألأراضي العراقية ألأخرى في شرق البصرة والعمارة التي أحتلتها

أيران سابقا بسرعة قياسية وبما يشبه ألأتهيار الكامل للقوات ألأيرانية وأصبح الطريق مفتوحا امام القوات العراقية للتوغل في عمق ألأراضي الأيرانية لو ارادت لكن لسبب غير معروف أعلنت ألقيادة ألعراقية بعدم ملاحقة ألجيش ألأيراني ألمتراجع . نتيجة لهذا التطور ألعسكري ألأخير في مجرى الحرب أنتابت ، كما يبدو ، هواجس ومخاوف قوى الهيمنة الدولية من أن هذا ألتطور لربما سيؤدي ألى حصول تطورات لاحقة قد تربك ستراتيجيتها في ألسيطرة على المنطقة العربية وربما تعرضها للفشل فتوصلت الى قرار بضرورة أيقاف هذه ألحرب . ولقطع الطريق امام أي أحتمال يؤدي الى تلك ألنتيجة ، سارع مجلس ألأمن ألى أصدار قراره المعروف رقم ٥٩٨ بأيقاف الحرب فتوقف القتال في ٨ / ٨ / ١٩٨٩ . خرج خميني فألقى خطابا مسجلا يعلن فيه موافقته على وقف أطلاق ألنار مع ألعراق وقال فيه أنه كان يفظل **" تجرع ألسم ولا ألومافقة على وقف أطلاق ألنار "** مما يعني أنه قد أجبر على وقف أطلاق ألنار . وبغض ألنظر عن ألذي أجبر خميني على أيقاف تلك ألحرب ، فأن كلا ألشعبين قد أستقبلا نهاية ألحرب بفرح غامر وخاصة ألشعب ألعراقي الذي ظل لمدة أكثر من أسبوع يعيش أجواء أحتفالات ألنصر بأنتهاء تلك ألحرب أللئيمة .

لقد بينت ألأحداث اللاحقة ، منذ توقف الحرب بين ألعراق وأيران ، مرورا بحرب الخليج الثانية وما تبعها من حصار خانق عل ألعراق ألذى ذهب ضحيته أكثر من مليون طفل وشيخ بأن هناك جهات أقليمية ودولية تبيت للعراق أولا ولأقالبم ألمنطقة ألعربية ثانيا مستقبلا مظلما . كان أكثر ما تخشاه قوى الهيمنة الدولية اثناء الحرب بين العراق وأيران هو فقدان الورقة الطائفية ألأيرانية فيما لو تغير نظام ألملالي كنتيجة لتلك ألحرب لأنه لو حصل هذا ألتغيير فأن ستراتيجيتها التي أعدتها لأحداث تغيير مربك وفوضوي لتك ألأقاليم قد تتعرض للفشل . لهذا ألسبب رأت تلك ألقوى أن على أيران ان توقف حربها مع ألعراق وأن تنتظر ألصفحة ألتالية من خططها ألتي أعدتها للمنطقة ألعربية وعموم منطقة ألشرق ألأوسط التي بينت نتائجها بأنها ستكون أسوء بكثير من نتائج حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ وأن على ملالي طهران أن ينتظروا ويكونوا جاهزين للمساهمة في صنع تلك ألنتائج .

٥ ــ مرحلة ما بعد الحرب العراقية الأيرانية :

لم تمض سوى اشهر قليلة على نهاية الحرب مع ايران حتى بدء الأعلام ألأسرائيلي و ألأعلام ألأمريكي والغربي بشن حملات دعائية مكثفة على العراق . أول ما قامت به امريكا بعد توقف الحرب مع أيران هو ايقاف برنامج تزويد العراق بالرز ثم تلا ذلك قضية أعدام الجاسوس ألبريطاني بازوفت ألفارسي ألأصل . تلى ذلك حملة أعلامية واسعة قامت بها ألصهيونية ألعالمية وبعض ألدول ألغربية على رأسها أمريكا بتضخيم ألقدرات ألعسكرية وألتقنية للعراق مما يشكل ، حسب أدعائها خطرا على ألسلم ألعالمي ويشكل خاص على ألدولة ألصهيونية . أنتهت هذه ألحملة ألأعلامية بأقدام ألدولة ألصهيونية على توجيه تهديد علني للعراق بأنها

ستكون **مستعدة لأستخدام ألسلاح ألنووي ألتكتيكي ضد ألعراق** . وعندما خرج صدام حسين ليرد على ذلك ألتهديد ليقول ما نصه : **" في حالة استخدام ألدولة** الصهيونية **السلاح النووي لضرب العراق فأنه سيتم حرق نصف أسرائيل بالسلاح المزدوج "** فقامت الدنيا ولم تقعد . أخذت وسائل ألأعلام ألأمريكية و الغربية وألصهيونية النصف الثاني من رد صدام **" سيتم حرق نصف اسرائيل بألسلاح ألمزدوج "** ولم تذكر ألنصف ألأول منه **" اذا أستخدمت ألدولة الصهيونية السلاح ألنووي لضرب ألعراق "** في أي من وسائل ذلك ألأعلام . ومع ان العراق حتى ذلك الحين كان يعاب عليه انه كان اقل بكثير من بعض الدول اظهارا للعداء مع الأدارة ألأمريكية وكانت أكثرهذه الدول التي تظهرعداءا ظاهرا لأمريكا هي ، كما هو معروف ، كوريا وأيران ، غير ان امريكا والدول الغربية جعلت من ألعراق ألعدو ألأول .

٦ - غزو العراق للكويت :

بعيدا عن الضجيج ألأعلامي الذي سبق ورافق عملية غزو القوات العراقية للكويت ، هناك وقائع وحقائق ثابتة جرى تجاهلها عن عمد حول ألضروف وألأجواء ألتي حصل فيها ألأحتلال وما سيقال هنا بهذا الصدد ، هو ليس تبريرا لما اقدم عليه العراق بل لتوضيح ألحقائق ألمرتبطة بذلك ألغزو . من الضروري هنا ألأشارة الى ان ألهجوم وألتنديد ألصاخب لوسائل ألأعلام ألأمريكية وألصهيونية وبعض وسائل ألأعلام العربية ليس له علاقة بالقوانين الدولية وأحتلال اراضي الغير وأنما له علاقة بتنفيذ ألخطط الستراتيجية المعدة للمنطقة . قد عبر بوش بعضمة لسانه بعد أجتياح العراق للكويت بأيام قليلة عندما قال **" سنحرص على عدم السماح للعراق بتصدير قطرة نفط واحدة "** و **" لن نسمح لصدام بتقليل المستوى المعاشي للمواطن ألأمريكي "** . ألأهم من ذلك كله انه بدأ فيما بعد يبشر بظهور **" النظام ألعالمي جديد " أي** انه سيكون هناك نظاما جديدا للعالم تصوغه امريكا **لتتربع** فيه على عرش حكم العالم . ولو لم يكن جورج بوش متأكدا من قيام هذا النظام لما بشر به علنا وهذا يعني **أن** ألدوائر ألأستخباراتية ألأمريكية وغير ألأمريكية قد قدمت له معلومات مؤكدة عن قرب أنهيار منظومة ألمعسكر ألأشتراكي وتفكك ألأتحاد السوفياتي . لقد أصبح واضحا من كلام بوش بان الحرب التي يجري ألأعداد لها ضد العراق ، هي ليست حربا لتحرير الكويت من **" المعتدي العراقي الذي انتهك سيادة وأستقلال ألكويت "** أكثر مما هي حرب تحمل في **طياتها اهدافا ستراتيجية كونية تنتهي لتصبح فيها أمريكيا القطب ألأوحد في العالم وهذا ما أثبتته حقائق ما حصل في ألسنوات ألاحقة اللتي مر بها العراق منذ الحصار وألأحتلال ولحد ألأن .**

ألحقيقة ألأولى : أن العراق خرج من الحرب مع ايران منتصرا لكنه مفلسا مثقل بالديون وبحاجة ماسة للمال لأعادة تعمير البنى التحتية من كهرباء وماء ومصانع اضافة ألى مواجهة مشكلة ألآف ألجنود الذين تم تسريحهم من الجيش بعد أنتهاء ألمعارك مما يتطلب ايجاد فرص عمل لهم . وفوق كل ذلك بدأت قيمة ألدينار

ألعراقي بألتدهور تدريجيا ألى أن وصل سعره للدولار ألواحد ٤,٥ دينار عراقي في ألفترة ألتي سبقت شن ألحرب ألثلاثينية على ألعراق في ألعام ١٩٩١ .

كان العراق طوال فترة الحرب مع أيران لا يمل ولا يكل من ترديد ان الحرب التي يخوضها ، هي ليست دفاعا عن العراق وحده وأنما هي **" دفاعا عن ألأمة العربية "** أيضا . كان هذا الموقف بمجمله صحبحا وفق ما تؤكده ألأحداث الحالية التي تمر بها ألأقايم الخمسة للمنطقة ألعربية . ما كان بيد العراق بعد نهاية ألحرب ألعراقية ألأيرانية سوى التوجه الى **" أشقاءه العرب "** في دول الخايج ، السعودية والكويت تحديدا ليطلب منهما قرضا لا يتعدى ألعشرة مليار دولار لتخطي تلك ألأزمة ألأقتصادية ألخانقة وهو مبلغ ضئيل جدا مقارنة بما تملكه الدولتان من الاف الميلارات من الدولارات في خزأنهما وخزائن البنوك الأمريكية وألأوربية .

الحقيقة الثانية : ان كل من ألكويت وألسعودية أتخذتا أسلوب المماطلة وألتعنت مع ألعراق فبدأت هاتان " ألشقيقتان " خلال المفاوضات مع ألوفد العراقي بالتسويف وأضاعة ألوقت . كانت أخر محاولة من ألعراق لحصول هذا ألمبلغ هي أرسال وفد حكومي رفيع ألمستوى يرأسه نائب صدام للقاء مسؤولي البلدين وحسم هذا الموضوع ألا أن النتيجة كانت أسوء من امتناع منح ألقرض بعد أن ساد جو ألمفاوضات التوتر والتلاسن البذيىء والمهين خاصة من طرف الكويتيين . ألسؤال هنا هو ، هل ألذي حصل من تعنت وأذلال للعراق كان صدفة في تزامنه مع تصعيد أعلامي أمريكي أسرائيلي وأوربي كثيف ضده أم أن هنك هدف خفي ورائه **!** . مهما كانت ألدوافع ، ألنتيجة كانت كارثة حلت على ألعراق وعلى المنطقة عندما أستفاق ألعالم صبيحة ١ أيلول ١٩٩٠ ليسمع أن ألجيش ألعراقي قد غزى ألكويت . أنعقد مجلس ألأمن في أليوم ألتالي بسرعة غريبة وكأنه كان مهيئا بشكل مسبق ليصدر القرار رقم ٦٦٠ داعيا فيه العراق على سحب قواته من الكويت دون **قيد او شرط** . أعقب ذلك صدور سلسلة من القرارات يلغ عددها في ألفترة ما بين ٢ آب ١٩٩١ وكانون ألثاني من نفس ألعام أكثر من أربعة عشر قرارا وهو أمر لم يحصل منذ تشكيله بعد الحرب العالمية الثانية ولحد الأن . كان من اقسى تلك القرارات هو قرار الحصار الشامل على ألعراق وظهر رئيس ألولايات ألمتحدة ألأمريكية بوش ليقول **" سوف لن نسمح للعراق من تصدير قطرة واحدة من النفط "** ولو أن ألأمر أقتصر على حضر تصدير ألنفط فقط لكان سهلا على ألعراقيين تحمله ، لكن ألحضر شمل ألغذاء وألدواء مما يمكن أعتباره جريمة بحق ألأنسانية . أما قرار أستخدام القوة لأخراج العراق من الكويت فقد تم تنفيذه في ألنهاية بعنف شديد ذهب ضحبته ألاف ألعراقيين بينما تقبع عشرات ألقرارات في أدراج مجلس ألأمن حول القضية الفلسطينية منذ العام ١٩٤٨ ولحد ألأن دون أن تحرص أية جهة على تنفيذه .

٧- ألهجوم ألعسكري الثلاثيني على العراق :

ألأستعدادات ألعسكرية وألسياسية لأخراج ألقوات ألعراقية من ألكويت تغص بتفاصيل مؤلمة كثيرة غير أن من ألضروري سرد ألمهم منها التي تساهم في توضيح حجم المؤامرة التي اشتركت فيها بعض الأطراف العربية . أنعقد أجتماع تآمري واضح للجامعة العربية ، كان عرابه رئيس جمهورية " مصر العربية " آنذاك حسني مبارك ، الذي ذاق في نهايات عمره الذل والمهانة من الجماهير العربية المصرية بعد أن تخلت عنه أمريكا ، لبحث أزمة أحتلال ألعراق للكويت . كان هذا ألأجتماع الذي بثته قنوات تلفزيونية عديدة مسرحية بائسة لأصدار قرار بدعوة **" المجتمع الدولى "** بأتخاذ كافة التدابيرلأجبار القوات العراقية على ألأنسحاب من الكويت . تلا ذلك قيام التلفزبون السوري بأذاعة رسالة من حافظ ألأسد الى صدام حسين يدعوه فيها ألى سحب ألقوات العراقية من الكويت **وهو يتعهد بأنه سيضع الجيش السوري الى جانب الجيش العراقي لمواجهة تعرض اي عدوان عسكري على ألعراق بعد انسحاب قواته من ألكويت** . بعد قليل من الوفت ، رد صدام برسالة اذاعها تلفزبزن بغداد ايضا ، قال فيها لحافظ ألأسد بأن مثل هذه ألأمور لا يجري تداولها عن طريق رسائل ببثها التلفزيون وانما بلقاءات مباشرة وأضاف بأن هناك تجارب سابقة بمثل هذا ألتعهد . كل هذا حصل وقوات ألتحالف ألثلاثيني تتدفق على ألسعودية وألدول ألخليجية ألأخري لـتأخذ مواقعها على ألحدودألعراقيةألكويتية .

٨ ــ توقف الحرب وانسحاب العراق من الكويت :

بعد ان اكتمل الحشد العسكري الثلاثيني على الحدود الكويتية والسعودية ، قام كل من ألأسد ومبارك بارسال قطعات من جيشهما للأنظمام الى التحالف ألثلاثيني فكانت تلك القطعات اول من عبر حدود الكويت . وفي حين كانت شوارع طهران تعج بالمظاهرات ألمناهضة للحرب على العراق ويقوم المواطنون ألأيرانيون بأستقبال الطيارين العراقيين الذين يهبطون بطائراتهم بكل ترحاب وعناية ، كانت رؤس النظام ألأيراني من ملالي طهران تستعد في الخفاء لأستغلال ألأزمة لأخذ ألثأر من ألعراق ، كما بينت ألأحداث فيما بعد ، لتحقيق هدفها الطائفي في " تصدير ألثورة " والقضاء على النظام العراقي .

بدات الحرب على العراق في فجر ١٧ كانون الثاني عام ١٩٩١ بقصف جوي عنيف أستمر ما يقارب خمسة واربعين يوما شمل كل انحاء العراق تم فيه تدمير المرافق الحيوية من كهرباء ومصانع ومنشئات أضافة الى بعض الدور السكنية للمواطنين . راح ضحية هذه الغارات عراقيون ابرياء **وسيظل قصف ملجأ العامرية المكتظ بالمدنيين من أطفال ونساء وشيوخ بطائرات قوات التحالف عارا ابديا على امريكا وعلى من ساهم في تلك ألجريمة ألبشعة ألنكراء** ولعل ألجميع يتذكر أيضا ما أطلقه بيكر وزير خارجية أمريكا من تهديد بأعادة العراق الى عهد ما قبل الصناعة .

في ١٧ كانون الثاني ١٩٩١ امر صدام بأنسحاب القوات العراقية من الكويت والكل يعلم كيف ان طيران التحالف واصل هجماته البربرية على القوات ألعراقبة المنسحبة لدرجة ان خسائرها في المعدات وألأفراد فاقت خسائرها أضعاف ما خسرته خلال المدة التي أستغرقتها تلك ألحرب . مع أن بوش وافق على وقف أطلاق النار يعد ساعات قليلة من اعلان صدام قرار ألأنسحاب من الكويت ، أستمر شوارزكوف قائد قوات التحالف بأصدار أوامره لقوات ألتحالف بأستمرار ألهجوم مما أدى ألى أصدار بوش أمرا بأحالته على ألتقاعد . ظهرت ألنزعة ألثأرية الغريزية ألبدوية لبعض ألأعراب من الكويتين لدرجة فاقت في حقدها على العراق حقد قوات التحالف وقائدها شوارزكوف الذي يبدو من أسم عائلته انه من سلالة الروس البيض الذين ذاقوا مر ألهزيمة على يد بلاشفة روسيا . أبرز ما مثل حقد ألأعراب على ألعراق بسبب غزوه للكويت هو أن امام أحد جوامع الكويت ألقى خطبة اول جمعة بعد ما سمي **" بتحرير أألكويت "** توجه ألى الله بالدعاء على العراق والعراقيين **" رب أجعل ألعراق حجرا فوق حجر "** أضافة الى انهم قاموا بتسمية أحد ألشوارع ألرئيسية في ألكويت بأسم **" شارع بوش"** . أنسحب ألعراق من الكويت لكن قرارات مجلس ألأمن لم ترفع عنه كما تقضي تلك ألقرارات وألأعراف والقوانين بل على العكس ، جرى التشدد في تنفيذها مما ادى الى وفاة ما يقارب أكثر من مليون عراقي من اطفال وشيوخ وعجزة بسبب ألحصار الأقتصادي ألخانق فأصبح الموت في العراق رحمة والعيش فيه نقمة بسبب العوز والمرض وألأسى ألذي جلبه ذلك الحصار ألقاسي على ألعراقيين وأستمر لأكثر من أحد عشر عام .

٩ – حادث تفجير برجي منهاتن وألأستعداد لأحتلال العراق :

انتهت تلك الصفحة لتبدأ صفحة جديدة أكثر ايلاما من حرب ألكويت وهي تلك التي بدأ فيها ظهور أول شرخ طائفي سياسي في المجتمع العراقي رتبته وشجعته كل من زمرة ملالي طهران والأدارة ألأمريكية . في ظروف ارتباك ألأمن في المحافظات العراقية وضعف حراسة ألحدود الشرقية مما سهل تسلل عملاء أيران الى داخل البصرة والعمارة وغيرعا من المدن العراقية الجنوبية لأثارة المواطنين بهتافات طائفية مذهبية سمعها العراقيون لأول مرة كشعار **" لا ولي الا علي نريد حاكم جعفري "** وغيره من الشعارات ألتي حملها متظاهرون قليلون في البداية لكنها أتسعت مع ألأيام . بدأت المظاهرات تطوف شوارع وأزقة البصرة تقودها مجموعة معممين يدعونهم " بالسادة " وهي ترفع ، الى جانب شعاراتها الطائفية ، شعارات سياسية تدعو لأسقاط النظام العراقي . تطور ألأمر ، ألى قيام المتظاهرين ، بتحريض من أولائك السادة ، بممارسة العنف والتخريب والنهب مستهدفين مؤسسات الدولة من اهمها : دوائر ألأحوال المدنية ، مخازن التموين الغذائية ، المستشفيات والمدارس ثم لجأوا الى أحراق مراكز الشرطة وألأمن وقتل منتسبيها وكل ما تصل اليها ايديهم . تبعت البصرة ، مدن جنوبية اخرى جرى فيها أتباع نفس الشعارات ونفس الأسلوب . بنفس الوقت تحركت

الفصائل الكردية المسلحة المدعومة من كل من ايران وأمريكا بأحتلال المدن الشمالية الكردية . شكلت تلك ألأحداث الطائفية والعرقية ، بداية لقيام كل من ايران و قوى التحكم الدولي بألعزف على اوتارها طوال السنين التالية . لتكريس وتقنينن هذا ألأمر ، اقدمت ألأدارة ألأمريكية قسرا على تقسيم العراق بخطوط عرض الى ثلاثة مناطق : شمالية ، وسط وجنوبية وفرضت حضرا جويا للطيران العراقي في كل من المنطقتين الشمالية والجنوبية **" لحماية سكان هاتين المنطقتين من بطش النظام "** بينما هو في الحقيقة ، تجربة اولية لمحاولة تقسيم هو في رحم المستقبل .

انتقلت امريكا وحلفاءها الغربيون بعد ذلك الى ما سمى بنزع **" اسلحة الدمار الشامل "** التي يملكها العراق فتمسكت بهذا الملف كتمسك معاوية بقميص عثمان وظلت تطنطن وتضخم هذه المعزوفة لسنوات طويلة ألي أن وافقت أدارة كلينتون على قرار ألأمم ألمتحدة بأبرام اتفاق مع ألعراق على برنامج **ألنفط مقابل ألغذاء** للتخفيف عن معاناة ألعراقيين . وعندما بدأت أدارة كلنتون بالضغط ، بشكل غير مسبوق ، على رئيس الوزراء ألأسرائيلي نتنياهو ليجتمع مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات في ٢٣ تشرين اول / أكتوبر ١٩٩٨ لأيجاد حل نهائي للقضية الفلسطينية ألأسرائيلية وكاد ان ينجح فيها لولم تتفجر فجأة فضيحة علاقة كلنتون الجنسيية مع الفتاة ألبهودية المتدربة في البيت ألأبيض المدعوة **" مونيكا "** .

أخذت وسائل ألأعلام ألأمريكية والأوربية تنشر ادق التفاصيل الفاضحة لهذه العلاقة غير انها كانت تتحاشى ألتطرق الى التفاصيل الشخصية الدقيقة لهذه الشابة اللعوب وأكتفت بذكرألأسم الكامل لهذه الفتاة وبعض ألمعلومات ألعامة عنها . أسم هذه ألفتاة هو " مونيكا صامويل لوينسكي " وهذا ألأسم العائلي يشير ألى ان اصول عائلتها قد تعود الى اولئك أليهو البولنديين أللذين هاجر الكثير منهم الى امريكا خلال حقبتي الحرب العالمية الأولى وألثانية . وبغض ألنظر عن تابعيتها ألدينية فأن الشبهة بأستخدام هذه الفتاة كطعم للأيقاع بكلينتون تحسبا من قوى داخلية أمريكية - صهيونية لما يمكن أن تتمادى فيه سياسة ألأدارة ألأمريكية في رغبتها بحل قضيتين عالميتين معلقتين هما قضية ألعراق وألقضية ألفلسطينية . وبألفعل أتخذ ألكونغرس ألأمريكي في ألعام ١٩٩٨ قرارا بعزل كلينتون من منصبه بسبب ألمظاعفات التي علقت بتلك ألفضيحة . أستمرت تفاعلات هذه ألفضيحة في ألتأثير على ألوضع ألسياسي ألأمريكي فتم أتخاذها ورقة لأضعاف حظوظ مرشح الحزب الديموقراطي أل غور كخلف لكلنتون في النجاح بألأنتخابات التي تنافس فيها مع بوش ألأبن . وعندما جرت ألأنتخابات وتم أعلان نتائجها تبين أن بوش لم يحصل على ألنتيجة المطلوبة للفوز بألرئاسة وبعد كثير من ألأثارة في ألأعلام ألتابع لليمين ألأمريكي ألمتطرف وألصهيونية ألعالمية حول هذه ألنتيجة ، تقرر أعادة فرز ألأصوات في ولاية فلوريدا بسبب ما قيل عن وجود خطأ فيها . وعندما جرت عملية أعادة الفرز ، تبين بان بوش هو الفائز بنسبة ضئيلة جدا على آل غور . أنتاب ألطرف ألأخر من

وسائل ألأعلام ألأمريكية ألشكوك حول هذا النجاح بسبب ما قيل أن لحاكم هذه ألولاية ألذي أتضح انه شقيق لبوش يد في في هذا ألنجاح وهو أمر محتمل وجائز في بلاد العم سام رغم صحة أو عدم صحة ما أثاره ألأعلام حول هذا ألموضوع . هناك دلائل مهمة أظهرتها ألأحداث فيما بعد تشير ألى أن وصول بوش ألأبن لمنصب ألرئاسة هو لغرض تنفيذ خطط ستراتيجة تجعل من أمريكا أمبراطورية تتحكم بمصير جميع دول العالم . ألقليل من كان يعرف من هو هذا بوش ألأبن ومن هي عائلته ألتي أمتهنت كنز ألمال وألعمل ألسياسي منذ زمن بعيد لكن ألمحطة ألبريطانية ألأخبارية البريطانية .B.B.C بثت بعد أحتلال ألعراق بأشهر قليلة تقريرا مفصلا عنه وعن هذه ألعائلة . ذكر هذا ألتقرير أن الأصول الدينية لهذه العائلة تعود الى طائفة مسيحية بروستنتانية **" ميثودية "** تختلف عن الطوائف المسيحية ألأمريكية الاخرى من خلال تبنيها افكارا " دينية – سياسية صهيومسيحية " وان عدد منتسبي هذه الطائفة في أمريكا يبلغ ٨٠ مليون شخص . أتضح أن هذه ألطائفة تكن كرها عنصريا ودينيا للعرب وترى في أقامة دولة للصهاينة أليهود وتوسعها في فلسطين هي مسألة دينية ربانية واجبة .

نجح جورج دبليو بوش بالكاد في الوصول الى رئاسة ألولايات المتحدة ألأمريكية و تسلم منصبه في ٢٠ كانون الثاني / يناير ٢٠٠١ فتبدل ليس وجه امريكا فحسب وانما وجه العالم بسبب ما تخلل فترة حكمه من أحداث منذ توليه رئاسة امريكا وحتى خروجه منها . قام بوش باختيار أعضاء أدارته من أشخاص هم ألأكثر تشددا وتطرفا ممن جرت تسميتهم **" بالصقور"** من أمثال ديك شيني ، بول ولفووتز ودونالد رامسفيلد وغيرهم من مالكي ألثراء أو ممن يحتلون ألمناصب ألعليا في الشركات العملاقة ألأحتكارية كشركات ألنفط وشركات صنع ألأسلحة . عادة ما تمتلك مثل هذه ألشركات ألعالمية ألكبرى علاقات معقدة ومتعددة مع دول وأفراد لهم علاقة بتجارة ألنفط وألسلاح لتكون هي على رأس نشاطاتهم لتصب في ألنهاية لصالح ألولايات ألمتحدة ألأمريكية وألويل لمن يعمل خلاف ذلك .

تسلم بوش ألأبن رئاسة الولايات المتحدة وتحديدا في ١١ ايلول / وبعد تسعة أشهر في سبتمبر تحديدا وقع حادث تفجير برجي منهاتن في نيويورك الذي أحاطته الروايات بالكثير من ألغموض والشكوك والشبهات حوله . قبل هذا الحادث ومنذ بداية ولايته ، أخذ بوش وادارته وبتغطية مكثفة من ألأعلام ألأمريكي أليميني بالتهويل والترويج لوجود خطران يداهمان امريكا والعالم وان على امريكا أن تقوم ، نيابة عن العالم ، بالتصدي لهما . هذان ألخطران هما **: أولا -** الأرهاب العالمي والمقصود به طالبان والقاعدة وغيرها من ألمنضمات و **ثانيا - " محاور الشر "** وألمقصود بهم العراق وكوريا الشمالية وايران مع القليل من ألأشارة ألى سوريا . نجحت فعلا لعبة أثارة الرعب والخوف في صفوف ألأمريكيين البسطاء ، غير انها لم تنطل على

الرأي العام ألعالمي ما عدى بريطانيا ألتي كان بلير يرأس حكومتها آن ذاك ألذي شارك وعضد أتهامات بوش ليصبح في ألنهاية تابعا ذليلا له .

أخذ بوش يهدد طالبان بألويل والثبور بعد تفجير برجي منهاتن متهما أياها بأيواء ألمسؤولين عن تفجير ألبرجين وأذا لم بتم تسليم أسامة بن لادن ألمتهم ألأول في تدميرهما ألى أمريكا فأنه سيهاجم أفغانستان . كما أخذ بنفس ألوقت يسوق ألأكاذيب عن ألعراق مرة لأن له علاقة بتنظيم ألقاعدة ومرة أخرى لأنه يمتلك أسلحة ألدمار ألشامل دون أن يتعرض لأي محور من " محاور ألشر ألأخرى " وهي أيران وكوريا ألشمالية . في حين كان ألأتهام ألأمريكي المعلن موجه الى طالبان وحدها في تنفيذ حادث الهجوم على البرجين ألآ أن أدارة بوش بدأت تلوح بوجود **" علاقة للعراق بهذا الهجوم "** . ظهر على أحدى ألقنوات ألفضائية شخص له علاقة خاصة ببوش بعد ألضجة ألتي صاحبت تدمير ألبرجين فقال : **انه التقى بعد وقوع حادث تفجير البرجين مباشرة ببوش ألأبن ألذي أبلغني بأن أمريكا ستقوم بأحتلال أفغانستان ومن ثم ألعراق ولما أصابتني الدهشة وسألته ولماذا العراق أيضا وهو غير متهم في الحادث فكان رد بوش قائلا ان لدينا ادلة عن وجود علاقة بين صدام حسين وألقاعدة** . من هنا كانت بداية أعداد ألخطط لتنفيذ ستراتيجية ذات بعد كوني لتدمير ألعراق أولا ثم ألأنتقال للنيل من كافة أقاليم ألمنطقة ألعربية لأيقاف وعرقلة تقدمها ثم السيطرة عليها ونهب خيراتها .

في ألسنوات القليلة الماضية ، عرضت قناة روسيا اليوم RT عدة حلقات من برنامج " رحلة في ألذاكرة " أستضافت فيها أمرأة امريكية متوسطة العمر أسمها سوزان ليندلور (١٨) . كانت هذه المرأة تحتل موقعا وظيفيا هاما في دوائر ألأستخبارات المركزية ألأمريكية كضابط أرتباط مع ألحكومة ألعراقية وبالتالي فقد كان لديها الكثير من أسرار وخفايا أدارة بوش ألأبن على حد ما قاله معد ألبرنامج . ان قصة هذه ألمرأة مع أدارة بوش طويلة جدا يتعذر كل تفاصيلها ، لكن من ألضروري ذكر ألمهم منها لمعرفة حجم ألمؤامرة على ألمنطقة ألعربية . تم طرد هذه ألمرأة من وظيفتها ثم أعتقالها في العام ٢٠٠٥ بتهمة ألتجسس لصالح ألحكومة ألعراقية لكن تم أطلاق سراحها عام ٢٠٠٩ لعدم ثبوت ألتهمة ألموجهة أليها . وفي ألعام ٢٠١٠ أصدرت كتابا بعنوان " تحيز متطرف : " ضمنته ألكثير من ألأسرار ألمتعلقة بتك ألفترة ألمضلمة من تأرخ أمريكا وألعالم . ألشيء المهم ألذي قالته سوزان في تلك ألحلقات هو ان بوش طلب من ألأستخبارات ألأمريكية البحث عن ايجاد اية معلومات او ذرائع تؤدي الى احتلال العراق لكن أهم ما قالته من أسرار هي تلك ألمتعلقة بتفجير برجي منهاتن . قالت سوزان أن حادث ١١ آيلول/ سبتمبر ألذي أدى ألى تدمير برجي منهاتن وقتل ألمئات ممن كانوا فيه ، هو من تدبير أمريكا وألموساد ألصهيوني وتؤكد بأن ألأدارة ألأمريكية كانت على علم بألحادث قبل وقوعه (١٨) .

مع ان لجان التفتيش جابت كل انحاء العراق وفتشت كل ألمواقع ألمفترضة لوجود أسلحة ألدمار ألشامل فيها وهي لم تستثني حتى دور سكن بعض مسؤلي الدولة ومنها مقر رئيس ألجمهورية لم تعثر على أية أدلة قاطعة عن وجود مثل تلك ألأسلحة لتقدمها لأدارة بوش لأتخاذها ذريعة لمهاجمة العراق وأحتلاله . ولما أخذت دوائر ألبانتغون وألأستخبارات تماطل بألأعتراف بخلو ألعراق من هذه ألأسلحة ، أضطر أحد رؤساء لجان ألتفتيش ألمدعو ريترز ألى ألتخلي عن عمله ليقوم بنشر مقالات فيها تعريض واضح بتلك ألدوائر بسبب تدخلهم بعمل لجان التفتيش . لم تعر دوائر ألأستخبارات ألأمريكية وألبريطانية أي أهتمام لما انتهت اليه لجان التفتيش ولا لأقوال الخبير ريترز وأستمرت تقدم تقارير مفبركة وكاذبة لكل من ادارة بوش وأدارة تابعه بلير رئيس وزراء بريطانيا . كانت على رأس أحدى ألفبركات هي تلك ألتي أطلقها رئيس وزراء بريطانيا ألتابع ألأمين لبوش بلير ألذي أخذ يكرر ألحديث عنها كثيرا وهي أكذوبة **" الجمرة الخبيثة "** التي يمتلكها العراق والقادرة على قتل الألاف من سكان لندن في لحظات . وقبل أسبوع من شن ألعدوان على ألعراق ، في أخر أجتماع لمجلس ألأمن أطل وزير ألدفاع ألأمريكي كولن باول ليعرض على أعضاء مجلس ألأمن مسرحية العربة العراقية المتنقلة التي تحتوي على**" اسلحة الدمار الشامل "** طمعا في أستحصال موافقة لشن الحرب على العراق . ألفضيحة تكمن في ان كولن باول نفسه عاد بعد سنة تقريبا من أستقالته من منصبه ليقول انه نادم على ما عرضه فى مجلس ألأمن وأنه لم يكن يعرف بانها كذبة جرى زودتها به دوائر ألباتغون وألأستخبارات لتضليل مجلس ألأمن ودفعه للموافقة على أحتلال ألعراق .

رغم كل هذه المهازل من ألأكاذيب والفبركات ورغم التظاهرات الحاشدة المناهضة للحرب على العراق في كل من امريكا وبريطانيا وفي انحاء العالم ، خاصة تلك المظاهرة المليونية ألأستثنائية التي جرى تنظيمها في لندن ، واصل كل من بوش وبلير على أستعدادتهما ألعسكرية لشن الحرب على العراقر رغم علمهما يقينا بعدم وجود مثل هذه ألأسلحة الدمار . قامت كل من أمريكا وبريطانيا بتشكيل **" تحالف دولي "** مكون من بعض دول لا يكاد يعرفها أحد ولا يمكن رؤيتها حتى على خريطة ألعالم لأحتلال أقاليم رائع من ألأقاليم ألخمسة ألتي تضمها ألمنطقة ألعربية هو بلاد ما بين ألنهرين **" ميسوبوتاميا "** . يعرف ألعالم أن هذه ألبلاد هي ألتي قدمت لسكان كوكب ألأرض أللغة ألسامية ألأولى Pro-Simtic التي أخذوا منها لغاتهم الحالية .

أكملت أمريكا وبريطانيا بحشد قوات ألتحالف ونشرتهاعلى طول حدود ألكويت وألسعودية ألمحاذية للعراق أستعدادا للهجوم عليه بعد أن رفضت تركيا حشد اية قوات لهذا ألتحالف على حدودها للهجوم على ألعراق من ألشمال وألجنوب . لم يتبق من تلك ألأستعدادات سوى أختيار مكان ملائم خاص بغرفة أدارة ألعمليات ألعسكرية لقوات ألتحالف فكانت أرض قطر هي ألمكان ألمناسب لأقامة تلك الغرفة ألمجهزة بأحدث ألتقنيات ألألكترونية .

١٠ – ألاحتلال ألأمريكي ألبريطاني للعراق:

غير حادث تفجير برجي نيويورك الوجه السياسي ، ليس لأمريكا وحدها وانما للعالم أيضا فكانت نتيجة ذلك التغيير هو ما تمر به المنطقة العربية والعالم أليوم من اضطراب وفوضى لا تزال مستمرة لحد ألأن . واخر حادث كان الهدف منه اغراق الشرق ألأوسط وألأقاليم العربية بمزيد من الفوضى وألأرتباك وهدر الدماء بأكثر مما هو غارق فيه الان ، هو حادث محاولة ألأنقلاب العسكري في تركيا في ١٥ تموز/ يوليو ٢٠١٦ ولذلك ليس هناك من احد ومنهم أولائك الذين يحكمون امريكا اليوم ، يعرف على وجه اليقين متى وتحت اية ضروف سيتوقف هذا المسلسل ألأجرامي الذي تقوم به قوى الشر العالمي من أمريكان وصهاينة وأصحاب ألشركات الكبرى .

منذ تجربتها في لبنان ، وجدت " الحكومة الخفية " العالمية بأنه قد حان وقت حصاد زرعها فأستعدت ألأدارة ألأمريكية لتنفيذ بنود ألخطة ألمتفق عليها لحكم العالم . قامت ألأدارة ألأمريكية وهي متباهية في " ألتحالف الدولي " الذي جرته خلفها لتقوم بأحتلال افغانستان في ٧ تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠١ فانسحبت قوات طالبان وحليفتها القاعدة الى الجبال لتخوض مع قوات التحالف حرب عصابات دامية لآتزال مستمرة لحد الأن راح فيها الكثير من قوات التحالف وعناصر طالبان وألأهم هو الكثير من المواطنين ألأفغان ألأبرياء دون ان تتمكن امريكا من وضع نهاية لها لحد الان . لم تكن هناك قوة دولية لرادع ألأدارة الأمريكية بعد انهيار حلف وارشو وتفكك ألأتحاد السوفياتي فوجدت تلك ألأدارة ألتعجل باستغلال زخم ألخوف الذي زرعته ألأدارة ألأمريكية بقوة في نفوس ألمواطنين ألأمريكان بعد تدمير البرجين في منهاتن للمضي قدما في تنفيذ المرحلة التالية للمخطط الجهنمي الذي اعدته للعالم . بعد أن غزت امريكا وبريطانيا افغانستان مباشرة ، أخذت تستعد على عجل لغزو العراق كبداية لأغراق كامل المنطقة ألعربية بالفوضى لتجعلها لقمة سهلة الهضم . هكذا كان العراق بالنسبة لقوى التحكم الدولي : النجاح في الخطوة ألأولى يؤدي الى النجاح في ألخطوات ألتالية التي ستطال ألأقاليم العربية ألواحد بعد ألأخر بدون أن تأخذ ألأحداث طابع التدخل العسكري المباشر لأن أمريكاعملت على تشكيل مجموعات مختلفة جاهزة للعمل لصالحها بألوكالة كمجموعة دينية ، طائفية مذهبية ، أثنية وحتى قبلية .

في مثل هذه ألضروف ، تلآشت فجأة الصفة التي غالبا ما كان ملالي طهران يسبغونها على أمريكا ويرددونها كثيرا و يدعونها **" بالشيطان ألأكبر "** ، لتصبح حليفا في النية المبيتة لأحتلال العراق وبالمقابل تلاشت محاور الشر فتحولت ايران الملالي من محور للشر لتصبح محورا من محاور **" تحرير العراق "** . هذا ألعراق ، ألبلد الصغير برقعته وبعدد سكانه اخذ يشكل خطرا كبيرا ، من وجهة نظر دهاقنة ألأمبريالية ألعالمية ليس على أمريكا وحدها بل على العالم بسبب ما يملكه من اسلحة الدمار الشامل تفننوا في ذكر

انواعها وقوة تدميرها : نووية ، كيميائية وجرثومية . وأذا اخطأ العراق في اعتبار ايران هي العدو ألأول له أو هي امريكا فأن النتيجة ستكون واحدة هي : تدخل فض وعنيف تسيل فيه دماء غزيرة من اجل ألسيطرة والنهب وأرجاع العراق وكامل المنطقة العربية الى حالة الفقر والعوز والوهن على نحو ما يحصل اليوم .

رغم أعتراض وشجب أغلب ألأعضاء الدائميين لمجلس ألأمن في اجتماعه ألأخير عشية شن الهجوم على العراق كفرنسا والمانيا وروسيا والصين ، قرر كل من بوش وتابعه بلير أن يكونا خارج القانون ألأنساني والدولي وهم يتجهون نحو غرو العراق بدون مبالاة لأحد .

في فجر يوم ٢٠ آذار/ مارس ٢٠٠٣ ، دوت صافرات ألأنذار في بغداد معلنة بداية هجوم قوات التحالف بقيادة امريكا على العراق بالتزامن مع بداية ألغزو البري للعراق من حدود الكويت والسعودية فألتهبت سماء بغداد جراء القصف العنيف للطائرات ألأمريكية والبريطانية . رغم ان قطعات التحالف كانت تتمتع بغطاء جوي مطلق ، تمكنت قطعات الجيش العراقي من خوض عدة معارك تعرضية مشرفة مع ألقوات ألأمريكية كمعركة ألفاو ألتي أستمرت ألى ما بعد دخول ألقوات ألأمريكية قلب بغداد . أهم وأقوى معركة خاضتها قوات ألنخبة ألعراقية هي معركة ألمطار ألتي تمكنت من دحر وأبادة ألقوة ألأمريكية ألمهاجمة فظهر ألأرتباك وألوجوم على وجه بوش للمرة ألأولى فسارع على عجل ألى أصدار أمرين : ألأمر ألأول هو تعيين قائد جديد للقوة ألتي ستهاجم ألمطار مجددا وألأمر ألثاني هو أستخدام ما في ترسانة ألأسلحة ألسرية ألمحرمة دوليا ضد ألقوات ألعراقية . لقد عرضت ألكثير من ألفضائيات ألعالمية وألعربية فظاعة ما أقدم عليه بوش بأستخدام ذلك ألسلاح ألمحرم عندما دوليا فعرضت صورا لجنود عراقيين لا ترى منهم شيئا سوى هياكلهم ألعظمية وهم في عرباتهم أو مرميين على ألأرض . بعد أحتلال المطار واستكمال دخول القوات ألمريكية بغداد حتى تم اعتبار يوم ١٠ نيسان ٢٠٠٣ هو يوم احتلال امريكا للعراق . في نفس ذلك اليوم كان صدام في ألأعظمية يلوح بيده للجماهير المحتشدة وكان هذا آخر لقاء له مع الجماهير ليختفي بعدها ويساهم في تولي تنظيم مقاومة مسلحة ضد قوات ألأحتلال ألى أن تم ألأقبض عليه في ١٣ كانون أول/ديسمبر ٢٠٠٣ .

كعادتها ، خضعت ألأمم المتحدة للأمر الواقع الذي فرضته قوى التحكم الدولي عليها ، فأقرت بان العراق هو بلد محتل وتنطبق عليه القوانين الدولية المتعلقة بأحتلال الدول ، بدلا من أن تعلن عدم مشروعية ألأحتلال ووجوب خروج القوات الغازية منه . هذا الموقف من منظمة ألأمم المتحدة يعيد ذكريات العصور السحيقة للبشرية عندما كانت ألأقوام تتقاتل مع بعضها طمعا في ألسيطرة والثروة وكأن البشرية الحالية لا تعيش في بداية ألألفية الثانية . لم يعبئ كل من بوش وتابعه بلير بأعتراض مجلس ألأمن ولا بالمظاهرات التي عمت العالم منددة بنواياها الشريرة فخرجا ألى ألأعلام وهما منتشيان بهذا " **ألنصر** " على العراق دون ان يفكرا بما يحمله المستقبل لهما ولقواتهما في العراق ودون ان يباليا بما سيسجله التاريخ عنهما من خزي

وعار . كان المهم بالنسبة لهذين ألرجلين هو انجاز المهمة التي كلفتهم بها **" الحكومة ألعالمية الخفية "** كخطوة أولى للسيطرة على العالم . ومع انهما كانا يتوقعان ان يستقبل الشعب العراقي قواتهما بالورود الا أنهما تفاجئا منذ ألأسابيع ألأولى للأحتلال بظهور ألمقاومة ألعراقية ألتي كادت أن تربك مخططاتهما لولا أن ألخيانة ألعربية ألرسمية لم تسرع ألى مساعدتهما ..

١١ – ألمقاومة ألعراقية وتصاعد عملياتها ضد ألأحتلال :

ليس هناك موعدا محددا لقيام المقاومة المسلحة العراقية في مقاومة قوات ألأحتلال ألأمريكي لكن من المؤكد أن بعض العمليات قد حصلت ، كما هو واضح من ألشكل ١٢ في ٧ أذار . كان جنود ألأحتلال ألأمريكي - البريطاني في ألأيام ألأولى من ألأحتلال يتسكعون في شوارع بغداد وهم يقهقهون ويجلوس في مقاهيها ويتناولون الطعام في مطاعمها غير ان وضعهم انقلب بعد بداية ظهور المقاومة وتقدم واتساع عملياتها فأصبحوا لآ يخرجون من معسكراتهم ألا على شكل مجموعات مدججة بألسلاح وهي تتلفت يمينا ويسارا بحذر شديد من أحتمال تعرضهم لهجوم رجال ألمقاومة .

كانت اخطر عمليات المقاومة في السنة ألأولى من ألأحتلال ، هي تلك التي ذكرها بريمر في مذكراته عن السنة التي قضاها في بغداد كحاكم مدني للعراق عندما تعرض لمحاولة اغتيال كادت ان تنهي حياته فلو نجحت هذه ألمحاولة لهز خبر قتل بريمر أمريكا من أقصاها الى أقصاها . أعتقدت قيادة ألقوات ألأمريكية بأن مثل هذه ألعملية وغيرها من ألعمليات ستتواصل ما دام صدام حيا فكثفت كل جهودها لمعرفة مكانه وألقيض عليه الى أن تمكنت منه في كانون أول / ديسمبر ٢٠٠٣ . على عكس ما كانت تلك ألقيادة تتوقع ، أخذ عدد عمليات ألمقاومة بألتزايد كما ونوعا مع مرور ألأيام وألسنين كما هو موضح في ألرسم ألبياني ١٢ ألذي نشره ألدكتور محمد ألعبيدي وهو أحد الكتاب ألمتابعين وألموثقين لنشاط ألمقاومة ألعراقية (١٩) . يبين هذا ألرسم ألبياني عمليات ألمقاومة ألعراقية من يوم ٦-٧ أذار عام ٢٠٠٣ عندما كان عددها ٢٥٠ عملية ليصل عددها في يوم ٥ في ألعام ٢٠٠٨ ألى ٣٥٠٠ عملية وليصل متوسط عدد قتلى ألجنود ألأمريكان الى أكثر من ١٠٠ جندي في أليوم الواحد أما عدد ألجرحى فهو غير معلن مع ان هناك نسبة متعارف عليها لعدد الجرحى لكل جندي قتيل . في كل ألأحوال ، أدت ألخسارة ألفادحة في ألأفراد والمعدات التي تكبدها ألجيش ألأمريكي نتيجة أحتلاله للعراق ألى أن تقوم وسائل ألأعلام ألأمريكية من صحف وقنوات تلفزبونية عديدة بتشبيه حرب القوات ألأمريكية مع المقاومة العراقية بالحرب في فيتنام غير ان وزير الدفاع ألأمريكي رامسفيلد كان يرفض بشدة هذا التشبيه بالرغم من انه استدعي من قبل الكونغرس مرة أو مرتين للوقوف امام لجنة أستجواب خاصة عينها الكونغرس للتعرف على حقيقة وضع القوات ألأمريكية في العراق . حاول رامسفيلد أعطاء صورة مختلفة عن ألأوضاع التي تم تداولها في ألأعلام ألأمريكي مما دفع برئيس اللجنة في نهاية ألأستجواب أن

يقول لرامسفيلد : اما آن لك ان تستقيل من منصب وزارة الدفاع ؟ . أستقال رامسفيلد فعلا بعد مدة ليست طويلة من ذلك ألأستجواب ولم يعد أحد يسمع به بعد ذلك ثم لحقة بألأستقالة من ألأدارة ألأمريكية ألصهيوني ألمتشدد بول ولفويتز أحد أشهر عرابي ألأحتلال ألأمريكي للعراق ليحتل هذه ألمرة منصب رئاسة ألبنك ألدولي وبعد مدة ليست طويلة تعرض لفضيحة فساد مالية وجنسية مدوية هزت أركان عصابة بوش فسارع على ألأستقالة من هذا ألمنصب وألأنزواء بعيدا كصاحبه رامسفيلد . ولم يكن مصير ثالثهم كولون باول وزير ألدفاع أفضل من سابقيه فقدم أستقالته أيضا ليعترف فيما بعد بأن دوائر ألباتغون وألأستخبارات قد زودته بمعلومات مظللة عن أسلحة ألعراق فلم يتبق من عصابة أل بوش سوى ربيبهم ديك جيني .

مع أشتعال شدة ألمقاومة ألعراقية ألتي كاد ألحاكم ألمدني للعراق بريمر أن يدفع حياته في عملية متقنة من عملياتها ضد قوى ألأحتلال ، بدأت أدارة بوش تفكر في ضرورة ألتخلي عن حكم ألعراق لمدة أكثر من عشرين سنة فأخذت ترتب أمور عملائها لتسليمهم حكم ألعراق وفقا لخطوات متسلسلة زمنيا . تبحث . وهكذا عمل بريمر ألذي حكم ألعراق لمدة سنة فشكل أولا جمعية وطنية مكونة من سبعة عشر شخصا غالبيتهم من ألأحزاب ألشيعية ألطائفية لمعاونته في حكم ألعراق ليتم حلها بعد أشهر قليلة ليصدر أمرا بتشكيل مجلس مكون من عشرة أشخاص ليحكمون ألعراق بألتناوب . وما أن أنتهى دور أؤلئك ألعشرة أللذين حكموا ألعراق لعشرة أشهر حتى أصدر بريمر أمرا بتشكيل حكومة عراقية برئاسة أياد علاوي زمر وطبل لها ألأعلام أليميني ألأمريكي على أن هذه ألحكومة هي خطوة لمنح ألعراق ألأستقلال في محاولة تضليلية بائسة لم تمر على ألعراقيين رغم ألجامعة ألعربية ألعقيمة قد أعترفت بهذه ألحكومة . لم تنطلي كل هذه ألحيل على ألشعب ألعراقي فكانت ألأيام وألأشهر للمدة ألتي أستمرت بها هذه ألحكومة في حكم ألعراق تحت ألأنتداب ألأمريكي ألبريطاني مرة وقاسية عليها وعلى ألقوات ألأجنبية من أمريكية وبريطانية وألقوات ألمؤتلفة معها . حاولت ألقوات ألأمريكية دخول ألفلوجة " للقبض " على مجموعة من مقاوميها أللذين قتلوا جنودا أمريكيين أثناء مرورهم في ألشارع في وقت سابق مما أدى ألي صدام بين تلك ألقوات وعناصر ألمقاومة فكان هذا ألصدام بداية لما سميت بمعركة ألفلوجة ألأولى . كانت نتائج نهاية تلك ألمعركة خسائر ألجيش ألأمريكي في ألأفراد وألمعدات في تلك ألمعركة جسيمة لدرجة أن بوش ذهب للصلاة طالبا من ربه تقليل تلك ألخسائر وأصبحت ألفلوجة تحت ألسيطرة ألمطلقة لفصائل ألمقاومة ولم يدخلها منذ ذلك ألحين جندي أمريكي واحد والى أن أندلعت معركة ألفلوجة ألثانية بعد عدة أشهر من ألمعركة ألأولى . كانت معركة ألفلوجة ألثانية معركة أنتقام من أهالي ألفلوجة ومن فصائل ألمقاومة فدفع ألجيش ألأمريكي بقوات كبيرة لمحاصرة ألفلوجة تمهيدا لأقتحامها وقصفها بألطائرات . أستخدم ألجيش ألأمريكي في ألهجوم على ألفلوجة كل أنواع ألأسلحة منها

ألأسلحة ألمحرمة دوليا كألأسلحة ألفسفورية وألكيميائية وأستخدم ألطيران لقصف ألدور ليحول أغلب مناطق مدينة ألفلوجة ألى ركام لتصبح ألفلوجة مدينة منكوبة ..

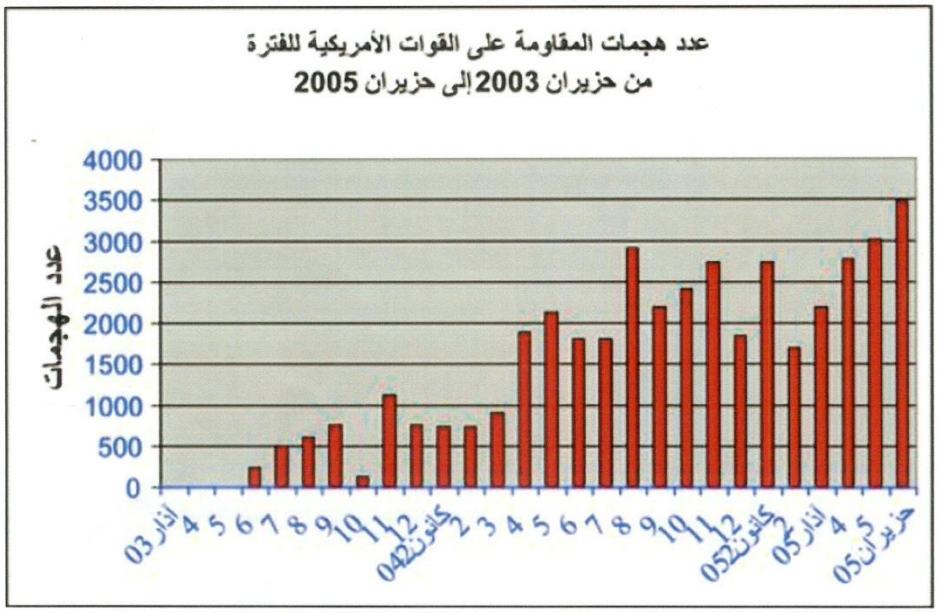

ألشكل (١٢)

رسم بياني لعدد عمليات المقاومة العراقية منذ ٥ حزيران ٢٠٠٣ لغاية ٥ حزيران ٢٠٠٦

مع أستمرار وتصاعد عدد عمليات ألمقاومة ألعراقية ، أخذت ألأدارة ألأمريكية تعد ألعدة لترتيب ألوضع ألسياسي في ألعراق بما يضمن سيطرتها وحفظ مصالحها فيه قبل مغادرتها له . ما أن حل عام ٢٠٠٥ حتى تعجلت تلك ألأدارة وحددت موعدا لوضع دستور هجين وقانون أنتخابات قائم على ألمحاصصة ألطائفية وألعرقية على ألطريقة أللبنانية قد يكبل أيدي ألعراقيين لمدة طويلة . رحبت ألأحزاب ألأسلامية من شيعية وسنية وألأحزاب ألكردية بشقيها ، ألشق ألموالي لأيران وألشق ألموالي لأمريكا بما فرضته ألأدارة ألأمريكية علهم من دستور هجين يطرح على ألعراقيين للتصويت عليه وهم تحت ألأحتلال . أعقب ذلك صياغة قانون أنتخابات لمجلس نواب يحاكي قانون أنتخاب لبنان تم بموجبه أجراء أول أنتخاب لمجلس نواب عراقي في ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥ . كل هذا حصل في أجواء تصاعد عمليات ألمقاومة ألعراقية وزبادة ألتوتر ألطائفي ليصل الى ما يشبه ألحرب ألأهلية فتم خطف وقتل ألألاف من ألمواطنين ألعراقيين أما على ألأسم أو ألهوية . في ظل مثل ألضروف ، تم في تشكيل أول حكومة عراقية " منتخبة ديموقراطيا " ليتسلم رئاستها أحد مخبولي حزب ألدعوة ألشيعي ألطائفي ألموالي لأيران هو أبراهيم ألجعفري ألملقب بألأشيقر عندما كان رئيسا لذلك ألحزب

وما أن حل عام ٢٠٠٦ حتى أقدمت أمريكا بألتوافق مع أيران وأستبدلته ، لأسباب غير معروفة لحد ألأن ولم يتحدث عنها أحد بنوري ألمالكي بعد أن أصبح هو رئيسا لحزب ألدعوة .

تصاعدت عمليات ألمقاومة ألعراقية خلال تلك ألفترة ليصل عددها ألذروة في ألعام ٢٠٠٥ كما هو موضح في ألشكل ألبياني ألسابق (١٩) . وبأستمرار تصاعدها ، تعاظمت خسائر ألأمريكان في ألأفراد وألمعدات لدرجة تعذر فيهاعلى ألأدارة ألأمريكية مواصلة ما دأبت عليه بأخفاء خسائرها في ألعراق عن ألشعب ألأمريكي . لما أنكشفت تلك ألخسائر ، أخذ ترتفع أصوات ذلك ألشعب بالتنديد بحرب بوش على ألعراق مشبهة أياها بألحرب في فيتنام وتدعو لسحب ألقوات ألأمريكية من ألعراق . ومع تردي شعبية بوش ألصغير لأدنى مستوى وأستمرار عمليات ألمقاومة وتصاعدها ، أتخذت ألأدارة ألأمريكية قرار أنسحاب قواتها من ألعراق دفع ألأدارة ألأمريكية ألى أتخاذ قرارا بسحب تدريجي لمجمل قواتها في ألعراق بدءا من ألعام ٢٠٠٨ . أنسحبت تلك القوات ، كما بفعل ألسراق ، خلسة خلال ألليل وأستمر ت عملية ألأنسحاب ألى أن أنتهت في يوم ١٨ من كانون أول / ديسمبر عام ٢٠١١ بعد أن وقع ألمالكي على أتفاقية أمنية مع بوش يقول أحد بنودها " ألزام ألحكومة ألعراقية بألموافقة على دخول ألقوات ألأمريكية ألى ألعراق عند أي خطر يهدد مصالح ألولايات ألأمريكية " . تلقف ألحزب ألديموقراطي ومرشحه للرئاسة اوباما تحول ألرأي ألعام ألأمريكي عن أدارة بوش ألأبن ليستغله انتخابيا فرفع شعارا يدغدغ عواطف الجمهور ألأمريكي هو " ألتغيير Chang " الذي تبين في ما بعد انه كذب ورياء وخداع بعد تسلمه لرئاسة امريكا .

على الصعيد السياسي المتعلق بالعراق ، حرصت قوى التحكم الدولي منذ البداية على ألأخذ بالنموذج اللبناني القائم على المحاصصة لحكم العراق لكن بشكل أسوأ مما حصل للبنان فوضعت على رأس السلطة أشخاصا ليس لهم مثيل في دناءة ألنفس وألأجرام . حصل هذا عندما نجحت تلك ألقوى في تقسيم بعض ألقوى ألسياسية ألمعارضة للنظام ألوطني ألسابق ألى مجموعات طائفية وعرفية : مجموعات **شيعية ، سنية وكردية** فقط وأبعدت بل ونكلت بأفراد ألمجموعات ألمعارضة ألأخرى يسبب وقوفها ضد ألنوايا ألأمريكية لأحتلال ألعراق كما حصل للمناضل ألشهيد عبد ألجبار ألكبيسي .

ترك ألأمريكان بعد خروجهم من ألعراق تنظيمات حزبية طائفية متخلفة تظم معممين تولى بعظهم "رئاسة كتل " وتنظيمات عنصرية كردية وأسلامية سنية لاهثة وراء ألمغانم وألثروة جميع هؤلاء سلكوا بما لا يقبل ألشك طريق خيانة ألشعب وتدمير الوطن . كانت القوى السياسية الممثلة للأكراد هي حزبي مسعود والطالباني ، وممثلي الشيعة هم حزب الدعوة وبعض المعممين والمجموعات الشيعية المتشددة ألأرهابية ألأخرى التي كانت تحارب مع الحرس الثوري ألأيراني لمقاتلة الجيش العراقي خلال الحرب بين العراق وايران اما ممثلي السنة فكان قطب تمثيلهم هم جماعة ألأخوان المسلمين وهم اضعف كل تلك القوى السياسية

.على هذا ألأساس عمل بريمر خلآل السنة التي حكم فيها العراق معللا نفسه بتكريس نموذج نظام ألمحاصصة ألطائفية أللبناني من خلال وضع دستور مشوه وقانون أنتخابي مفصل لهذ ألتشكيلة لكي يستمر هذا ألنظام ألسياسي ألأعرج في ألعراق لحين أستكمال ألأستعدادات لتنفيذ المشروع ألأممي لقوى الهيمنة ألمتمثل بالسيطرة على العالم .

بعد ان اصدر بريمر امرا بحل الجيش ألوطني السابق وكافة ألأجهزة ألأمنية من مخابرات وأمن وغيرها اصدر أمرا بتشكيل" الجمعية الوطنية " ثم تحول الى اصدار امر بتشكيل ما سمي ب " مجلس ألحكم " في ١٢ تموز/ يوليو ٢٠٠٣ ، مكون من اثني عشر شخصا كل واحد منهم يتولى" حكم العراق " بألتناوب وهو تحت وصاية بريمر لمدة شهر . وفي ١حزيران / يونيو ٢٠٠٤ قام بريمر بحل هذا ألمجلس وأصدر أمرا بتشكيل حكومة عراقية " مؤقتة " برئاسة أياد علاوي ألتي تم تشكيلها في ٢٨ حزيران ٢٠٠٤ . كان الهدف من تشكيل هذه ألحكومة هو أستغفال ألعراقيين من خلال ما قله بريمر بتسليم وثيقة **" صك أعادة السيادة للعراق "** لأياد علاوي . لم تستمر هذه ألحكومة سوى أشهر بعد أن حان موعد **" ألأنتخابات ألبرلمانية في ألعام ٢٠٠٥ التي قام بتحديد موعدها وتنظيمها المحتل ألأمريكي "** والتي جرت في يوم ١٥ من كانون ألأول من العام ٢٠٠٥ وقاطعها جزء واسع من الشعب العراقي . ولما أظهرت نتائج ألأنتخابت أن ألكتلة ألسياسية ألأكبر هي كتلة حزب ألدعوة ألمتشبع بألطائفية وألذي يرأسه ألجعفري فقد تم أختياره كرئيس لأول وزارة جرى أنتخباها " ديموقراطيا " .

أخذت ألأدارة ألأمريكية ، كأي محتل أخر على عاتقها وضع ألتوقيتات ألزمنية لتلك ألمراحل ألأولى من ألأحتلال بدءا من ألجمعية ألوطنية مرورا بمجلس ألحكم وحكومة أياد علاوي ألمؤقتة وأنتهاءا بألدستور وقانون ألأنتخابات . كانت تلك ألأنتخابات ألتي أجريت في ألعام ٢٠٠٥ بداية لمرحلة ما سميت ب " العملية السياسية " ألمستمرة لحد ألأن والتي صممتها قوى الهيمنة والتحكم الدولي للبننة العراق والمضي قدما فيها لتعميمها في اكثر من دولة عربية تمهيدا لتحيق مشروع تقسيم جديد لما جرى تقسيمه سابقا في أتفاقية سايكس- بيكو السيئة الصيت بهدف السيطرة المباشرة على مقدرات كافة أقاليم ألمنطقة ألعربية .

على ألأرجح أن ألدوائر ألأستخبارتية ألأمريكية وألأوربية قدمت توصية " للحكومة ألعالمية الخفية " في ألأعتماد على ما أسمته ب **" القوى ألأسلامية المعتدلة "** وهي تعني هنا تنظيمات ألأخوان المسلمين والتنظيمات ألشيعية ألسياسية ألأرهابية سواء كانت هذه ألتنظيمات غافلة أم متورطة بألخيانة للمساعدة على تنفيذ ألمشروع الستراتيجي للقوى ألأمبريالية ألعالمية لأثارة **" الفوضى الخلاقة "** . بشرت كوندليزا رايز ويا للعجب ، بهذه ألفوضى عندما زارت لبنان في ألعام ٢٠٠٥ كوزيرة للخارجية ألأمريكية خلال ألحرب ألتي كانت دائرة بين **" حزب الله اللبناني"** والجيش ألأسرائيلي فقالت صراحة **" أن ما يحدث ألأن هو بداية**

أرهاصات ألفوضى ألخلاقة " . حصل هذا رغم ان كل من الكيان الصهيوني وأمريكا يعلمان يقينا بأن **زعيم حزب الله حسن نصر الله قد أعلن بنفسه بأنه جندي في " ولاية الفقيه " وهو فخور بأنه " تحت امرة ألأمام الولي خامنئي "** فكيف ربطت كوندليزا رايس بين تلك الحرب و الفوضى الخلاقة المرتقبة للمنطقة وما علاقة هذه بتلك أذا لم تكن هذه الحرب جزءا من مخطط أممي لتشمل هذه الفوضى عموم المنطقة ؟ .

على خلاف ما كان متوقعا من نجاح ستراتيجية استخدام " ألأسلام السياسي المعتدل " لأثارة ألفوضى ألخلاقة ، ظهرت بدايات تعثر لهذا المشروع عندما هب الشعب المصري بكل طبقاته وطوائفه **ضد حكومة ألأخوان المسلمين " المنتخبة "** عندما تدخل الجيش المصري لأسقاط تلك ألحكومة ألأخوانية مما ادى الى فتح مرحلة جديدة في المنطقة لم تتضح معالمها لحد ألأن . وعلى مستوى ألشرق ألأوسط ، تخلت قوى التحكم الدولية عن حكومة اوردغان ذات ألأصول ألأخوانية ولجوءها الى ما يبدو أنه تأييد لمحاولة ألأنقلاب العسكري ضد حكومة اوردغان ألتي يقف وراءها شق اخر من تنظيمات " ألأخوان " يقوده الداعية ألأسلامي غولن وهو تنظيم اكثر تشددا واندفاعا في المساهمة بتنفيذ ذلك المشروع مما يعني أن ألأدارة ألأمريكية وألصهيونية ألعالمية قد بدأت بأعادة حساباتها في ألأعتماد على مثل تلك ألتنظيمات السوداء . وبنفس ألوقت ، دلل فشل ألأنقلاب ألتركي على يد الجماهير الشعبية التركية على أن الشعوب قادرة على رسم مستقبلها بعيدا عن تدخل القوى الغاشمة الخارجية مهما ما أمتلكت من جبروت وقوة . أن هذا ألحدث وضع منطقة الشرق ألأوسط والمنطقة العربية أمام مرحلة جديدة لم تتضح ملامحها بعد لأنه لو قدر لهذا ألأنقلاب ان ينجح ، فأن كل منطقة الشرق ألوسط وليست المنطقة العربية وحدها ستغرق في فوضى أعم وأكبر مما هي غارقة فيها ألأن ولا شك ان فشله يمثل انتكاسة في مشروع قوى التحكم ألدولي مما قد يؤدي الى بداية أختفاء عشرات ولربما مئات من الميلشيات الدينية سنية وشيعية التي تعج بها ألأن ألأقاليم ألخمسة للمنطقة ألعربية .

أن زوال تحكم ألقطب ألواحد في العالم هو امر حتمي تأريخي وعلى هذا القطب ألأحادي الحالي ، ان يعلم بأن هذه الحتمية التأريخية ستؤدي ، في حالة المواجهة ، اما ألى زوال الدول المتحاربة عل نحو كارثي يؤدي الى ألحاق ضرر عظيم لكافة البشر او ان يجري ألتخلى عن اتخاذ منهج أألأستحواذ والهيمنة لقطب واحد ويلجأ الى سلك التعقل وألكف عن استغلال الشعوب وألبحث عن وسائل سلمية لحفض مصالح كل شعوب ألعالم قويها وضعيفها لتتمتع بثرواتها وطريقة عيشها بدون تدخل قسري من طرف خارجي .

أن ألقانون ألطبيعي في النهاية ، يمنع تمتع دولة أو مجموعة دول بالثروة والعيش الرغيد على حساب دولة أو عدة دول أخرى ولم يكن ما قاله بوش اثناء أزمة غزو ألعراق للكويت بأنه **" لن يسمح لصدام بخفض المستوى المعاشي للفرد ألأمريكي من خلال تحكم صدام بأسعار النفط "** ، سوى تأكيد لسياسة مص دماء الشعوب بالقوة للحفاض على ذلك المستوى المعاشي . ان القانون ألطبيعي وألأنساني يفرض على كافة

شعوب ألأرض أن تتمتع بألعيش بسلام مما يؤدي ألى تبادل ألخبرات وألمعلومات ألعلمية وألتقنية للمساهمة في اقامة حضارة انسانية يختفي فيها الخوف من عودة البشرية الى ما كانت عليه في العصور السحيقة من صراعات ومعارك تدور بين مجموعات بربرية هائمة ومجموعات مستقرة مسالمة منتجة .

٦,٤ – مرحلة ما بعد أحتلال ألعراق :

١- بروز ظاهرة ألتنظيمات ألدينية ألمتشددة :

كانت نتائج أحتلال ألعراق وخيمة ليس على أقليم ألعراق وعلى بقية أقاليم ألمنطقة ألعربية ألأخرى وحدها وانما على ألعالم أيضا على نحو ما هو حاصل ألأن من أضطراب وفوضى . فتحت أمريكا بعد حدود ألعراق لكل من هب ودب لتحقيق أحد ألأهداف ألتكتيكية ألمهمة لجعل لعراق بؤرة جذب لتيارات دينية متشددة متنوعة . وللنجاح في تحقيق هذا ألهدف تم غض الطرف من قبل ألأدارة ألأمريكية ، وفق أتفاق مسبق ، على ألتدخل ألأيراني في ألعراق وألسماح بتشكيل ميلشيات أرهابية مسلحة للقتل وألأغتيال بأسم ألمذهب ألشيعي ألصفوي . في مثل هذه ألضروف بدأ ألعراقيون يسمعون بما لم يسمعوا به من قبل وهو وجود تنظيم يسمى " بألقاعدة " يتخذ نفس أسلوب ألميليشيات ألسابقة . مع أن هذا ألتكتيك نجح نسبيا في خلق شبه حرب أهلية في ألعراق يمكن أن ترى ضحاياها ملقاة في ألشوارع ومكبات ألزبالة لكنه لم ينجح في وأد ألمقاومة ألوطنية وهو ألهدف ألرئيسي لذلك ألتكتيك مما أضطرهم لسحب قواتهم من ألعراق . وما أن أنتهت تلك ألصفحة ألسوداء في تأريخ ألعراق حتى تم فتح صفحة جديدة بطلها ألرئيسي تنظيم " داعش " ليدخل أقليم ألعراق وبعض دول ألأقاليم ألأخرى في أزمة أشد مرارة من سابقاتها تم خلالها تدمير مدن بكاملها .

٢– تنظيم داعش ألأسلامي ألمتشدد وألربيع ألعربي :

كانت فترة رئاسة بوش ألثانية أسوأ فترة مر بها رئيس أمريكي سابق فقد هبطت شعبيته بين ألأمريكيين في ألسنة ألخيرة ألى أدنى مستوى بينما كانت أسهم منافسه ألمرشح ألديمقراطي ذو ألأصول ألأفريقية أوباما ترتفع بأقتراب موعد ألأنتخابات . أخذ أوباما في خطاباته خلال ألمعركة ألأنتخابية يؤكد بأنه عازم على تصحيح ألأخطاء ألتي أرتكبتها أدارة بوش ألأبن في أحتلال ألعراق وأستند بشكل رئيسي في كل جولاته ألأنتخابية على شعار طرب له ألجمهور ألأمريكي ، هو تغيير " Cheng " وجه أمريكا وأعطى وعدا بغلق معتقل غوانتنامو وشعارات ثانوية أخرى فكسب بلسانه أللبق قلوب أغلب ألناخبين . حصل أوباما على تأييد واسع من ألجمهور ألأمريكي حقق بسببه نجاحا ساحقا على غريمه مكين ألجمهوري ألا أن أغلب تلك ألوعود قد تبخرت مع مرور فترة رئاسته ألأولى وألثانية . هذا ألمباراك أوباما لم يقم بأية خطوة جادة وحقيقية لتصحيح ما أعتبره خطأ أدارة بوش في أحتلال ألعراق ولم يقدم حتى ولو أعتذارا للشعب ألعراقي على ذلك ألأحتلال . في بداية ولايته ، أخذ اوباما يكرر بأنه لن يرسل بعد ألأن اية قوات قتالية الى خارج حدود

ألولايات ألمتحدة ألأمريكية معبرا عن ألأساليب التقليدية التي يتبعها عادة الحزب الديموقراطي في تنفيذ نفس ألستراتيجية التي تؤدي الى نفس ألهدف الذي تصبو اليه قوى التحكم ألدولي في تحقيق مصالحها ألأمبراطورية في ألمنطقة ألعربية وألعالم . أتضح بشكل ملموس بأن سياسة ألأدارة ألجديدة ألتي ترأسها أوباما جسبن في ١٠أيلول/ يناير عام ٢٠٠٩ قد ألحقت أضرارا في المنطقة ألعربية وألعالم اكثر فداحة من ألأساليب السابقة فأزدادت في زمن هذه ألأدارة اوضاع العراق تدهورا ثم لحقتها ألأوضاع في ليبيا وسوريا واليمن و عموم المنطقة . لقد مهدت له ألأدارة ألسابقة ألتي كرر أدانتها عشرات ألمرات ، ألطريق ألسلس وألسهل لمواصلة تنفيذ أهداف ألصفحة ألتالية من ألستراتيجية ألكونية فلم تعد هناك حاجة لأستخدام ألقوة ألعسكرية للتدخل في شؤون ألبلدان ألأخرى بعد أن أصبح لأمريكا جيوشا تعمل بألوكالة عنها لتنفيذ أهدافها في ألمنطقة على شاكلة ألميلشيات ألطائفية من أمثال " حزب ألله " أنصار ألله " و " داعش " و .. ألخ من ميلشيات يصعب حصرها ومعرفة ولائاتها

تزامن تسلم أوباما لرئاسة ألولايات ألمتحدة ألأمريكية مع بدايات ظهور غامض لميليشيا داعش في ألعراق ولم تمض سوى سنين قليله على ظهورها حتى نجحت في ألعام ٢٠١٤ بأحتلال ما يقارب من نصف مساحة ألعراق منها أراضي مدينة ألموصل وهي ألمدينة ألثانية بعدد ألنفوس بعد بغداد وأراضي ألرمادي ألشاسعة وديالى وكركوك . ولما قيل أن هناك ثلاث فيالق عسكرية في ألموصل أنهارت أمام ما يقارب خمسمئة مقاتل من دعاش فأن ألشكوك وألشبهات قد أنتشرت بشكل واسع حول ماحصل على أنه أمر خطط له من قبل جهات خارجبة أختلفت عليها ألشائعات . ألمهم أن أدارة أوباما أعتبرت أن تنظيم داعش خطرا على أمنها ألقومي دون أن يتضح بالملموس ما هو نوع هذا ألخطر ، لكن من ألواضح أنها ساعدت ألميلشبات ألعراقية ألموالية لأيران وألقوات ألحكومية بألقيام بألاف ألطلعات لطيران " ألتحالف " لقصف عشوائي شديد على ألمدينة أدى ألى تدمير آلاف ألبيوت على ساكنيها فأندثرت جثثهم تحت ألأنقاض وظلت تحتها لعدة شهور .

أعتمدت ألأدارة ألأمريكية لتنفيذ أهداف ستراتيجيتها ألكونية على تيارات ألأسلام السياسي وحسب التكوين الديني وألطائفي وعلى ألأقليات ألعرقية وحسب ألمكونات ألسكانية لهذه ألدولة أو تلك ولهذا ألأقليم او ذاك . فهي أعتمدت مثلا على ما سمته " ألأسلام ألسياسي المعتدل " ألمتمثل بألأخوان المسلمين في مصر وسوريا وتونس وليبيا وتفريخاتهم من اقصى التشدد الى اقصي ألخضوع والعمالة للقوى الخارجية في تلك ألأقطار التي نسبة المسلمين السنة فيها أكثر من ثمانين في المئة . بألمقابل أعتمدت أيضا على ألميلشيات ألشيعية ألمتمثلة في ميليشيات حزب الدعوة في العراق وحزب الله في لبنان والعلوين في سوريا وأخيرا الحوثيين في اليمن اذا ما كانت نسبة ألمواطنين ألشيعة قادرة على تنظيم ميليشيات مسلحة . أضافة ألى

ألحركات ألأسلامية شيعية أوسنية ، هناك أقليات مختلفة يمكن زجها في هذا ألمشروع كألأقلية ألكردية ألتي جرى توزيع أراضيها عمدا بعد ألحرب ألعالمية ألأولى على أربعة دول هي ألعراق ، أيران ، تركيا وسوريا .

ألذي حرك ألشارع للقيام بما سمي " الربيع ألعربي " هو ألحفرة ألأسنة التي أوقعت ألأنظمة ألسياسية نفسها بها بتعاونها مع ألقوى ألخارجية ألتي أحتلت ألعراق وألأضطهاد وألحرمان ألذي دأبت تلك ألأنظمة على ممارسته ضد ألشرائح ألفقيرة من ألشعب ألعربي . ألأسباب التي أدت ألى ألأنفجار ألشعبي في تونس اواخر عام ٢٠١٠ معروفة وليس لأمريكا دخل مباشر فيها ، لكن من ألمؤكد أنها هي ألمسؤولة عن كل ألذي حصل لتونس ولبقية دول ألأقاليم ألعربية من تدمير وقتل وتهجير . مع تصاعد قوة ألتظاهرات وألتخوف من أن ألأمر قد يصل ألى حد أحتمال تغيير سلطات ألأنظمة ، تحركت أمريكا ومن معها من ألدول ألغربية ، خاصة بريطانيا فأوعزت لدوائرها ألأستخباراتية بألتفاهم مع من كانت ألحركات ألوطنية وألقومية تسميه سابقا " بألطابور ألخامس " بضرورة مشاركة عناصره في تلك ألتظاهرات لتتسلم بألتدريج قيادتها بهدف أحتواءها كما حصل في ألمظاهرات ألجماهيرية ضد شاه أيران في ألعام ١٩٩٧ . ألذي حدث بعد ذلك هو أن أمريكا أقنعت كل من بن علي ومبارك من أجل ألحفاظ على حياتهم بترك ألسلطة ليقوم نظام " ديموقراطي " جديد يتم فيه تسلم ألسلطة للسياسيين ألأسلاميين " ألمعتدلين " ، حركة ألنهضة في تونس وألأخوان ألمسلمين في مصر فذهبت دماء شباب ألربيع ألعربي في ذلك ألقطرين هدرا . أختلف ألأمر في ليبيا عما كان عليه في تونس ومصر ليصل ألى أستخدام طائرات حلف ألنيتو لقصف ألمدن ومراكز قوات ألجيش ألليبي وقتل بشع للقذافي في ألنهاية .

مصير أنتفاضة ألربيع ألعربي في ليبيا وأليمن وسوريا مختلفا عما كان عليه في تونس ومصر فهو أشد خطورة ودموية لكن ألتكتيك ألذي أتبعته ألقوى ألدولية في أحداث ألفوضى وألأضطراب أستمر بنفس ألنهج ألمتبع في ألسابق ألذي أعتمد عل أستخام كل أنواع ألعناصر ألدينية ألأسلامية : سنية معتدلة وسنية أرهابية ، شيعية صفوية وشيعية عربية و ...ألخ من ألمسميات . في هذه ألمرة كانت " ألجمهورية ألأيرانية ألأسلامية " جاهزة للقيام بهذه ألمهمة وكالة عن أمريكا وأوربا وفقا لتفاهمات معينة بينهما كألأتفاق ألنووي فدفعت ألميليشيات ألطائفية ألصفوية ألحوثية لخوض معركة مع أغلبية ألشعب أليمني كما أدخلت ميليشياتها الى سوريا لنفس ألغرض .

بعد ان أحتلت امريكا وبريطانيا العراق ، تخلخل الوضع ألسياسي الداخلي للنظم ألسياسية العربية الرئيسية من الوطن العربي التي لم يعرف المواطن فيها كيفية الحصول على لقمة العيش ولا على الكرامة فساد التوتر والتذمر في صفوف مواطنيها وأصبح الوضع فيها كالمرجل المقفل الذي منع تسرب البخار منه .

وجدت امريكا واوربا التي تقودها " الحكومة الخفية العالمية " في هذا المناخ فرصة مناسبة للأجهاز على اكبر قدر ممكن من دول ألأقاليم العربية . كانت شرارة البداية في تونس عندما اقدم موظفوا البلدية في يوم ١٧ كانون الثاني / ديسمبر ٢٠١١ ، على منع شاب اسمه محمد ألبوعزيزي متخرج وعاطل عن العمل ويكسب عيش عائلته من بيع الخضروات في عربة فحطمت ألشرطة عربته وأعتدت عليه بالضرب والشتائم .ضاقت ألدنيا في عيني ألبوعزيزي فحاول بنفس ألمكان ألأقدام على ألأنتحار بأضرام ألنار في جسده أمام جمهور واسع من ألمواطنين ألمنواجدين هناك . هزت هذه ألحادثة ألبشعة مشاعر مواطني ألمدينة فخرجوا في أليوم ألتالي بمظاهرة تضامن مع محمد جوبهت بعنف مفرط من قبل رجال ألأمن فكانت شرارة هياج عام شمل أغلب المدن التونسية . أنتقلت روح ألتظاهر الى العاصمة تونس فعمت ألتظاهرات ألصاخبة شوارعها وبدلا أن يلجأ بن علي أتخاذ أجراءات تؤدي ألى ألتهدئة ، اتخذ نفس أسلوب ألفمع ألسابق مما أدى ألى وقوع ألكثير من ألضحايا بين المتظاهرين . لم تثني تلك ألأجراءات من أستمرار ألتظاهرات فأزداد زخمها ومنسوب مطالبها بأسقاط ألنظام فلجأ بن علي مرة أخرى ألى أسلوب ألقمع فأ صدر أمرا للجيش بألتدخل ألا أن ألذي حصل هو رفض قيادة ألجيش تنفيذ هذا ألأمر فلم يكن أمام بن علي بعد أن فهم رسالة ألجيش غير حزم حقائبه على عجل وألرحيل ألى ألسعودية . كانت هذه ألأحداث بداية لظهور ما سمي **بالربيع العربي** الذي جلب الموت والدمار ألى الدول التي مرت بنفس التجربة كليبيا ، أليمن وسوريا .

بعد أقل من شهرين من بداية ألأحداث في تونس ، بدأ بعض المواطنين الليبين في مدينة بنغازي في يوم ١٧ شباط / فبراير ٢٠١١ بالتجمع وأطلاق هتافات معادية للنظام الليبي ، تحولت بسرعة الى استخدام العنف مع قوى ألأمن وسط تضخيم اعلامي غربي وعربي للأحادث . ألغريب ان أول من تفاعل مع هذه ألأحداث هوالجامعة العربية ألتي تداعت لعقد أجتماع لها على مستوى وزراء الخارجية في ١٢ مارت / مارس ، طلبت فيه من مجلس ألأمن ألتدخل بأتخاذ قرار حضر الطيران الليبي لمنع القذافي من استخدامه ضد " الثوار " في بنغازي . لم يتأخر مجلس ألأمن كثيرا فأصدر في يوم ١٧ آذار/ مارس من تلك السنة قراره بألحظر عارضته كل من روسيا والصين والمانيا والهند وقد اعربت روسيا فيما بعد عن اسفها على عدم أستخدام حق الفيتو لأبطال القرار . كان أكثر المتحمسين للذهاب الى ابعد من هذا القرار والقيام بتدخل عسكري في ليبيا هي فرنسا وبريطانيا من الدول الغربية وقطر من الدول العربية ألتي أصبحت فجأة راعية رئيسية لتنظيمات ألأخوان المسلمين ومختلف ألميليشيات ألأسلامية ألمسلحة .

في يوم ١٩ من مارس قامت دول حلف النيتو الرئيسية ، أمريكا وبريطانيا وفرنسا بأطلاق أكثر من ١١٠ صاروخ توماهوك على أهداف في ليبيا ذهب ضحيتها الكثير من العسكريين والمدنيين ألليبين ألأبرياء لينتهي ألصراع ألعسكري بدخول ألميلشيات ألمسلحة طرابلس ومن ثم قتل القذافي وهو مختفي في سرت بصورة

بشعه مقززة منافية للأخلاق و" لحقوق ألأنسان " الذي تتشدق به تلك الدول التي تسنخدم عملائها من ألتيارات ألأسلامية وألطائفية ألمتشيعة بالحقد والضغينة للقيام بمثل تلك الممارسات اللا أنسانية كما حدث ويحدث في ألعراق واليمن وسوريا .

بعد وفاة حافظ ألأسد في سوريا في ألعام ٢٠٠١ ، سارعت بطانته بأتمام كافة ألأجراءات ألمطلوبة لتنصيب ولده بشار رئيسا للجمهورية ألعربية ألسورية ومن هذه ألأجراءات هو تعديل مادة في ألدستور تتعلق بعمر ألمرشح . بعد أن تسلم بشار ألأسد بألوراثة منصب ألرئاسة ، قطع وعدا للشعب العربي السوري بأنه سيقوم بأتخاذ اصلاحات اقتصادية وسياسية وأن أول ما قاله بهذا الصدد هو عدم تعليق صور له او لأي شخص أخر في الشوارع والساحات وأنفتح سياسيا وأقتصاديا على ألعراق ألمحاصر ثم تبنى سياسة ألأنفتاح ألأقتصادي مع مختلف ألدول . وأخيرا قام بطرد عمه رفعت ألأسد من سوريا الذي اكتسب سمعة سيئة للغاية في صفوف ألمواطنين السوريين بحيث حصلت مواجهة مسلحة بين ميليشيا عمه وألقوات ألأمنية للدولة فرب مرفأ ألللاذقية ، ادت الى زوال نهائي لنفوذ هذا العم في سوريا مما اكسبه شعبية واضحة في صفوف المواطنيين السوريين . توقف بشار ألأسد عند هذا الحد و لم يواصل بعده أتخاذ اية أجراءات تتناول بنية النظام والتفسير المتواضع لذلك هو انه لم يكن قادرا على التخلص من ارثه العائلي ومن أللذين جرت تسميتهم " ألحرس ألقديم " . ظلت تماثيل والده في ساحات ألمدن وصوره مع أبنه ألأكبر باسل وألأصغر بشار معلقة في شوارع دمشق وألمدن ألأخرى ثم عاد ليستمر في أدارة مؤسسات ألدولة وألمجتمع بنهج أقرب ما يكون ألى نهج والده . كظم ألشعب ألعربي ألسوري ألعظيم بكافة فئاته خاصة ألفقيرة منها غيضه وتمرده فأصبح على أستعداد للأنتفاض عند أول شرارة .

لا بد وأن بشار كان يعلم ان قلوب السوريين ومعهم العراقيين مملوءة قيحا من الجراح التي خلفها والده حافظ ألأسد فيهم أبتداءا من قبضته ألأمنية وتسلط اخيه رفعت على رقاب السوريين وانتهاءا بموقفه المناهض للعراق خلال كل ألأحداث المأساوية التي مر بها وأنتهاءا بتحالف والده ألستراتيجي مع نظام ألملالي في طهران ضد ألعراق . من ألصعب ان ينسى ألعراقيون كيف أن والد بشار انظم الى صف ايران ضد العراق عندما أندلعت ألحرب بينهما وكيف أنه ساهم في حصول ملالي طهران على عدد من صواريخ سكود لضرب بغداد فسقط أحد هذه الصواريخ على مدرسة ليقتل عشرات ألأطفال فسميت هذه ألمدرسة بمدرسة " بلاط الشهداء " . لم يكتف حافظ ألأسد بما ألحقه من ضرر بألعراق فقام بأرسل قطعات من الجيش السوري للأنظمام الى التحالف الثلاثيني لضرب العراق والمساهمة في عملية " تحرير الكويت " وقد قيل بأن الضباط والجنود السوريين كانوا يذرفون الدمع حزنا على ما حل في العراق . وما يعاب على بشار ألأسد هو حرصه على ألأحتفاظ بالحلف الستراتيجي ألذي عقده والده مع نظام ملالي طهران ألمستمر لحد ألأن .

بداية ألأحداث الدامية الحالية في سوريا هي عندما اقدم قلة من المواطنين السوريين في ٢٧ شباط / فبراير ٢٠١١ على القيام بمظاهرة سلمية ترفع شعارات مطلبية عادية يعرف ألأسد تماما انها مشروعة لكنه ، بدلا من يستمع لتلك المطالب ألعادلة وألعمل على طمأنة ألمتظاهرين ، لجأ ألى مجابهتها بأستخام اساليب العنف مما أدى الى أتساع ألمظاهرات في فترات مختلفة وفي مناطق مختلفة . كان بأمكان النظام السوري احتواء هذه ألأحداث وأطفاء نار لهيبها منذ البداية بأتخاذ اجراءات أصلاحية فورية ، لكن كعادة نظامه والنظم العربية ألأخرى ، لجأت السلطات السورية الى أسلوب تشديد القبضة ألأمنية في تأمين ألأستقرار بدلا عن أي أسلوب آخر كان متاحا لها . كانت نتيجة هذه السياسة هو ازدياد حدة ألأزمة و تعقيدها ليدفع ثمنها الشعب العربي السوري من موتى ومشردين كأشقائهم العراقيين والليبين واليمنيين ولا تزال فصول هذه المأساة مستمرة لحد ألأن .

في نفس هذه السنة التي وصل فيه " الربيع العربي " ذروته ، اي في سنة ٢٠١١ بدات المظاهرات في المدن ألكبرى اليمنية ومنها صنعاء وهي تطالب علي عبد الله صالح في الرحيل لكنه كألأخرين أيضا لجأ الى مجابهة هذه المظاهرات بالعنف مما ادى الى خلق ازمة داخلية حادة بين المكونات السياسية اليمنية واستمرت على ماهي عليها ألأن من مآسي .

كانت لكل واحد من هؤلاء الحكام فرص لتلافي هذه المآسي . لقد اتيحت لصدام حسين اكثر من فرصة ليكون اورتيغا الثاني وهو صديق شخصي له وكانت أيضا لكل من القذافي و بشار ألأسد وعلي عبد الله صلح نفس الفرص لكن عدم الثقة بشعوبهم وخوفهم من زوال السلطة جعلتهم يتخذون طريق الهرب ألى ألأمام . ولمن لا يعرف ما هي خطوة اورتيغا زعيم منظمة ساندنيستا التي تأسست في نيكاراغوا عام ١٩٦٢ ، يمكن ايجازها على ألنحو التالي : بعد عدة انشقاقات ، عادت هذه المنظمة فتوحدت في العام ١٩٧٨ تحت زعامة شاب لا يتجاوز عمره الخامسة والثلاثين عاما هو مانويل اورتيغا ألذي كان عضوا فيها لتتبع هذه المرة تحت قيادته طريق العمل المسلح لأسقاط نظام الحكم العسكري الدكتاتوري . نجحت هذه المنظمة عام ١٩٧٩ في الأطاحة بذلك ألنظام وأستلام السلطة فأصبح أورتيغا رئيسا لتلك ألدولة ومنذ ألبداية ناصبت أمريكا أدارة وأعلاما العداء لهذه ألدولة ألصغيرة . بعد عدة سنوات ، في شهر نشرين ثاني / نوفمبر عام ١٩٨٤ أعلنت ألسلطة في نيكاراغوا عن ألجوء الى ألأنتخابات للقوز برئاسة ألدولة وعندما جرت هذه ألأنتخابات في ألعام ١٩٨٥ فاز فيها أورتيغا سارعت ألأدارة ألأمريكية في عهد ريغان الى ألتشكيك بنزاهة تلك ألأنتخابات ولم تعترف بنتائجها أنسجاما مع مواقفها ألسابقة ثم فاز في أنتخابات ألتالية في ألعام ١٩٩٠ ايضا . ذهبت أدارة ريغان بعيدا في عدائها لهذه ألدولة فقررت تكرار ما قامت به أدارة كندي ضد كوبا فقامت بجمع بعض ألمعارضين وألمرتزقة لتشكيل منظمة أسمها " الكونترا " جرى تدريبها في معسكرات خاصة للقبام بعمليات

عسكرية ضد نيكاراغوا . كان رد فعل أورتيغا هو أستعداده للأستقالة وأجراء أنتخابات رئاسية جديدة في ألعام ١٩٨٩ ألتي نجحت فيها أمرأة من ألطبقة ألبرجوازية اسمها فيوليتيا كانت تملك مجلة معارضة للنطام . وبعد دورتين أنتخابيتين كان يفوز فيها ألحزب ألدستوري ، وقي ألدورة ألأنتخابية ألتالية في ألعام ٢٠٠٧ نجح أورتيغا بتسلم منصب رئاسة ألبلاد ليعود ألى مواصلة بناء بلده فتم أرغام امريكا نهائيا على عدم ألتحرش وألتدخل في أوضاع ذلك ألبلد ألصغير . السؤال هنا هو ما الذي كان ينقص صدام حسين ، بشار ألأسد وألقذافي من القيام بمثل ما قام به اورتيغا مع ألأعتراف بأن هذه ألدول كغيرها من دول ألمنطقة تسودها أوضاع مختلفة أكثر تعقيدا وخطورة من أوضاع دول أمريكا أللاتينية لكنهم أضاعوا تلك ألفرص ولم يحسبوا أن ضياعها سيجلب ألأسى وألأحزان لمواطنيهم ولمواطني ألمنطقة ألعربية .

ألنظرة الموضوعية للأحداث تقول انه كان من الممكن أن يتوقف المد الديني السياسي ألأسلامي ألطائفي الذي دفعت به امريكا والغرب الى الواجهة السياسية من خلال تسلم ملالي طهران ألسلطة عند حدود أيران فقط لكن قوى ألهيمنة وألتحكم ألدولي وجدت في ألطائفية أفضل ألطرق لتحقيق أهدافها ألستراتيجية في ألمنطقة ألعربية . كان من نتائج أثارة ألطائفية هو أحتلال ألعراق أولا لتقيم فيه نظاما يعتمد على ألمحاصصة ألطائفية وألعرقية على رأسه ثلة من ألسياسيين ألطائفيين ألأكثر لصوصية ونذالة عرفها تأريخ ألبشرية . وبعد نجاح تجربتها في ألعراق أنتقلت لتعممها على بعض دول ألمنطقة ألعربية ألأخرى من خلال خلق مناخ تستطيع فيها ألقوى ألسياسية ألدينية ألمتخلفة من تسلم ألسلطة فيها لتساعد قوى ألهيمنة ألدولية من ألعبث في ألأوضاع ألداخلية قي تلك ألدول على نحو ما يحصل ألأن في عدة دول عربية . الهدف من وراء كل ذلك هو أبقاء اقتصاد المنطقة فقيرا ومحافظا على طابعه ألريعي ألأستهلاكي الغير منتج لكي يتم ترحيل المنتج الفائض في أمريكا والدول الصناعية الى اسواق هذه الدول . هذا هو نفس ما كانت يقوم به نفس ألأستعمار ألأوربي ألقديم عندما كان يلجأ الى القوة العسكرية لفتح ألأسواق الخارجية وها هو رئيس امريكا الرابع وألأربعين الزنجي اوباما في خطاب الوداع لنهاية رئاسته يهدد ويتوعد دول العالم ، المتطورة منها والغير متطورة فيقول بتبجح أن أمريكا أعظم قوة عسكرية في العالم وأقتصادها اعظم من كل أقتصاديات العالم وعليه فأنها هي التي يجب ان تقود و تحكم دوله وبأن لديها القدرة على سحق جميع اعدائها سواء كان هؤلاء ألأعداء **" دول مارقة "** أو **" منظمات ارهابية "** دون ان يطرح السؤال على نفسه وعلى مستمعيه أللذين يصفقون له وهم منتشين بما يقوله هذا الرئيس الحذق اللسان : لماذا تتحول الدول التي كانت بألأمس مسالمة لتصبح اليوم دول " مارقة " ولا يسأل كذلك لماذا يتحول ألأفراد العاديين المسالمين من البشر الى " أرهابين " ؟ .

بسسب كل هذا ، سيستمر الصراع المحلي وألأقليمي والعالمي بين الطرف الذي تم اغتصاب وأهدار حقوقه في هذا الكون وبين ألطرف ألأخر المصر على أغتصاب حقوق الشعوب بوسائل ألقوة مرة والكذب

والخداع مرة من أجل ألهيمنة وألتحكم بمصائر ألشعوب . من الممكن ان يأخذ هذا الصراع أشكالا مختلفة وعلى ألأغلب ، ان ألضحايا ستكون بالملاين أذا ما جرى أتباع اسلوب ألعنف فيه . وألحل ألنهائي لهذا ألصراع هو بيد الشعوب التي تقطن هذا الكون من خلال فرضها تشكيل مرجعية عالمية جديدة غير مرجعية منظمة ألأمم المتحدة ومجلس ألأمن ألتابع لها الذي تسيطر عليه ألقوى ألتي تعبث في عالمنا ألحالي . مثل هذه ألمرجعيةهي التي ستؤمن حصول ألتغييرات ألسيلسية وألأقتصادية لتحقيق هدف أنهاء ألنزاعات وألصراعات دون أللجوء ألى أسلوب ألقوة وألبطش . أن التخلص من القطبية ألأحادية الحالية بات عملا ملحا لايقع على عاتق الدول الصغيرة والشعوب الضعيفة التي عادة ما تكون وسائلها غير مؤثرة ومحدودة بل على الدول المؤثرة الموزعة على القارات الخمسة التي تملك الوسائل التي تمكنها من ألقضاء على تلك القطبية ألأحادية ألبغيظة والركون الى عالم متعدد ألأقطاب تكون له القوة لفرض قوانين عالمية عادلة للمحاسبة كي تتاح فرص حقيقية لصيانة حقوق الشعوب في وحدة اراضيها والتمتع بخيراتها دون خوف عليها من ألسطو وألسرقة لكي يعم السلام انحاء الكرة ألأرضية .

الفصل العاشر

ألأوضاع ألحالية للأقاليم ألخمسة

لم تمر على مناطق ألأقايم ألخمسة ، منذ نهاية الحرب العالمية ألأولى وألثانية وحتى ألسنة ألتي تم فيها أحتلال ألعراق عام ٢٠٠٣ فترة سوداء كألتي تمر بها ألأن وبالتالي ، يمكن ألقول بأن ما يحصل فيها حاليا هو نتيجة من نتائج أحتلال ألعراق . شيء يثير ألعجب أن يتكرر ما حصل للعراق أليوم هو مشابه لما حصل له في ألتأريخ ألقديم عندما دنست قوات كورش ألفارسية أرض ألعراق لتدمر حاضرة ألدنيا حينذاك بابل وبعد قرون قليلة دخلت قوات ألأكسندر ألمقدوني أرض وادي ألنيل فخلد أسمه في بناء مدينة ألأسندرية ألحالية في مصر . أنتهى ألأمر بعد وفاة ألأسكندر بتقاسم ألفرس وألرومان مناطق ألأقاليم ألخمسة فكان أقاليم ألعراق وأقليم ساحل ألخليج العربي وألساحل ألجنوبي للجزيرة ألعربية من نصيب ألفرس اما أقليم ألشام ومصر والمغرب ألعربي وساحله ألطويل فكان من حصة ألرومان . وفي ألمرة ألثالثة كان العراق مرة أخرى ألبوابة التي دخلت منها قوات هولاكو ألبربرية الى المنطقة بعد ان أستباح ودمر بغداد عاصمة ألدولة ألعباسية ومنذ ذلك الحين ولحد ألأن ، لم يتمكن ولا اقليم واحد من الأقاليم الخمسة من ألوقوف على قدميه .

قسم ألرحالة والجغرافيون وعملاء ألأستخبارات ألأوربيين منذ ألقرن ألثامن والتاسع عشرألمنطقة ألعربية ألى ثلاثة أقاليم عربية مهمة تتشكل منها منطقة ألهلال ألخصيب وهي ، كما هو معروف : أقليم بلاد وادي ألنيل ، أقليم بلاد ألشام وأخيرا أقليم بلاد ما بين ألنهرين أما أقليم ألجزيرة ألعربية وأقليم ألمغرب ألعربي فلم يكن من أهتماماتهم . تتميز هذه ألأقاليم ، ليس بموقعها ألجغرافي فقط بل بوفرة مياهها وخصوبة أراضيها لتكون في عمق تأريخا موطنا لمجموعات سكانية مختلفة تعود أصولها ألى ألعرق ألسامي . بسبب طبيعة هذه ألأرض ، كان لسكانها ألسومريين ألأوائل كل ألمقومات لأبداع أول حضارة في بلاد ما بين ألنهرين ثم بعد ٤٠٠ عام تمكن سكان وادي ألنيل من أبداع ثاني حضارة في ألعالم . وبسبب أختلاف ألموقع ألجغرافي لهذين ألأقليمين كما هو واضح من خارطة ألمنطقة ألعربية ، فأن أقليم ما بين ألنهرين هو أول من تعرض لغزوات ألأقوام ألخارجية ألمحيطة به من جهتي ألشرق وألشمال بينما أقليم وادي النيل ظل نسبيا في مأمن من مثل تلك ألغزوات لعدة سنوات .

أن ألأهمية ألجبوسياسية لأقليم بلاد ما بين النهرين ، كما تدلل ألأحداث ألأخيرة ألتي عصفت به لم تتغير منذعصور ما قبل ألتأريخ ولغاية العصر ألحالي . وكأجداده ألفرس ألقدماء ، ما أن تسلم ألخميني موقع ألولي ألفقيه في بلاد فارس حتى بدأت حكومته بألتحرش بألنظام ألعراقي ألسابق فسمته **" بألنظام ألكافر "** وأخذ بعض قادة نظام ولاية ألفقيه يرددون ألقول بأن طريق تحرير **ألقدس** يمر **"بكربلاء "** . وهكذا ظهر من جهة ألشرق نفس ألعدو ألفارسي ألقديم ألذي دخل بابل ودمرها في العام ٥٣٩ قبل ألميلاد ومن نفس ألجهة دخلت

جيوش هولاكو لتعبث وتدمر بغداد حاضرة ألدولة ألعربية ألأسلامية ألعباسية في العام ١٢٥٨ . أن صعود خميني وتابعيه من ألملالي ألصفويين الى قمة السلطة في أيران بضروف غامضة و مشبوهة ليدقوا طبول ألحرب ضد العراق ألتي بدأت أولا كلامية ثم تحولت بعد عدة أشهر ألى حرب عسكرية طاحنة معه لم يكن لها أي مبرر عقلاني ألا اذا كانت هناك أهداف خفية مرسومة للملالي أتجاه ألعراق وعموم أقاليم ألمنطقة ألعربية . يبدو أن آذان بعض ألأقليات ألمتنوعة ألتي أحتوتها ألمنطقة وعاشت فيها تأكل من طعامها وتشرب من مأئها لسنين طويلة كانت مستعدة لسماع هرطقات ألطائفيين وألأدعاءات ألأعلامية لقوى السيطرة وألتحكم ألغربية . أنساقت هذه ألأقليات مع ألطرفين ، ألفارسي وألغربي لتقع في فخ ألستراتيجية ألتي تحدث عنها " بيتر غران " عندما فقال " أن أهم ستراتيجية تتبعها قوى ألهيمنة لحكم ألعالم هي أستخدام ألأقليات أذا لم يكن بألأقناع فبألقوة " (١٦) . هذا هو ما أثبتته ألأحداث ألسابقة وألللاحقة مرورا بألحرب ألعراقية ألأيرانية وألغزو ألأمريكي ألبريطاني للعراق ووصولا الى ما حدث ويحدث ألأن ، ليس في ألعراق وحده وأنما في سوريا وأليمن وليبيا وغيرها من دول ألأقاليم ألخمسة . ألحقيقية ألمرة هي أن القوى الدولية وألأقليمية ألتي تقف على رأسها ألولايات ألمتحدة ألأمريكية لم تكن وحدها ألمسؤولة عن ألكارثة ألمروعة التي تمر بها حاليا هذه ألأقاليم وأنما ألأنظمة ألسياسية لبعض دولها أيضا . لقد ساهمت هذه ألأنظمة طوعا أو كرها في حصول هذه ألكارثة التي تدفع ألأن شعوبها أثمانا باهضة للتخلص من نتائجها .

أذا كانت الأقاليم ألخمسة في ألأزمان ألسحيقة هدفا لكثير من القوى الخارجية المتربصة والطامعة بها بسبب الغنى والرفاه الذي عاشته وبسبب موقعها الجيوسياسي ، فكيف سيكون وضعها في هذه ألمرحلة وفي باطن أراضيها ثروات طبيعية هائلة من أهمها ألنفط وألغاز ؟ . تشكل ثروات هذه ألأراضي للدول ألصناعية ألكبرى بمثابة نسغ ألحياة لديمومة تقدمها ألأقتصادي وألصناعي فقد بات من ألمعروف أن خامات ألنفط وألغاز تدخل في ألكثير ألتقنيات ألصناعية بشقيها ألستراتيجي ألثقيل وألخفيف وبالتالي فهي مصدر لأنتاج عدد لا يحصى من ألبضائع . لهذه ألأسباب ، شكلت ألسيطرة على مصادر ألنفط وألغاز في ألمنطقة ألعربية أولوية في ألستراتيجية ألبعيدة ألمدى لقوى ألهيمنة ألدولية لأنها هي أول من يعرف بأن نسبة أنتاج ألنفط في ألمنطقة ألعربية من ألأنتاج ألعالمي في أزدياد مستمر .

كان أنتاج ألنفط ألعربي ألى مجموع ألأنتاج ألعالمي في العام ١٩٩٢ قد وصل الى ما يقارب ٣٣% من ألأنتاج ألعالمي (٢٠) بينما زادت هذه ألنسبة على حد ما ذكره ألتقرير ألسنوي لوكالة ألأستخبارات ألأمريكية في العام ٢٠١٥ الى ما يقارب 0.37 % (٢٢) .هناك توقعات بأستمرار زيادة نسبة أنتاج ألنفط ألعربي مع مرور ألزمن لتصل ألنسبة الى أعلى مستوياتها في نهاية هذا القرن بعد نضوب انتاج النفط من اغلب الدول

لتتبقى في نهاية هذا القرن سبع دول لأنتاج ألنفط على رأسها أقليم ألعراق مما سيضع ألمنطقة وألعالم في أقصى حالات ألخطر (٢٣)) .

لم تتوقف أهمية أقاليم ألمنطقة عند حد ما بها من ثروات طبيعية بل تعدتها الى أهميتها ألجيوسياسية ألتي كانت سببا لتخل ألكثير من ألقوى ألخارجية ألأقليمية وألدولية في أوضاعها ألسياسية ألداخلية منذ ما قبل ألتأريخ ولحد ألأن . عادة ما أخذت أساليب ألتدخل في أوضاع ألأقاليم ألخمسة للمنطقة ألعربية أشكالا مختلفة كان من أهمها أسلوب ألتدخل ألعسكري ألفض عندما تعجز من أستخدام ألأساليب ألناعمة ألأخرى . واضح من خريطة ألوطن ألعربي ألمبينة في هذا ألفصل ، أن جغرافية ألمنطقة تنفرد من بين كل مناطق ألعالم بوجود أربعة ممرات بحرية دولية ذات أهمية ستراتيجية عالمية . وأذا ما تم أهمال ألحقب ألتأريخية ألسابقة عندما كانت هذه ألممرات عربية خالصة فأن ألخارطة ألسياسية للمنطقة ألعربية تحتوي على أثنان فقط منها هما قناة ألسويس وباب ألمندب أما ألممران ألأخران فتشرك بهما مع ألمنطقة دولتان هما مضيق جبل طارق مع أسبانيا ومضيق هرمز مع أيران . ومن ألمعروف ، منذ زمن بعيد بأن لهذه ألممرات أهمية ستراتيجية في حركة ألتجارة ألعالمية لكن أهميتها أزدادت مع حلول ألأستعمار ألأمبريالي ألحديث .

هناك عدة عوامل تنفرد بها ألمنطقة تشكل للقوى ألأقليمية والخارجية هاجسا أضافيا من الخوف وألتوجس فيما لو تمكنت هذه ألمنطقة من ألنهوض وألتقدم . أهم هذه ألعوامل هي :

أولا - ألموقع ألجوغرافي : تتميز ألمنطقة ألعربية بموقعها ألجيوغرافي ألفريد من نوعه فهي تقع في وسط ألعالم ألمأهول وهي تمتد من ألعراق ألذي يقع في أقصى شرق ألقارة ألأسيوية وألى أقصى شمال أفريقيا على ساحل ألمحيط ألأطلسي كما لها ساحل على ألبحر ألأبيض ألمتوسط يفوق ما لأوربا . أما حدودها في ألشمال وألجنوب فهي موضحة بألخريطة ١٣ .

ثانيا - ألمساحة : مساحة ألأقاليم ألخمسة ألمكونة للمنطقة ألعربية حاليا المبينة خارطتها في هذا الفصل ، عدا ما قضمته قسرا قوى ألتحكم ألدولي وقدمته للدول ألأقليمية ألمجاورة كأرض ألأهواز ألعربية لأيران وأرض لواء ألأسكندرونة ألسوري لتركيا بدون وجه حق ، تصل الى ما يقارب ١٣٣٣٣٢٩٦ كم٢ لتحتل ألترتيب ألثاني في ألعالم بعد روسيا ألأتحادية (٢٤) .

ثالثا - ألكثافة ألسكانية : عدد نفوس ألمنطقة في العام ٢١١٦ يصل الى حوالي ٣٥٦ مليون فرد لتحتل المرتبة الثالثة في العالم بعد الصين والهند مما يشكل قلقا بالغا للصهيونية العالمية وللقوى الدولية لأنهم من ألمطلعيين على ألقانون ألطبيعي : " ان ألتغيير ألكمي يؤدي الى تغيير نوعي " . لهذاألسبب ، كل هذه ألقوى تعمل جاهدة على خلق ألفوضى في هذا ألأقليم أو ذاك من خلال أثارة ألنعرات ألطائفية وألعرقية وألدينية وحتى ألمناطقية ألقبائلية لخلق أجواء توتر أجتماعي وسياسي حاد يؤدي ألى مختلف أنواع ألصراعات ألداخلية

لألهاء ألمنطقة ومنعها من ألتقدم . واضح وجلي ، أن ألهدف مما تفعله هذه ألقوى هو محاولة غلق الباب أمام محاولة ألقوى ألوطنية وألقومية من ألعودة ألى لعب دورها مجددا للخلاص من ألفوضى ألتي تمر بها ألمنطقة لكي لا تشكل خطرا جديا على ستراتيجيتها في ألهيمنة وألأستحواذ على ثرواتها .

٢ – ما يمكن أن تكون عليه ألأقاليم ألخمسة مستقبلا :

مهما كانت ألضروف ألمأساوية ألتي تمر بها ألأوضاع ألحالية للمنطقة ألعربية حاليا فأن هنك عاملان أساسيان سيرسمان مستقبلا مشرقا لهذه ألمنطقة وهذان ألعاملان هما : عامل ألحتمية ألتأريخية وهو ألشرط ألموضوعي وعامل ألأرادة ألشعبية ألجماهيرية وهو ألشرط ألذاتي للتغيير نحو المستقبل . أن ألقوى ألتي تقف في طريق هذين ألشرطين متعددة ، من أهمها : قوة ألأممية ألدينية وقوة ألأممية ألأمبريالية .

أصول ألشعب ألذي يقطن ألمنطقة ألعربية ألأن تعود ألى أقدم شعوب ألعالم ألتي أستوطنت وعاشت في هذه ألرقعة ألجغرافية منذ مرحلة ما قبل ألتأريخ لتقدم للبشرية أول حضارة أنسانية أستلهمتها شعوب ألأرض ألأخرى في بناء حضاراتاها ألخاصة . تعرض شعب سومر وبابل منذ مرحلة ما قبل ألتأريخ ولغاية سقوط بابل في عام ٥٣٩ قيل ألميلاد لأجتباح وغزو أراضيه لعدة مرات من قبل شعوب مختلفة وفي كل مرة كان هذا ألشعب يعود ويجمع قواه ليطرد ألمحتلين ألطامعين من أرضه ليعيش بسلام .

أحتلت هذه ألمنطقة أمبراطوريتان عاتيتان هما ألأمبراطورية ألفرسية وألرومانية فأقتسما أقاليمها ألخمسة بينهما ولم يكن يدور في خلدهما ما ألذي يمكن أن يحمل لهما ألمستقبل . بعد أقل من عشرة قرون او أكثر بقليل ظهر في قلب ألجزيرة ألعربية من أزاح ألظلمة عن هذه ألأمة هو ألنبي محمد بن عبد اللة ألذي غير مسار تأريخ ألبشرية ليصبح ألرجل ألأكثر تأثيرا في ذالك ألتأريخ (٦) . وبعد وفاة ألنبي محمد وخليفته أبو بكر ألصديف تسلم ألخلافة عمر بن ألخطاب فكان من أولويات هذا ألخليفة هي ألمباشرة بتنفيذ ما كان يعد له كل من ألنبي وخليفته لتحرير أقاليم ألمنطقة ألعربية من ألمحتلين ألفرس وألرومان . لم تمض سوى أعوام قليلة حتى تم تحرير أقليمي ألعراق والشام ثم تيعهما أقليم مصر وما غربها فكان هذا ألتحرير بداية لأقامة أمبراطورية عربية أسلامية هي ألأوسع في ألتأريخ .

منذ ان تمكن ألسومريون من تقديم الكتابة للبشرية تم وضع بداية ألتاريخ التي أتخذته كافة شعوب العالم لتسجيل تواريخ ألأحداث ألتي تمر بها . في ألفترة بين بداية ألتأريخ وألوقت ألحاضر ، زالت وأختفت أقوام وشعوب بكاملها من ألتأريخ لأسباب قسم منها غامضة غير معروفة وقسم اخر لأسباب معروفة وقعت في ألقرون ألمتأخره من ألتأريخ ألحالي عندما بدأ ألعصر ألأوربي ألأستعماري وبعده ألأمريكي . في خضم هذه ألأحداث ، خاصة ألمتأخرة منها ، وقعت ألمنطقة بيد أوربا ألأستعمارية ألقديمة ومن بعدها وقعت بيد أقوى قوة عالمية هي ألأمبريالية ألأمريكية فتم أحتلال ألعراق في ألعام ٢٠٠٣ . وكما حصل في ألتأريخ ألسحيق

حصل في ألقرن ألحادي وألعشرين ، في بداية ألألفية ألثالثة عام ٢٠٠٣ عندما أقدمت أمريكا ألأمبريالية وشريكتها بريطانيا على أحتلال ألعراق فزرعت فيه ألفوضى ألتي وسعها لتشمل دول عربية أخرى موزعة على ألأقاليم ألخمسة للمنطقة ألعربية . أعتمدت أمريكا في أحتلالها للعراق ليس على ألجانب ألتقني لأسلحتها فقط بل على ألجانب ألنفسي مستندتا في ذلك على **" ألصدمة وألترويع "** ألتي تشل تفكير عقل ألمواطن في ألتعرف على ألصح وألخطأ ، على ألظلم والعدل وعلى ألمجرم وألبريىء . لهذا كان وقع حدة ما فعلته ألأمبريالية ألأمريكية وألصهيونية ألعالمية في ألمنطقة على جماهير ألمنطقة شديد ألوطئة لدرجة أنها نست أمسها لتنغمس في كيفية تفادي حاضرها ألمزري فأخذت تبتعد عن امالها في ألوحدة ألعربية وتنسى أن فلسطين هي من أوليات أهتماماتها ألقومية لتحل محلها أولويات قطرية مشوشة ليس لها طعم ورائحة .

ليس هناك شيىء ثابت فألحالة التي تمر بها ألمنطقة وشعبها لن تظل ألى ألأبد وأذا كان هناك أحد يعيب على ألشعب تمسكه بتأريخ ألأجداد وأخذه كقدوة فيمكن أن يجد ألقدوة ألأن عند ألكثير من ألشعوب . بعد أن قسم ألأستعمار ألفرنسي أرض فيتنام ألى شطرين ، شمالي وجنوبي قبل وبعد ألحرب ألعالمية ألثانية لم يتوقف شعب تلك ألأرض ألقليل ألعدة وألعدد عن ألنضال لعودة ألوحدة ألى أرضه .

بعد أن أخذت أمريكا مكان فرنسا في أحتلال فيتنام وجعلت من شطرها ألجنوبي قاعدة عسكرية للعبث بمصير شعوب شرق أسيا ، لم يداخل شعب فيتنام ألياس وروح ألمثابرة فخاض حرب تحرير شعبية شرسة مع ألجيش ألأمريكي ألى أن تمكن من ألحاق هزيمة مذلة للأمبريالية ألأمريكية في العام ١٩٧٦ ظلت تعاني منها طيلة سنوات حكم ريغن مع أنه كان لأمريكا في أراضي فيتنام أكثر من نصف مليون جندي .

ألحديث هنا يدور حول ألحتمية ألتأريخية ألمتاحة لكل ألشعوب ألمضطهدة ولا يتطلب للخلاص من هذا ألأضطهاد سوى توفر ألأرادة وألأصرار على هزيمة ألأمبرياليين تماما كما حصل للعرب ألمسلمين ألأوائل ألذين حققوا معجزة ألأنتصار على أعتى أمبراطوريتين عالميتين هما ألأمبراطورية ألساسانية وألأمبراطورية ألرومانية . ألرياضيات ليست عمليات حسابية ومعادلات فقط ، هي علم متغلغل في كل ما يخص هذا ألكون من نشاطات أنسانية وظواهر كونية فهناك قوانين رياضية تنطبق على ألسياسة كقانون العالم نيوتن ألثالث : لكل فعل رد فعل يساويه في ألمقدار ويعاكسه في ألأتجاه . بسبب ما فعلته ألقوى ألخارجية من أقليمية ودولية من تدخل أجرامي ووحشي في أوضاع ألأقاليم ألخمسة بدءا من أحتلال ألعراق وأنتهاءا ببقية أراضي ألمنطقة لا بد أن يكون لهذا ألفعل أليوم أو غدا رد فعل أقوى من فعل ألقوى ألغازية لتتم أزاحتها وأخراجها من ألمنطقة . المشكلة هنا ، فيما أذا جرى تطبيق هذا ألقانون على ألسياسة ، تكمن في معاير ألقوة فليس ألقوة ألعسكرية ألطاغية وحدها كافية للوصول الى ألهدف وأنما ألقوة ألذاتية ألبشرية أيضا . في تأريخ ألمنطقة ألقديم والحديث هنك أمثلة كثيرة على تغلب قوة أرادة بشرية بعدة عسكرية متواضعة لقوة عسكرية وبشرية

هائلة . حصل هذا في ألعراق عندما أنفجرت ثورة ألعشرين ألخالدة ألتي أرغمت ألمستعمرين ألبريطانيين على أعادة ألنظر في منظورها ألسستراتيجي عن ألعراق ليحصل ألعراق على ألأستقلال وأن كان شكليا ولتقوم في النهاية ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ألعظيمة . حصل نفس ألشيء في مصر عندما قامت ثورة ٢٣ تموز بعد معانات قاسية وطويلة للشعب ألعربي ألمصري ذاقها على يد ألمستعمرين ألأنكليز . ولعل أخر وافضل مثل على قدرة ألشعوب في ألحصول على حقوقها هو حصول ألشعب ألعربي ألجزائري ، بلد ألمليون ألشهيد ألذي ظمته فرنسا أليها كجزء من أراضيها . رغم كل أجرائاتها ألقانونية ألأستعمارية وقوتها ألعسكرية ، تمكن ألشعب ألعربي ألجزائري من أنتزاع أستقلال ألجزائر عن فرنسا بألقوة في ألعام ١٩٦١ وهو معمدا بدماء أكثر من مليون جزائري .

أصبح واضحا ألأن من ألتجارب ألسابقة أن أقليما واحدا عملت ألسلطات ألأستعمارية على تقسيمه وتقليم أضافره منذ نهاية ألحرب ألعالمية ألأولى ، لا يستطيع وحده تحمل عبىء دفع ألأقاليم ألأخرى نحو ألمستقبل لأقامة شكل من أشكال ألوحدة القومية . تحقيق مثل هذه ألمهمة في ظل ألوضع ألسياسي ألعالمي ألحالي شبه مستحيل مما يتطلب من كافة ألقوى ألوطنية على ألمستوى ألعربي من قوميين ، يساريين ، ديموقراطيين وأسلامي وطنيين عملا موحدا لوضع ستراتيجية واضحة معتدلة وأتباع تكتيكات واقعية ترضي كافة ألأطراف ألمعنية بتحقيق تلك ألستراتيجية . صحيح أن ألقوى ألمحافظة ألعربية تميل في تعاملاتها ألسياسية ألى ألغرب وألأمبريالية ألدولية أكثر مما تميل للتعامل مع ألقوى ألتقدمية لكن من ألممكن خلق مناخات ومساحات لطمئنة تلك ألقوى ألمحافظة من خلال أقامة حوار جدي يؤدي ألى عدم ربح طرف على حساب طرف أخر بل يؤدي ألى ربح ألجميع . أذا كان مشروع هذه ألوحدة ألقومية على شاكلة ألنظام ألأتحادي ألماليزي أو أي نظام مشابه لهما فأنه قد يكون من ألممكن عندذاك أيقاف ألتدهور ألحالي أللذي تمر به ألأقاليم ألخمسة . مع أن أوضاع أقاليم ألمنطقة ألعربية مختلف عن أوضاع ماليزيا بسبب وجود نظم سياسية مختلفة لدول ألأقاليم أقامها ألأستعمار ألقديم وكرسها ألأستعمار ألحديث ، ألا ان هذا ألأحتلاف ألتقني ألبسيط لا يجب أن يشكل سببا رئيسيا للكف عن بحث وسيلة تقنية مناسبة لأقامة دولة عربية أتحادية United Arab Stats بألأقتصاد وألسياسة . قد يبدو للبعض أن هذه ألدولة ألنموذج خيالي وغير قابل للتحقيق لكنهم لو تأملوا أوضاع ألمنطقة ألعربية جيدا لوجدوا أن من ألمستحيل حدوث تغيير نهضوي فيها بدون وجود صيغة معينة مناسبة لتوحيد أقاليم ألمنطقة ألخمسة . وأذا تعذر تحقيق مثل هذه ألحلول فانه من ألممكن أللجوء ألى ألحد ألأدنى من ألحلول وهو ألأتفاق على تبني ألنظام ألكونفدرالي كخطوة أولى بحيث تحتفض ألدول العربية بكياناتها ونظمها ألسياسية ألحالية .

مهما تعددت ألحلول وألخيارات فأن مستقبل ألشكل ألسياسي وألأداري سيكون على ألنحو ألذي تبينه ألخارطة ١٣ أو قريبا منها . تظهر هذه ألخارطة حدود ألأقاليم ألخمسة بولاياتها ألأفتراضية لكامل أراضي ألمنطقة ألعربية بمزيج من واقائع ألتأريخ ألقديم وواقائع ألتأريخ ألحالي .

ألخريطة ألمقترحة ألحالية تبين حدود ألدولة ألعربية ألأتحادية وعدد ألولايات ألأفتراضية في كل أقليم من أقاليمها ألخمسة ، يزداد عدد هذه ألولايات أو ينقص حسب رغبة السكان في تشكيل هذه او تلك ألولاية في أقليم معين . وفي كل ألأحوال ، هذه ألخريطة قابلة للتعديل أذا ماحصلت أختلافات في ألتفاصيل وهو أمر متروك دوما للنقاش وفقا لما تقتظيه ألمصلحة ألعليا للدولة ألأتحادية . ومرة أخرى أن ألمستقبل ألذي ينتظر ألمنطقة في ظل ألضروف ألسياسية ألحالية ألتي تمر بها ألمنطقة ألعربية والعالم هو مستقبل مظلم أذا ما أستمرت أوضاعها على ما هي عليه ألأن نفس . أذا لم يتحقق أمل ألشعوب في تغير ألنظام ألسياسي ألدولي من قطب واحد يحرك أوضاع ألدول كيفما يريد لضمان مصالحه ليس في ألمجالات ألأقتصادية وألسياسية فقط وانما في ألمجالات ألأكثر خطورة وهي مجالات ألثقافة وألأعلام ، فأن أحلام تلك ألشعوب في عيش حر وكريم سيتبخر . مع ذلك ليس هناك في ألسياسة شيء ثابت فهناك في ألأفق بوادر ظهور أقطاب أخرى كالصين وروسيا ألأتحادية وغيرها من ألدو ل ، وأذا ما تحقق ذلك فأن أهم نتائج هذا ألتغيير هو حصول توازن سياسي دولي مما يتيح الفرص للشعوب في تحيق تطلعاتها ومن هذه ألشعوب هو ألشعب ألعربي ألذي أبتلى ، أكثر من أي شعب أخر بكل أنواع ألظلم وألحيف .

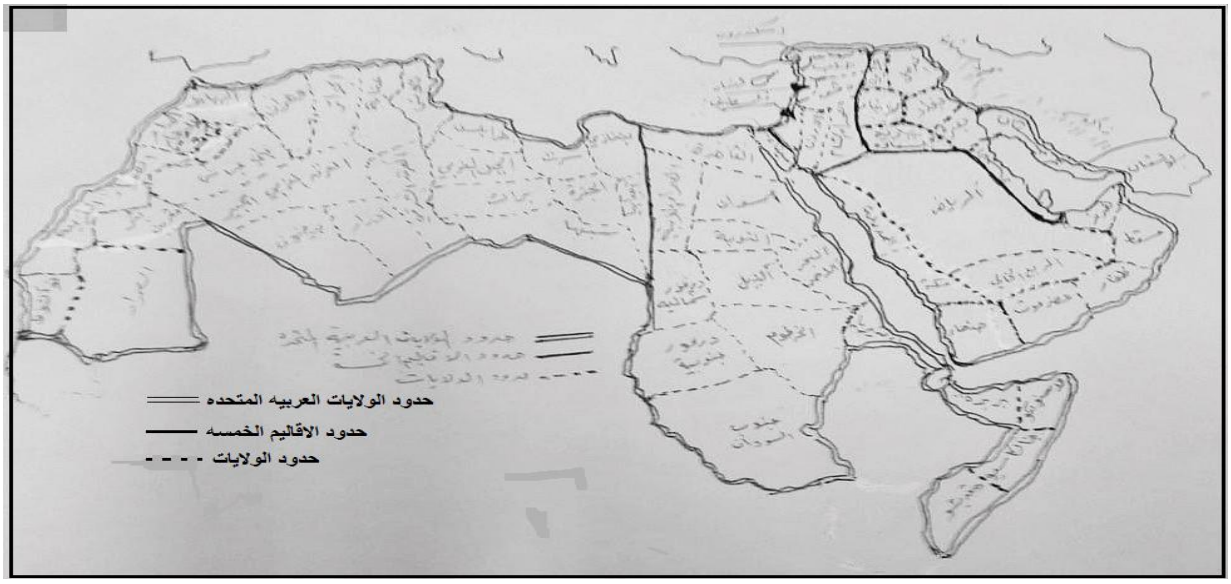

خارطة (١٣)

خارطة حدود ألمنطقة ألعربية وحدود أقاليمها ألخمسة مع ألتقسيمات ألأدارية ألأفتراضية لكل أقليم

حدود ألمنطقة ألعربية حدود ألأقايم ألخمسة حدود ولايات

ألمصادر وألهوامش :

1 : J. M. Roberts, The Histry Of The World , Penguin Books , 1976,1980

٢ : د.. بهنام أبو ألصوف ، مجموعة كراسات ومقالات ونتاج حفريات قام بها في مختلف مناطق ألأعراق .

٣: كريمر، لواح سومر، ترجمة د. طه باقر، فرانكلين للنشر ، ألقاهرة ، ١٩٥٥ .

٤: أحمد سوسة ، اليهود والعرب في ألتأريخ ،

٥: د. صلح ألعلي ،

٦: ميشيل هارت ،

٧: لورنس العرب ، أعمدة ألحكمة ألسبعة ،

٨: نجدت صفوت ، يوميات رستم حيدر ،

٩: وثائق ألأمم ألمتحدة

١٠: د. علب ألوردي ، تأريخ ألعراق ألحديث ،

11: Robert Lesy, Har Cout, New York

١٢: ليون تروتسكي ، ألمسألة أليهودية ،

١٣: حسنين هيكل ، خريف ألغضب ،

١٤: سعد ألدين ألشاذلي ، مذكرات ،

١٥ محمد رضا بهلوي ، مذكرات ،

١٦: روبرت غران ، ما بعد ألمركزية ألأوربية ،

١٧: موشي دايان ، مذكرات ،

18: Susan Lindauer , Extreme Prejudie: The Terrifying Story of hhe Pateriot Act and hhe Cover- Ups of 9l11 and Iraq , 2010 .

١٩: د.محمد ألعبيدي هو أحد ألكتاب وألمتابعين لنشاط ألمقاومة ألعراقية ضد ألأحتلال ألأمريكي وواضع ألخط البياني لتصاعد عملياتها من ٦ أذار ٢٠٠٣ ولغاية ٦ حزيران ٢٠٠٥ فقط .

٢٠: أنتاج ألنفط في ألمنطقة ألعربية ١٩٩٢

٢١: ألتقرير ألسنوي لوكالة ألمخابرات ألمركزية

٢٢: أخر ألدول ألنفطية

٢٣: نفوس المنطقة العربية

٢٤: نيوتن ، القانون ألطبيعي ألثالث .

٤: جورج رو ، العراق القديم ، ترجمة وتعليق علوان حسين ، دار الحرية ، ١٩٨٤ .

٥ : مجموعة مؤلفين، العراق في التاريخ ، دار الحرية ، ١٩٨٣ .

٦ : دكتور صالح العلي ، محاضرات في التأريخ العربي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٠ .

7 : Michael H . Hart, A Rancikg The most Infuential In History , A&W Visua Library , New York , 1978 . , 1978

٨ : لورنس العرب ، أعمدة الحكمة السبعة ، تم نشره بالأنكليزية في ١٩٢٢ ، مترجم ، المكتب التجاري للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٦٣ .

٩ : يوميات رستم حيد ر ، تحقيق نجدت فتحي صفوة ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٨ .

١٠ : روبرت ليسي ، (The Kingdom) ألمملكة ، بألأنكليزية ، تاريخ النشر ١٩٨١ .

١١ : جمال عبد الناصر ، فلسفة الثورة ، ١٩٥٦ .

١٢:حسنين هيكل ، خريف الغضب ، مركز ألأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٨ .

١٣: سعد الدين الشاذلي ، مذكرات حرب اكتوبر ، دار بحوث الشرق ألوسط ، سان فرانس سيسكو

14 :The Shah Story , Mohamad R . Pahlavi , Michael Joseph, London , 1980 .

١٥ : بيتر غراف ، ما بعد المركزية ألأوربية ، مترجم الى العربية ، المجلس ألأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٦.

١٦ : موشي دايان ، مذكرات ، باللغة ألأنكليزية ، لندن ، ١٩٧٦ .

17 : Josef P. Riva , World oil production after 2000 : BBusinss as usual or crises , The national council , 1997 .

18 : C I A ,The World Fastbook , Annual Report , 2015 ,